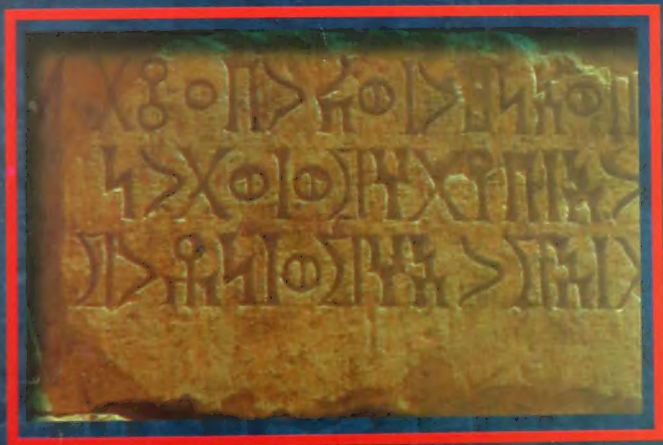


دراسات في
التاريخ الحضاري لليمن
القديم

أ.د. أسهمان سعيد الجرو



ع.ال.الحصري

دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم

أ. د. أسهان سعيد الجرو
أستاذ التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة عدن

دار الكتاب الحديث

حقوق الطبع محفوظة 1423 هـ / 2003 م

دار الكتب والحديث

94 شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة ص.ب. 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : (00 202) 2752990 فاكس رقم : (00 202) 2752992 بريد إلكتروني : Dkh_cairo@yahoo.com	القاهرة
شارع الحلالى ، برج الصديق ص.ب. : 22754 - 13088 الصفاء هاتف رقم (00 965) 2460634 فاكس رقم : (00 965) 2460628 بريد إلكتروني ktbshades@ncc.moc.kw	الكويت
Wilaya d'Alger- Lot C no 34 - Draria B. P. No 061 - Draria Tel(21)354105 E-mail Tel&Fax(21)353055 dkhadith@hotmail.com	الجزائر
دار العبدروس للكتاب الحديث ص.ب. 24393 دى هاتف/فاكس (04) 2737996 - متحرك (050)5932613 شارع الخليج - بنى العبدروس - دبي ا.ع.م. www.alaidaroosbook.com alaidaroosgp@hotmail.com - بريد إلكتروني	الإمارات
دار العبدروس للكتاب الحديث www.alaidaroosbook.com alaidaroosgp@hotmail.com - بريد إلكتروني مدينة السيئون - حضرموت	اليمن
2002 / 17136	رقم الإبداع
977-350-040-3	I.S.B.N.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يبحث هذا الكتاب عددا من المواضيع الخاصة بالتاريخ الحضاري لليمن القديم. لقد لازمت هذه المواضيع تفكيري لسنوات طويلة، واستقرت بكثير من قراءاتي وتأملاتي، فبعد أن انتهيت من تأليف كتاب موجز لتاريخ الميسلي لليمن القديم وجدت أنه من الضروري أن أتمكّل ما بدأت به، وأن أقوم بتأليف كتاب يبحث في التاريخ الحضاري لليمن القديم، فالحضارة هي الحلقة الرئيسة التي تتبثق منها وتنظم فيها مختلف القضايا الإنسانية.

لقد اهتم الباحثون، العرب والمستشرقون، بالتاريخ الميسلي لليمن القديم، واقدروا له صفحات وصفحات، ولكنهم لم يوجهوا غاية كافية إلى التاريخ الحضاري إلا بالنزر اليسير وذلك لأسباب عديدة ربما أهمها يعود إلى نقص حاد وملحوظ في الدراسات الخاصة بالتاريخ الحضاري لليمن القديم. وإسهما مني في مد هذا النقص شرعت في البحث والدراسة حتى تجمعت لدي مادة علمية نقشية وأثرية جديرة بأن تشكل خلفية مرجعية، وأساس لكتاب علمي يدرس التاريخ الحضاري لليمن القديم، وكنت منذ فترة قريبة قد قمت بنشر بعض هذه الدراسات في عدد من المجلات العلمية، وشاركت ببعض منها في ندوات علمية في الداخل وفي الخارج، ولربّيت تعميقاً لهذه المساهمة، أن أقوم بإعادة النظر فيها من خلال إعادة صياغتها معتمدة على ما استجد من معطيات أثرية ونقشية جديدة، وعلى حصيلة مساهمات الباحثين السبقين في الموضوع ذاته، من علماء عرب ومستشرقين، فهذه الدراسات المتنوعة محاولة تأليفية تخرج ولأول مرة في كتاب واحد يبحث التاريخ الحضاري لليمن القديم، وكلي أمل أن يكون هذا الكتاب مبعثاً لبحوث ودراسات مستقبلية للباحثين ولطلاب الدراسات العليا.

فالتاريخ الحضارة سجل لتطور الإنسان يعكس مدى فعالية قواه العقلية وطاقته المعنوية في مختلف مناحي الحياة، الميسلية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحرية، والثقافية والفكرية، وما أبنته من وسائل إنتاج، وفنون مختلفة، ومعتقدات دينية، وأساطير، وعلوم وأداب متنوعة.

فحضارة أي شعب من الشعوب هي بهذا المعنى مجموع القيم التي يسعى ذلك الشعب إلى تحقيقها والتي تتمثل في مختلف نشاطاته وإنجازاته، فمن خلال دراسة حضارة ما ومقارنتها بحضارة أخرى معاصرة لها نستطيع أن نستكشف نوع القيم التي حققتها هذه الحضارة أو تلك أو طمحت إلى تحقيقها والتي تجسدت في سلوك أبنائها وفي ما أنتجوه في شتى حقول الفكر والعمل.

ففي كل حضارة بذرة بقاء هي الإرث الحضاري الذي تتركه وراءها، وهذا الإرث متاح للإنسانية جمعاء، كونه إبداع إنساني يمكن لكل أمة أن تفيد منه.

والحضارة اليمنية القديمة - موضوع دراستنا - واحدة من تلك الحضارات المنفتحة على العالم، إنها من الحضارات الأصيلة التي أثرت وتأثرت، وأدلت بدلوها في المسار التاريخي للحضارة البشرية.

يحتوي الكتاب على مقدمة وخمسة فصول :

يتناول الفصل الأول عدة قضايا خاصة بالزراعة في اليمن القديم كالتوزيع الزراعي الإقليمي وما تحتويه من أودية خصبة شهدت حركة زراعية منتعشة. كما يتطرق إلى نظام الري القديم وأنماطه المختلفة، و ملكية واستثمار الأراضي الزراعية والقوانين المنظمة لها، والمحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها الاستهلاكية منها والنفعية. وبما أنه لا يمكن دراسة الحياة الزراعية في مجتمع ما لم تتم دراسة ثروته الحيوانية، فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى أنواع الحيوانات التي كانت تعيش في اليمن القديم المستأنس منها، والبري، لما لذلك من أهمية بالغة من حيث التكامل الاقتصادي الذي كان قائماً بين الثروة الحيوانية والحياة الزراعية، كما حاولنا في هذا الفصل تسليط الضوء على القواعد الزراعية، والحسابات الفلكية التي اعتمدها اليمنيون قديماً في حياتهم الزراعية.

الفصل الثاني : يبحث الحياة التجارية في اليمن القديم وقد شمل الحديث مصادر النشاط التجاري، والسلع التجارية الصادرة والواردة من وإلى اليمن قديماً، والطرق التجارية البرية والبحرية والتي كانت بمثابة الشريان الذي ربط العالم القديم ببعضه البعض الآخر، لموضوع الطرق التجارية جرننا إلى الحديث عن العلاقات التجارية بين اليمن والعالم القديم، فالموال الذي بحثناه : منذ متى نشأت تلك العلاقات وما هي تأثيراتها ؟ كما حاولنا في هذا الفصل الإجابة على الافتراض القائل بأن أصل الفن العربي الجنوبي يعود إلى تأثيرات إفريقية، وهنسية.

الحديث عن التجارة يلزم الدارس بالبحث في ماهية النظم التجارية والقوانين المنظمة لها، فما هي النظم التجارية التي عرفها اليمنيون قديماً ؟ وما نوع نظام الدفع في المعاملات التجارية ؟ للإجابة على هذا السؤال قمنا بدراسة عدد من المعاملات كنموذج للمعاملات اليمنية القديمة. وأخيراً تحدثنا بشيء من الإسهاب عن الأطماع الدولية والعوامل التي أدت إلى انهيار التجارة في اليمن القديم.

الفصل الثالث : يتناول هذا الفصل - بالدراسة والتحليل - موضوع لفكر الديني عند قدماء اليمنيين منذ الألف الأول قبل الميلاد، وحتى القرن الرابع الميلادي ... وليرز ما جرى عليه البحث في هذا الموضوع : أسماء الآلهة الفلكية التي عبدها اليمنيون قديماً، وما كان لها من آقاب، ونعوت، كما شمل الحديث معابد تلك الآلهة من دور وبيوت، وفضة الكهان التي كانت تقوم بالإشراف على إدارة تلك المعابد، وقد قمنا في هذا الفصل من خلال الدراسة المتأنية لمظاهر بعض طقوس العبادة بثبات أن العقيدة الدينية عند قدماء اليمنيين كان لها أثر بالغ الأهمية في حياتهم الروحية والمادية في آن معا، وأنه بتطور الديانات الفلكية لديهم : تمهدت الطريق أمامهم للتفكير بأسلوب تجريدي عميق

تشكل في نهاية المطاف الخطوة الأولى للوصول إلى الوحدةانية، والإيمان بآله واحد ؛
رب السموات والأرض.

الفصل الرابع : يبحث هذا الفصل أنماط من فن العمارة اليمنية القديمة، حيث تطرقنا
فيه إلى نماذج من فن العمارة المدني كالمنازل والقصور، والديني كالمعابد والقبور،
ودرسنا عدداً من المنشآت الاقتصادية، كمنشآت الري، و هندسة الطرقات،
والمنشآت الدفاعية، وقد حرصنا خلال هذا الفصل على أن نبرز - قدر الإمكان - ما
حققه الإنسان اليمني منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، من إبداع في مجال الفن
الهندي الخلاق.

الفصل الخامس : وفيه تناولنا المناخ الاجتماعي الذي عاشه الإنسان صانع تلك
الحضارة إذ أن الحديث عن مختلف أشكال التحضر يظل مبتوراً ما لم نتحدث عن
هذا الجانب، وفي هذا السياق حاولنا الإجابة على أبرز الأسئلة منها : كيف تشكل
المجتمع اليمني القديم ؟ وكيف تطورت الصيغة الاتحادية بين القبائل لتصبح وحدة
شاملة، وأساس لنشوء دولة مركزية مترامية الأطراف.

في الختام أرجو أن أكون قد وفقت في إبراز ملامح جوانب من تاريخنا
الحضاري، كما أتمنى أن يجد الدارس في هذا الكتاب عوناً ما على فهم ولو لنزر
اليمير مما ترك لنا أسلافنا من تراث حضاري هو مصدر فخرنا واعتزازنا.
والله ولي التوفيق.

أ. د. أسهان سعيد الجرو
عدن

الفصل الأول النهضة الزراعية في اليمن القديم

أولاً: التوزيع الإقليمي الزراعي في اليمن القديم.

ثانياً: نظام الري القديم.

ثالثاً: ملكية الأراضي الزراعية

رابعاً: استثمار الأراضي الزراعية والقوانين

المنظمة لها .

خامساً : المحاصيل الزراعية.

سادساً : الثروة الحيوانية.

سابعاً : قواعد زراعية، وحسابات فلكية.

نقل لنا الكتاب الكلاسيكيون منذ القرن الخامس ق. م. صورة بركة اليمين القديم، عندما تحدث (ثيوفراستس Theophrastus) عن الزراعة وبالذات زراعة اللبان، إذ ذكر أنه 'هــزـزـع' في جبل شلمخة تغطيها الغابات. وتحدث (إراتوستينس Eratosthenes) عن خصوبة البلاد ووفرة ما يزرع فيها من فواكه⁽¹⁾.

ونذكر القرن الكريم تلك الحقيقة في أجمل صورها ووصف أرض سبأ بالجنين، ويمد هذا الوصف أبلغ تعبير لحقيقة ما كان ولما. حيث قال تعالى :
(لقد كان لسبأ في معكنهم أية جنتنا: عن يمين و شمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) . (سورة سبأ الآية 15)
ثم جاءت بثبات الآثار إلى اليمين منذ منتصف القرن العشرين، ولجرت العديد من التنقيبات الأثرية، فكانت نتائجها مطابقة لما سبق ذكره عن اليمين القديم وعن خصوبة أرضه، حيث كشفت لنا التنقيبات عن منشآت ربي ضخمة أقامها اليمينيون من سدود وقنوات... توضح حجم المساحة المروية، وما زالت آثار تلك المنشآت قائمة على الرغم من أن الرمال قد دفنت أجزاء كثيرة منها، وطمرتها نهائياً في بعض الأقاليم .
وفي هذا المجال تحدثنا النقوش عن القوانين الخاصة بالضرائب وتوزيع الأرض، والمياه، وما إلى ذلك...

أولاً : التوزيع الإقليمي للنشاط الزراعي :

لقد تركز النشاط الزراعي في اليمين القديم في إقليمين رئيسيين :
الإقليم الأول : الأراضي المحيطة بمفازة صبيد (رملة السبعين)، وهو الإقليم الذي قامت عليه المراكز الحضرية منذ فجر التاريخ ؛ أي منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد وحتى أواخره، ويشمل الأودية التي قامت عليها المراكز الحضرية، والسهول الساحلية الجنوبية.

الإقليم الثاني : ويشمل الهضبة الوسطى وهو الإقليم الذي انتقل إليه التتبع السيلسي والحضاري منذ مطلع-الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي، ويمتد هذا الإقليم حتى السهول الساحلية الغربية.

أ- الإقليم الأول : الأراضي المحيطة بمفازة صبيد (رملة السبعين) ومنشآت الري فيها :
مفازة صبيد عبارة عن سهل رملي ملحي، وهو بشكل منخفضاً بتكتلياً من الناحية الجيولوجية، ويستقبل العديد من الأودية، (انظر خريطة رقم 1) ويشمل المناطق التالية :

1- أراضي دولة معين (وادي الجوف) :

يستقبل وادي الجوف أكثر من أحد عشر رقداً، تتفاوت تلك الروافد من حيث الأهمية، ولبرزها : رافد (الخارد)، و(مذاب)، و(مدان)، و(شبل)، و(ريده)،

و(حوت)،⁽²⁾ وجميعها قادم من المرتفعات الغربية من كتلة (النبي شعيب)، ومن شرق صعدة (العمشوبة) ومن الجنوب : من ناحية جبل (اللود) بخولان وديار قبائل (بنى بهلول) الواقع جنوب مدينة (عمران) و(ريده).⁽³⁾

وتبلغ مساحة تلك المناطق (مناطق المياه) التي تمدّ وادي الجوف بالسيول حوالي 2700 كم²، ودائماً ما تكون تلك السيول محملة بالطمي (الفرين) الذي يزود التربة بالخصوبة، ويسمح بإزراعة أنواع مختلفة من المفتوحات الزراعية.⁽⁴⁾ وقد استغل أهالي الجوف تلك الهبة الإلهية من مياه وتربة خصبة؛ فأنشأوا شبكات ري متنوعة، كشفت بعثات الآثار - التي زارت الجوف - النقاب عنها، أهمها : سد الخارذ الذي أقيم على وادي الخارذ.⁽⁵⁾

ويمكننا أن نرسم صورة واضحة المعالم لمنشآت الري على ذلك الوادي المنبسط، من خلال نقش النصر RES 3945 = Glaser 1000 الذي خطه المكرب السبئي (كرب إى وتر) في القرن السابع قبل الميلاد أثناء الحرب التي خاضها ضد عدد من مدن الجوف، يقول في السطر (18) من النص :

«و يوم قهر - هذا المكرب - قبائل - (سبل)، و(هرم)، و(فن)،⁽⁶⁾ واستولى على منشأتها المائية، وأحرق مدن (سبل) ومدن (هرم)، ومدن (فن)، وقتل منها ثلاثة آلاف (3000) وقتل ملوكها، وأسر منها خمسة آلاف (5000) وغنم مائة وخمسين ألف (150,000) من مواشيها، وفرض عليهم جزية للمقة ولسبا أخذاً بثأر أحرار (سبا) و (ضهر) ممن كانوا في حسي (كرب إى) ...»⁽⁷⁾

يتحدث النص عن الأعداد الكبيرة من الأسرى والقتلى ولقوف المواشي، كل ذلك يوحى بالكثافة السكانية التي احتضنتها مدن الجوف، والثروة الحيوانية الكبيرة التي كانت تفتنيها. ولم يذكر هذا النقش (معين) كنولة لذلك في القرن السابع قبل الميلاد، بل يذكر مدن الجوف التي عاقبها (كرب إى) لتمردها، وهذا يدلنا على أن تلك المدن إما كانت خاضعة للسيادة السبئية، وبعد ذلك تبرز (معين) كنولة لها كيانها السياسي المستقل، وتبسط نفوذها على إقليم الجوف كله وتمتد حتى نجران شمالاً.

ورث المعينون تلك المنشآت الزراعية وطورها، فتطورت الزراعة بشكل كبير، ويذكر (محمد توفيق) المساحة الزراعية التي استصلحها المعينون بحوالي 80 كم طولا و 25 كم عرضا.⁽⁸⁾

2- أراضي دولة مسبا (وادي أدنة) :

يعد وادي أدنة من أهم الأودية السبئية وأكثرها خصوبة، فعلى ذلك الوادي أقام السبئيون عاصمتهم التاريخية (مارب). ويستقبل هذا الوادي العديد من الروافد القادمة من المرتفعات الغربية، أهمها : (جهران)، و (بينون)، و (رداع)⁽⁹⁾ ويشق وادي (أدنة) جبل بركاتي واقع ضمن مرتفع واسع يسمى جبل (بلق) - يفصل بين الصحراء والمرتفعات الجبلية، ويتراوح اتساع الفتحة التي شقها الوادي في بعض أجزائها ما بين (190م) و (500م) وذلك بمتوسط اتساع وقدره (230م)، وعند تلك الفتحة للضيقة أقام مكارب مسبا سد مارب الشهير، ففي البداية شرعوا بتشييد جسر ضخم من الرديم، وكسوا واجهته بالأحجار لمواجهة تيار الماء، ثم أعيد بناؤه بأحجار جديدة في عهود تالية، أي أن السد لم يبن في زمن واحد، بل استغرق إنشاءه عهودا متوالية، كما تحدثنا بذلك النقوش، وقد أثبتت آخر دراسة للسد قام بها (ولي برنر Von Ueli Brunner) أن أسس سد مارب يعود تاريخها إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد على أقل تقدير.⁽¹⁰⁾ وإلى جانب السد بنى السبئيون شبكة ري متسقة لتتقل المياه إلى الحقول، تمثلت تلك بالمصرفين الكبيرين الذين يصرفان المياه المندفعة والخارجة من جاتبي السد، ثم القناتين الرئيسيتين اللتين تربطان المصرفين بالجنتين الواقعيتين إلى جاتبي السد، وليلها مقام المياه وهي عبارة عن سدود تحويلية صغيرة تقوم بتوزيع المياه التي تصلها من القناتين الرئيسيتين في شبكة الري، والمؤلفة من القنوات الفرعية التي تروي الحقول.

وتقدر مساحة مساط الماء - التي كانت تغذي وادي أدنة بالمياه - حوالي (10,000) عشرة آلاف كم²، وهي - ولا ريب - مساحة شاسعة ؛ لهذا نجد أن بحيرة السد تقدر مساحتها بحوالي 8 كم²، أما سمعتها الإجمالية فتصل إلى حوالي 55 مليون متر مكعب، وتقدر طاقة القناتين الرئيسيتين بحوالي 60 مترًا مكعبًا في الثانية.⁽¹¹⁾ أما للمساحة الزراعية التي كان يروها السد فقد وصلت إلى حوالي (9600) تسعة آلاف وسبعمائة هكتار، وهي تكفي ما بين 30,000 إلى 50,000 نسمة تعيش في منطقة مارب، ولقد كانت المزارع تكتفي بكمية من الماء تصل في ارتفاعها إلى أكثر من ½ متر ؛ كي تنمو الحبوب التي يتم زراعتها بعد عملية الري، إذ كانت هذه الطريقة في الري تعطي خصوبة عالية للتربة ذات الرواسب السلتية الثقيلة التي تحملها السيول السنوية وتراكمها في الأحواض المائية⁽¹²⁾.

وبالإضافة إلى سد مارب العظيم راح السبئيون - في عهود متفرقة ولاحقة - يقيمون سدودًا أخرى، منها سد (الجفينة) الواقع إلى الشمال من سد مارب⁽¹³⁾.

لقد حقق ملوك سبا ببناتهم سدّ مارب ومنشآت الريّ الأخرى أعظم إنجاز هندسي للريّ عرفته شبه الجزيرة العربية في تاريخها الطويل، فبلغت الزراعة قمة تطورها، وظل سدّ مارب يقوم بوظيفته أكثر من ألف عام، تعرض خلالها للتّهتك أكثر من مرة، ومساهمت الممالك اليمنية كافة في إعادة ترميمه. ولدينا أهم نقشين يتحدثان عن ترميم هذا السد، أحدهما : نقش للملك الحميري (شرحبيل يعفر بن أبي كرب لسمد CIH (540)، ونقش لأبرمه (CIH 541)، إلا أنّ السدّ أُنهار نهائياً عام 575م، وكان من نتائج خرابه وانهاره هذا أن تشرّد السبنيون، وتشتّت قبائلهم شذر مذر، حتى قيل في المسئل المانثر : «فركت أيدي سبا» وعلى أثر ذلك ألت أرض الجنتين إلى أرض قاحلة مواتة شبه صحراوية.

3- أراضي دولة قتيان ووالدياه :

- وادي بيحان

- وادي حريب

وادي بيحان :

عرف وادي بيحان - أو وادي (آخر) كما جاء في النقوش - منذ القدم بخصوبته وكثرة مياهه ويساقيته، فهو ينبع من مرتفعات : (البيضاء) و (المصعبيين) من بلد (الرباص)،⁽¹⁴⁾ ثم يتجه نحو الشمال الشرقي بطول (65كم) تقريباً، ويقصاع يتراوح ما بين 100 إلى 200 متر، ويصبّ في هذا الوادي عدة روافد، تتصف بأنّها أقلّ تحدّاراً مقارنة بالأودية الغربية⁽¹⁵⁾.

ومسيول وادي بيحان غير منتظمة، كما يتسرب جزء كبير منها إلى الرمال (رملة السبعين)، وتبلغ مساحة حوض الوادي حوالي 450 كم² ⁽¹⁶⁾، وفي الطرف الشمالي من الوادي أقام القتيانيون عاصمتهم (تمنغ) (هجر كحلان) حالياً، كما أقاموا العديد من منشآت الري، كشفت عنها البعثات الأثرية وبالذات البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان، التي زارت بيحان عام 1952م - 1953م، وقد قدم أحد أعضاء البعثة ويدعى (ريتشارد باون R.Bowen) دراسة قيمة عن "أصول وتكنيك الري في وادي بيحان"، وتوصل إلى نتائج جيدة من خلال فحصه لترسيبات الطمي الذي يتراوح صفه من 15 إلى 18 متر، كما كشف عن وجود قناة رئيسة عند (هجر بن حميد) يبلغ طولها 1200م، أقيمت عليها حواجز ذات فتحات لتوزيع المياه على جاقبها، أي على الأراضي المنخفضة عنها، ثم أقيمت قنوات أخرى فرعية منخفضة في مستوى الحقول التي كانت تستفيد من الريّ في الوادي، وكانت منتظمة في أشكالها، ويغلب عليها الشكل المستطيل، أما مجاريها فكانت تتعامل في اتجاه القناة، المصدر الرئيسي للمياه، بحيث يمكن الحصول على ما يكفيها من الماء.⁽¹⁷⁾

كما قطع (باون Bowen) شوطاً كبيراً في تحليله واستنتاجاته التي توصل إليها من خلال تلك النتائج : أثبت بأنّ عمليات الإرواء في المنطقة قديم جداً يرجع تاريخه

على الألف إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، إضافة إلى ما أشار إليه من أن وجود الطمي الزراعي دليل قاطع على قيام حركة زراعية نشطة وواسعة في وادي بيجان، إذ ربط بين بقايا الري القديم ومستوى الاستيطان الثاني في قمة (مجر بن حميد) التي تصنوي على بقايا أثرية، حدد المنقبون الآثريون تاريخها بحوالي (1000) سنة قبل الميلاد، أما الحقول الزراعية المحيطة بالمنطقة فقد وصل ارتفاعها إلى ستة أمتار فوق قاع الوادي خلال أكثر من (1200) سنة بفعل الطمي الزراعي، أي بمعدل متر واحد في كل (150) سنة للحقل الواحد، فالحقل يزيد - إذن - متراً واحداً كل (150) سنة، أي أنه يزيد سنوياً واحداً كل سنة ونصف، إن ذلك الحق، وتلك للكثافة من الطمي الزراعي دليل قاطع على أن اليمنين القدماء استخدموا الري خلال المصور الأثرية المورخة وغير المورخة.⁽¹⁸⁾

- وادي حريب :

يقع وادي حريب على بعد 100 كم جنوب مارب، إلى الغرب من وادي بيجان، يصل بينهما وادي مسبلقة عبر الجبال، أما منابعه ونباه وروافده فتبدأ من مرتفعات (خولان الطويل)،⁽¹⁹⁾ وتنتهي في صحراء (رملة السبعين). ويمتد هذا الوادي بقساعه مقارنة بواي بيجان، ولكنه أقصر منه طولاً.

لسهم وادي حريب مساهمة عظيمة في تقلمي اقتصاديات دولة قتيان، هذا ما يتضح لنا من عبور الباحثين على بقايا منشآت ري وتأثر لقنوات عديدة على هذا الوادي، بينما غطت السرمال بعضاً منها، ولم تفتقر منشآت الري على الوادي للريش ؛ بل امتدت فروعها إلى وادي (العين) و(مبلقة)⁽²⁰⁾.

إلى جانب تلك الشبكة من السدود والقنوات نجد أن القتيانيين بنوا الصهاريج، وخطروا الأبر، لغرض توسيع رقعتهم الزراعية، وخلق نوع من الرخاء والأزدهار الاقتصادي، وما يؤكد هذا الأمر : تلك القنوات الخاصة التي ملها ملوك قتيان لتنظيم الري، وتوزيع الأراضي، وتصريف المياه، وجباية الضرائب المفروضة على ربح الأراضي الزراعية.

4- أراضي دولة أوسان :

بسطت دولة أوسان نفوذها - منذ القرن السابع قبل الميلاد - على رقعة جغرافية واسعة غنية بالأودية، حيث امتدت أراضيها في القرن السابع قبل الميلاد لولحي (بالق)، (الحج)، (نذينة)، و (ابن) (جبال الكور) وادي ميفعة وحجر ، وسيلان والسوط وميفع وجردان وعمره .. وكشفت لنا البعثات الأثرية عن بقايا منشآت ري في مجموعة من الأودية التابعة لها، ولنذكر منها : وادي (مرخه)، وادي (ضراء)، وواي (شرجان).

- وادي مرخه :

يقع إلى الجنوب من (قتبان)، وعلى هذا الوادي كملت دولة أوسان، حيث تم العبور على بقايا شبكات ري من سدود وقنوات⁽²¹⁾.

- وادي شرجان :

يقع على بعد 10 كم لواء وراه جبل (امعديه) شرقي (مكيراس) لما مجراه فيضيق بعد مجاوزته قرية (حسين). وفي هذا الوادي عثر على بقايا سد قديم بين مرتفعين صخريين، لما الجدران الحجرية القديمة للسد لما زالت قائمة، هذا جدار الجانب الغربي الذي يحتوي على قناة تصريف، كما نلاحظ وجود بركة في أسفل السد، يرى (B. Doe) بانها دليل على قوة الماء الذي كان يمر بالوادي أثناء الفيول، كما توجد وراه البركة، القناة الرئيسية التي تنفرع منها المياه إلى الجانب الغربي للوادي، إضافة إلى ما هناك من قنوات عديدة أري الأراضي الزراعية شرقا... (22).

- وادي ضراء :

يقع إلى الجنوب الغربي من منطقة (نصاب)، وفي أسفل (كرن الملاح) عثر على نقش (RES 4069) يتحدث عن ترميم منشآت ري في وادي (الجم)، المجري العلوي لـوادي (ضراء)، وفي الجهة الأخرى من الوادي عثرت بعثات للتقريب على موضع لتجميع المياه 1 مقترح على قناة واسعة. (23) وعند هبوط مياه وادي ضراء، هناك منطقة زراعية قديمة مهجورة حاليا عثر فيها على بقايا قناة ري.

- وادي بنا :

يتروود وادي بنا من رواده القلعة من مرتفعات (بريم)، ومن جنوب (رداع)، وأشهر تلك الروافد (المسقة)، ورواد (نمت) ذو الينابيع الحارة، ويصب هذا الوادي في خليج عدن على مسافة 48 كم (24).

- وادي تبين :

تزوذه مرتفعات جبل (ذي السفل) شمال (تمز)، ومصب هذا الوادي على هيئة دلتا لها فرعان رئيسيان 1 يشكل كل منهما حوضاً زراعياً كبيراً. وتبلغ مساحة مساقط وادي تبين (5900 كم²) (25).

- وادي حجر :

تخدر مياه وادي حجر من مرتفعات يبلغ علوها حوالي 1600م، لهذا نجد هذا الوادي ينساب هبوطه بيسر، بعدها يجري في سهل يتسع شيئاً فشيئاً حتى منطقة (نصاب)، حيث يلتقي بـوادي (ضراء) ووادي (عبدان). وقبل أن يأخذ حجر بالاتساع راح الأكدمسون يبنون مدناً شمال (بئر العوجه) في موقع يسمى (لم رحمة)، وهناك آثار لمنشآت ري من الحجر، ولقناتين كبيرتين بنيت لهما جدران حجرية، فكانت المياه المندفقة من الجبال تتجمع فيها فتصبها وراه السد، وترى الباحثة (بيرن Pirene) أن هذه المنشآت المهمة كانت ذات علاقة بالزراعة في الوادي الواسع حيث لا تزال تنتشر العديد من القرى الحديثة حتى (نصاب) مما يؤكد أن المنطقة كانت ذات خصوبة زراعية في العهد القديم (27).

5- أراضي دولة حضرموت :

يجب التنكير بأن نفوذ دولة حضرموت لم يقتصر على الوادي الذي يحمل اسم الدولة (وادي حضرموت) بل كانت تشمل مساحات واسعة، فكانت حدودها تمتد من مشارف تقيان غربا حتى حدود عمان شرقا شاملة (ظفار) أرض اللبان، وجنوبا حتى نطلق الجول الجبلي بما فيه من لودية متعددة تنسم بالخصوبة، حتى ساحل البحر العربي، كما تتبعها جزيرة سقطرة، أما شمالا فتنتهي حدود دولة حضرموت في صحراء الربع الخالي.

- وادي حضرموت :

يسمى في النقوش (س ر ر ن) سررن يبعد عن ساحل البحر العربي بحوالي (165 كم)، يسير بخط متواز للشريط الساحلي مسيرة (200 كم)، أما مساحته الكلية فتبلغ حوالي (2250 هكتار)، يمتاز وادي حضرموت بعمقه حيث يخترق الهضبة الشرقية الرسوبية ليشكل بذلك هضبتين جنوبية وشمالية.

عند الطرف الشرقي للوادي، حيث يتجه المجرى جنوب شرق ليصب في البحر هناك يمتد وادٍ آخر يطلق عليه (وادي المسيلة).

يستغذى وادي حضرموت خلال مسيرته من عدد من الأودية الجنوبية والشمالية، فالأودية الجنوبية تأتي من الهضبة الداخلية الكبرى، والتي يبلغ متوسط ارتفاعها حوالي (1350م)، أما مساحتها - ما بين وادي حضرموت والبحر - فتبلغ حوالي (200 كم)، أهم لوديتها من الغرب إلى الشرق : وادي (دهر)، وادي (رخيه)، وادي (عمد)، وادي (عينات)، وادي (يبحر). وهناك لودية أخرى حتى وادي (برهوت) وادي (سنا شرقا) (28).

أما الأودية الشمالية، فقلل عمقا واتكسارا، حيث تبدأ غربا بوادي (مر)، ووادي (هينن)، ووادي (نعلم)، ووادي (جميمة)، ووادي (مدر)، ووادي (الذهب)، ووادي (ثبي)، ووادي (تريم)، ووادي (نمون)، ووادي (عويدي)، ووادي (العبراء)، ووادي (كسم)، ووادي (الخوت)، ووادي (عردة)، ووادي (عصم)، ووادي (نم)، حتى وادي (ينهب شرقا) (29).

- وادي دوعن :

أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت، فعلى هذا الركاك، وعلى مسافة عدة أميال جنوب منطقة المشهد يمكن للمرء مشاهدة منشآت ري قديمة منتشرة على أرضية الوادي، فتبدو له على شكل روافي منقطعة بحجارة مختلفة الأحجام. من تلك المنشآت بقايا انقراض من المسالط الماتية، وفتحات تصريف، وأثار لقنوات رئيسية وفرعية، كما يلاحظ أن هناك حواجز طينية تربط المنشآت بعضها ببعض، وعلى الرغم من تاكلها إلا أنها تركت أثرا واضحا على لون ومسطح التربة، بيد أن معظم القنوات الصغيرة كانت

في الغالب تمتد بمحاذاة الأجزاء العليا من الحواجز الطينية هذه، حيث لم تكن هناك أي وسائل أخرى متطورة تربط مراكز التوزيع المديدة المبنية من الحجارة⁽³⁰⁾ وفي أسفل وادي دوعن نجد مجموعة من المواقع الأثرية تحمل اسم (رييون)، وفي إطار دراسة السري القديم في وادي دوعن كشفت البعثة اليمنية - السوفيتية خلال الأعوام 1983-1985م عن شبكة ري رئيسية في منطقة (رييون) القديمة تتغذى من مياه الأمطار الموسمية، التي كانت تملأ الوديان، وتتدفق من منحدرات الجبال، وهي عبارة عن قنوات رئيسية ذات امتداد طويل تتلقى بشبكات أنظمة لتوزيع المياه، التي تحول بدورها المياه إلى الحقول المزروعة، وتؤمن الاستفادة الكاملة من مياه الفيضانات لأغراض الري⁽³¹⁾.

وقد عثر على بقايا سد ضخم في تلك المنطقة، ومنشآت ري تقوم بحجز مياه السهول الجبلية وتوجيهها نحو المدرجات التي أقيمت بمحاذاة المنحدرات الجبلية⁽³²⁾ من خلال تلك الآثار البارزة لمنشآت الري، يبدو واضحاً أن منطقة (رييون) كانت مستصلحة زراعياً استصلاحاً جيداً، فقد بلغت إجمالي الأراضي المروية حوالي (1500) هكتار⁽³³⁾.

منشآت الري في شعب مرواح :

(شعب مرواح) رافد صغير يصب في وادي (دوعن) بين قرية المشهد (الحالية) و (مرواح)، وفي أسفل الشعب نجده يتسع فجأة مكوناً مثلثاً كبيراً. ولا يصب هذا الرافد (شعب مرواح) في وادي (دوعن)، وإنما نجده يلف حول جبال (مرواح) ليصب في وادي (العين)⁽³⁴⁾.

تبلغ مساحة الأرض الصالحة للري في هذا الشعب (75,5) هكتار توزع كالآتي :

60 هكتار الجهة الغربية.

9 هكتار الجهة الشمالية.

6,5 هكتار الجهة الشرقية.

لما أبرز منشآت الري فنجدما ظاهرة في الرقعة الغربية، ومن أهمها :

أ- القناة الأساسية :

تستمد هذه القناة مياهها من وادي دوعن مباشرة، ومنها تتفرع ثماني قنوات فرعية، تذهب مياهها إلى قناة التوزيع في (شعب مرواح)، ومنها تصب عبر قنوات فرعية أخرى إلى الأراضي والحقول الزراعية. أما المياه الفائضة من وادي دوعن فتذهب عبر قناة التوزيع لتروي الأراضي الغربية في (شعب مرواح) وكذا القناة الجبلية⁽³⁵⁾.

ب- قناة التوزيع :

تقع إلى الشرق من القناة الأساسية على بعد حوالي (200) متر، حيث تبدأ من مجرى (شعب مرواح) الذي يمتد إلى قناة التوزيع، حيث يبلغ طول القناة كيلومتر واحد،

ولم يتبق من آثارها إلا الجدار الغربي، أما الجدار الشرقي فلم يبق منه إلا جزءاً بسيطاً (36).

وتتغذى هذه القناة من مصدرين : -

أولهما : صخور جبال (الغولر).

وثانيهما : السيول المارة بوادي (دوعن) حيث توجد القناة الأساسية الموازية لها.

ج- القناة الجبلية :

تقع هذه القناة بالقرب من سفوح جبال (الغولر)، ومن الواضح أنها ترتبط بقناة الاستوزيع في (شعب مزلوح). وعلى الجدار الشمالي للقناة عنها بنى الأكمنون مخرجاً للمياه، لتذهب عبره هذه المياه إلى إرواء الأراضي الزراعية. وما برحت هذه القناة تعمل حتى وقتاً الراهن وتروي جزءاً من الرقعة الغربية، تقدر مساحتها بحوالي (9) هكتار.

لما اليوم فالري في وادي (دوعن) يتم كما كان سابقاً بمياه السيول، التي يتم التحكم بها بكسيات قليلة أو كثيرة عبر القنوات الأصلية والقنوات الفرعية، وكانت الزراعة متفرقة في الوادي عموماً.

- وادي عمد :

أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت، وهو عبارة عن سهل رملي منبسط تغطي طبقة غرينية تكونت بفعل الأساب، أما سيول الوادي فتتحد من قاع السيل الطبيعي بأعلى (حريضة) على بعد عدة كيلو مترات.

في عام 1937م زارت البعثة الانجليزية بقيادة (كاتن تومبسون Caton Thompson) وادي (دوعن)، حيث قامت بعمل حفائر في منطقة حريضة، وقد قدمت مهندسة البعثة (جاردنر Gardner) دراسة تناولت فيها مبادئ الري القديم في وادي عمد، وكشفت عن منشآت ري، متنوعة منها : قناة ترابية مرصعة بالحجارة تتحد من الوادي، عرضها حوالي أربعة أمتار. وتصل تلك القناة إلى ضواحي المدينة، ثم تستفرع شبكة من الجدول والقنوات الصغيرة ذات واجهه حجرية تروي الأرض الزراعية. (38)

في أعلى الوادي شاهدت (جاردنر) قاعاً لقناة عرضها حوالي 30 متراً، وعلى الرغم من تعرض هذه القناة لموامل التمرية، إلا أن آثارها ما برحت واضحة للعيان، كما لوحظ آثار لمد طي شكل (V) عرضه (3,50) متر، وهو الموضع البارز في مجرى السيل، وله ذراعان يرتكزان على ضفتين مبنيتين من الحصى، والمسافة بين هذين الذراعين على طول الضفة (85م) طول أحدهما (63م) وطول الأخرى (40م) وتنتهي أطرافها على ضفة الوادي. (39)

من خلال تلك الدراسة يتضح أن منشآت الري في وادي (عمد) تتألف من القناة الأساسية المغذية التي يتراوح عرضها ما بين 20 إلى 30 متر، ويعتقد أنها تبدأ من 16

مسترا، بأعلى الوادي ١ ثم تتسع عند أسفل المد الحجري، وهناك قنوات لريعية تكون صوبية على القناة الأساسية، مهمتها القيام بتوزيع الماء على أراضي الحقول، يتراوح عرضها ما بين (4-8 م) وترتفع (2م) فوق مستوى الأرض تقريبا. (40)

إن ري تلك الحقول الواسعة على ضفتي الوادي يتم عبر القنوات الصغيرة التي هي عبارة عن قنوات ضيقة قصيرة عرضها لا يزيد عن متر واحد، تبدأ في الظهور عند زاوية حادة سواء في القنوات الأساسية أو القنوات الفرعية.

لما عن تاريخ تلك المنشآت فنقول (كائن تومبسون) : " أن نظم الري في العربية الجنوبية لم يعرفه الأثاريون، ومن الصعب تحديد تاريخه، دون استنتاج آثار، فالترميمات المتواصلة للمسود والحواجز الصخرية والقنوات والروافد، واندماج الأصال القديمة مع الأصال الحديثة عبر الأجيال، كل ذلك طمس الشواهد التي يمكن من خلالها الاستدلال على تاريخ وماهية هذا النظام ". (41)

- وادي المعشار :

وادي صغير يمثل امتدادا لأودية (عرمة) و (العطف) يقع شمال غرب وادي حضرموت، ويصب في (رملة السبعين). يعتبر هذا الوادي أحد الأودية القليلة المياه إذا ما قارناه بأودية : (جردن)، و (مرخة)، و (لثة)، و (بيحان) ... التي تمتلئ بالمياه سنويا.

وعلى وادي (المعشار) قامت (شبوة) حاضرة حضرموت، حيث أنشئت على مخرج شبكة المياه بالوادي، تلك الشبكة التي تستقبل كل مياه الأمطار الموسمية للقائمة من المرتفعات الغربية.

أما آثار المدينة (شبوة) فما زالت منتشرة في تلك الهضبة (الباليوسينية) (للقاحلة اليوم). والسؤال الذي طرحه علماء الآثار : ما هي العوامل التي تسبب رخاء وزدهار هذه المدينة الواقعة على الصحراء؟

إن ازدهار هذه المدينة كغيرها من المدن الواقعة على حافة الصحراء إنما يعود إلى تحكمها بوسائل الري، فشبكة الري كما شاهدها (جلكين بيرن J. Pirenne) كانت هي العمود الفقري لانتعاش الحياة الاقتصادية، حيث عرف السكان الزراعة المروية المعتمدة على السيول الناشئة من الأمطار الموسمية. (42)

تقول (Pirenne) من خلال مشاهدتها لمدينة (شبوة) : " عندما صعدنا إلى الهضبة التي تحيط بالموقع من الجهة الشرقية، وعلى الرغم من الرمال التي غطت المنطقة، فقد استطعنا أن نشاهد قناة عريضة قديمة، ولو تتبعنا هذه القناة فإنا منصل إلى منطقة واسعة تحيط بشبوة من جهة الشمال الغربي، فكانت على ما يبدو تروى بهذه القناة، ويمكن مشاهدة شبكة أخرى من القنوات تتفرع من قناة عريضة قديمة أيضا، إلا أنها متهممة من عدة جوانب. إذن فنظام الري في (شبوة) كان يتم بواسطة تلك القنوات التي توزع مياهها عبر بوابات خاصة. بهذه الطريقة يستطيع المراء السيطرة على مياه الوادي، حيث يوجد عند منبع المياه مغالق حجرية تسمح بإغلاق المجرى. ولما اكتشف

- على أحد هذه المغالق الموجودة شرق (شبوّة) - نقشان ملكيان يعودان إلى القرن
الثاني قبل الميلاد. (43)

أما عن المساحة المروية في المنطقة فنقول (بيرن Pirene) عند رؤيتها للمدينة
من على متن طائرة هيلوكبتر : " عززت الرؤية الجوية ما كنا قد شاهدناه من قنوات
ري على وجه الأرض، كانت المساحة المزروعة هائلة تتجاوز بدرجة كبيرة الحقول
الحالية المحيطة بالمدينة، كما أنها كانت تمتد حتى منطقة تبدو اليوم صحراء، أي أن
المناطق المحيطة (بشبوّة) من كل الجهات كانت في يوم ما أرضاً زراعية خصبة" (44).

ويمكن الإشارة إلى أن دولة حضرموت قد بسطت نفوذها على مساحات زراعية
شاسعة، فالهضبة الجنوبية لحضرموت - التي تسمى (الجلول) أو (الوسط) كما جاء في
النقوش (س و ط م) (45) إنما هي منطقة غنية بالأودية المتشعبة الغزيرة المياه، وقد
كشفت بعثات التنقيب عن بقايا آثار لأعمال زراعية منتشرة في تلك الأودية، كما أن
حضرموت قد اعتمدت في أغلب نشاطها الزراعي على الأرض التابعة لها، ومنها
منطقة (ظفار) الواقعة في سلطنة عمان حالياً، وهي المنطقة الرئيسة المنتجة لأفضل
أنواع اللبان، وكذلك جزيرة سقطرى الغنية بمحاصيلها المرغوبة في تلك العصور.
وكانت حضرموت هي المنطقة الوحيدة التي أطلق عليها الكلاسيكيون بلاد اللبان في
شبه جزيرة العرب.

ب- إقليم المرتفعات الوسطى والسهول الساحلية :

يعتبر هذا الإقليم من أغزر المناطق مطراً، وأفضل التربة خصوبة حيث أسهمت
سيول (الحصم البركتية) (اللافا Lava) في تكوين تربة غنية بالمواد العضوية، التي
تتصف بمقها في المدرجات الجبلية والقيمن.

تستقبل هذه المرتفعات الأمطار وتقوم بتوزيع المياه في مختلف الاتجاهات نحو
الغرب لتجري في السهول الساحلية باتجاه البحر الأحمر، ونحو الشرق صوب صحراء
الربع الخالي، ونحو الجنوب باتجاه خليج عدن، وهناك بعض الأودية المحدودة تتحدّر
شمالاً، لقد حفرت تلك الأودية لنفسها مجاري صيقة في الصخور الرسوبية والأركية
للهضبة.

وأهم الأودية التي تصب في السهول الساحلية الغربية : وادي (مور)، وادي
(سردد)، وادي (مسلم)، وادي (موزع)، وغيرها ... وقد ذكرت للنقوش اليمنية
القديمة أسماء بعض تلك الوديان. (46)

وقد يتساءل المرء لماذا لم تبق المراكز الحضارية في الألف الأول قبل الميلاد في
المرتفعات الوسطى التي كانت ولا تزال من أخصب الأقاليم اليمنية؟

إن السبب الرئيس في ذلك التركز إنما يعود إلى الرغبة في السيطرة على الطريق
البحري طريق القوافل، التي تبدأ رحلتها التجارية من الموانئ الجنوبية : - كموثاء
(عدن)، و (قا)، و (موثاء)، (47) متجة صوب (ميفعه)، و (شبوّة)، و (تمنع)، و (مارب)،
و (قرنلو)، و (نجران) وهي في طريقها إلى الشام حتى تصل إلى البحر المتوسط.

لكن بعد أن فقد الطريق البري أهميته وتحول النشاط التجاري إلى البحر منذ مطلع
 انمبلا : استقل النقل السياسي إلى المرتفعات الوسطى حيث المياه الوفيرة والترية
 الخصبة، هاجمت مدينة (ظفار) عاصمة (حمير) على سفح جبل (ريدان) قرب ' قاع
 الحفل '، وقامت صنعاء العاصمة الثالثة لمها على سفح جبل (نقم) قرب حقل صنعاء،
 وشبام أقيان على سفح جبل كوكبان وقرب سهل (شبام). وقرب قاع البون قلمت مدن
 تاريخية هامة كمدينة (رودة)، و(عران)، و(ناعط) وغيرها .. كما ازدهرت : (البون)،
 و(جهران) و(نمار) و(رداع) غيرها. (48)

ثانياً : نظام الري القديم :

لقد اتضح جلياً أن اليمنيين عنوا عناية فائقة بالزراعة، وبتوسيع لراضيهم الزراعية.
 ولم يكن ذلك ليحقق لهم ما لم يتمكنوا من توفير المياه اللازمة لري تلك المساحات
 الشاسعة، ويمكن لنا أن نحصر مصادر المياه في اليمس عموماً فيما هو آت :

1- الأمطار .

2- السيول .

3- المياه الجوفية .

وفي سبيل الاستفادة القصوى من هذه المصادر الثلاثة، سخر اليمنيون طاقاتهم
 الفكرية وقدراتهم الإبداعية لأجل الاستغلال الدقيق والأمثل لتلك المياه ؛ لري
 الأراضي، وإنشاء شبكات ري واسعة، ومصارف لخروج المياه، وتوزيعها بانتظام على
 المرتفعات والمنخفضات من الأراضي الزراعية. وقد كانت طبيعة هذه المنشآت
 ومستوى إنشائها التكنيكي إنما يختلف وفقاً لطبيعة المنطقة للتضاريسية وكمية المياه
 المتدفقة والمتوفرة .

1- الري بواسطة الأمطار :

تشكل الأمطار أهم مصدر للثروة المائية، وكما هو معروف فإن مناخ اليمن يتميز
 بالتباين بين إقليم وآخر وأحياناً يكون هذا التباين داخل الإقليم الواحد ؛ لهذا نجد
 الأمطار ذاتها تتفاوت من منطقة إلى أخرى، فهناك موسمان مطيران : الموسم الأول
 صيفي في الفترة ما بين (يوليو وحتى سبتمبر)، ثم موسم آخر ربيعي يمتد من (مارس
 وحتى مايو)، كما تهطل أمطار في فصلي الخريف والشتاء على بعض المناطق اليمنية
 خاصة المناطق الساحلية .

أمسا الأمطار الغزيرة تتركز بشكل عام على المرتفعات الوسطى، حيث تتجه بعدها
 إلى نواح مختلفة منها لتزوي ما تصافه من السهول الواقعة في أطراف تلك
 المرتفعات. بيد أن كثرة تلك الأمطار غالباً ما تهدد بعض المناطق التي تتجمع فيها مياه
 الوديان، حينما تكون محملة بالسيول الغزيرة التي سرعان ما قد تملأ تلك الوديان في
 ساعات قليلة، وقد تجزف التربة والقرى معها، لذلك سوفذ المراحل الحضارية الأولى
 - برزت هذه المشكلة، وفكر اليمنيون في إيجاد حل لهذه المعضلة، والبحث عن بكتاية
 مثلى لاستغلال تلك المياه في فصل هطولها؛ من خلال السيطرة عليها أولاً، وتصريفها

إلى الحقول ثقيها، حيث يتم ذلك بشكل مقن ومنظم، بدلا من أن تذهب المياه هباءً منثورا في رمال الصحراء هراء، أو في البحر، جاءت فكرة بناء منشآت ري تنظم تلك العملية الإروائية.

فلمسى المرتفعات أقام الإنسان اليمني القديم نظام المدرجات التي تسمى في النقوش "الجروب" (ج رب)،⁽⁴⁹⁾ لو (ح ي ق)،⁽⁵⁰⁾ لو (ك ل و ت).⁽⁵¹⁾ وذلك لاستغلال مياه الأمطار في حينها للتو قبل أن تتلاشى من تلك المرتفعات، وتذهب سدى، دون الاستفادة منها ؛ من ناحية، ومنما من أن تجرف تلك المياه الغزيرة المدرولة معها ما تتمتع به تلك المدرجات الهندسية من تربة غنية من ناحية أخرى. فلم يكن لتلك المياه الهائلة في ظل هذا النظام المبكر - عندئذ - إلا أن تستقر في فواحي لتروي تربتها الخصبة تدريجيا بإطراد متناسق، بحيث تتساقب منحدرة من المدرجات العليا إلى مثيلاتها السفلى، وهكذا دواليك ...

وقد حشنا العديد من النصوص النسخية عن بناء تلك المدرجات، ومنها (نقش RES (340 Ry 5085 الذي عثر عليه في وادي (رخيله) من منطقة (عزان). وهذا النقش إنما يتحدث عن جماعات من عشائر : (يزن)، و(ذي كبرن) و(ذي يصب)، كانوا شيخوا مدرجات حقولهم العليا الواقعة في الوادي حتى مزرعتهم (حيفان)، وقد شيخوا، وسوروا من أعلاها إلى أسفلها بالجير والحصى بعون الإله "صاحب السماء" وبعون أربابهم الملوك : حكام ريدان ... وبعون قبائلهم : (ضيفتن) و(رثم)، وبعون معاونهم وصياديهم وحراسهم، كان ذلك في شهر (نو سربان) من سنة (560 حميري) الموافق 445م).⁽⁵²⁾ وهناك نقوش أخرى تتحدث عن بناء المدرجات على المرتفعات الجبلية.⁽⁵³⁾

2- الريّ المعتمد على السيول :

يعتمد هذا النوع من الريّ - كما أشرنا آنفا- على إقامة لظمة ريّ مختلفة، تمتاز بأحكامها التي تكفي منسجمة مع الشروط المكافية والمناخية للمنطقة، وطبيعة مصادر الماء ... ويمكن تقسيم وسائل الريّ بالسيول إلى قسمين من المنشآت والمؤسسات، هما على نحو ما هو أد :
1 : منشآت السدود :

تعتبر السدود من أهم المنشآت الإروائية التي أقامها كعماء اليمنيين، وقد جاء في النقوش لفظ (عرم) بمعنى السد، كما جاء في سورة (سبا الآية رقم 15) (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ثوابي لكل خمط وافر وشئ من سدر قليل).

وتتباين مواد بناء تلك السدود، فكان بعضها يبنى من الرمل أو الحصى أو الطين، وربما من أعصان الأشجار، وبعضها الآخر - وهو النوع الأكثر تطورا - كان يبنى من الحجارة الكبيرة الصلبة.. ويمكن تقسيم السدود إلى نوعين :

أ- سدود تحويلية :

ويمتاز هذا من النوع السدود ببساطتها، حيث تقام أساساً بهدف رفع منسوب مياه أسبويل المتدفقة في المجرى على الأراضي الزراعية المحيطة، وأيس للخزن. ويتوافر مثل هذه السدود أمكن الاستفادة من هطول الأمطار بشكل مباشر أولاً بلول، حيث كان يتم صرف مياهها عبر قنوات جانبية.. ومازال هذا النوع من السدود منتشراً في اليمن حتى اليوم، ويسمى (أباراً) أو (عوارض).

ب- سدود خزن وتصريف :

يبنى هذا النوع من السدود من الأحجار المرممة، حيث تقام تلك السدود في أضيق مكان من الوادي ؛ أي في الموقع الذي يبدأ فيه لتفكاع السيل، لما ما كان يترخى من أهداف من بناء هذه السدود، فهو :

1. درء خطر الفيول التي تتهمر بشدة، فتهدم القرى والمزارع وتجرف التربة.
2. رفع منسوب المياه في مجرى الوادي إلى الحقول الزراعية بواسطة نظام لرواقى دقيق عبر شبكات منظمة.
3. الاستفادة القصوى من تلك المياه لري الأراضي في فترة الجفاف.

وكان أغلب هذه السدود يشتم بضخامته وروعة هندسته، وخير مثال على ذلك : سد مارب الشهير الذي يعد من أكبر المشاريع الهندسية للري في شبه الجزيرة العربية، حيث كان في وجوده رخاء لسكان المنطقة، ووفرة في اقتصادهم الزراعي. وبقي هذا السد المعلق قلماً لأكثر من (1000) ألف عام، وكل آثاره الباقية على أنه رسم لكثير من مرة، وفي عصور متفاوتة.. فنظام التخزين فيه أعد بحيث يسمح بوصول السيل إلى الأراضي الزراعية عبر مصرفين كبيرين على جانبي السد، ثم تتوزع المياه - بعد ذلك - عبر قناتين رئيسيتين، ثم قنوات فرعية.

أما اليوم فلم يبق من السد سوى بعض أجزائه وقد قلعت للدولة مؤخراً بقتشاء سد عظيم في وادي (أدنة) في الجزء العلوي من مضيق جبل (بلق) على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً من السد القديم، ليقوم مقامه ويميد للحياة نظارتها، ويؤمن الرخاء لسكان المنطقة⁽⁵⁴⁾.

ومن المعروف أن كميات الفجرين التي يحملها السيل معه من الأعلى تتجمع خلف السد مع مَرَّ المنين، فيرتفع مستوى مجرى الوادي ويصبح في مستوى الأراضي الزراعية، وفي هذه الحال يضطر الناس إلى إقامة حاجز (سد) جديد في مكان آخر من الوادي، كما حدث في كثير من الأدوية، على أن هذا لا يحدث إلا في فترات متباعدة⁽⁵⁵⁾.
وقد ذكر لنا (الحسن الهمداني) عدداً من السدود في اليمن، منها سد (الخفوق) بصعده، الذي بنى - كما يقول - في أيام سيف بن ذي يزن، وسد (ريمان) في همدان... ثم يضيف قللاً : لما خرب سد (ريمان) نقص غول وادي (ضهر) إلى النصف، وسد (ميلان) في جنوب شرق صنعاء، وسد (جيرة) في إقليم (عنس) (الحداء)،

وسد (بيت كلاب) في ظاهر همدان، وسدود (يحصب) في دولة حمير التي بلغ عداها ثمانين سدا⁽³⁶⁾. كما ذكر ذلك شاعرهم في قوله :

وفي البقعة الخضراء من أرض يحيصب • ثمانون سدا تغطف الماء مائلا

2- مؤسسات القنوات :

كشفت بمئات الآثار - في كثير من المدن التاريخية - عن بقايا لشبكات ري متنوعة، منها القنوات. وبفضل دقة هندسة هذه القنوات وحسن توزيعها ؛ أمكن ضمان وصول الماء إلى الحقول الزراعية. وهي إذ تختلف في أحجامها بما يتناسب مع كمية الماء المستحق إليها ؛ فهي أيضا تختلف في تنوع أشكالها، فهناك قنوات مكشوفة وأخرى مغطاة، تتركب تلك القنوات في تفرعها من قنوات رئيسية - تسمى (عبر) جمعها أعبار - إلى قنوات ثانوية، يسمى الواحد منها : (شرح) وجمعها (أشراج)⁽³⁷⁾ وجمعها تتحكم في تصريف الماء بكميات قليلة أو كثيرة حسب الحاجة، يتم ذلك من خلال فتحات تصريف بعضها توزع للمياه عبر قنوات أصغر إلى المنطقة الزراعية المراد ريها. فالقنوات الرئيسية تحول الماء من السدود ؛ وتحملها إلى الأراضي الزراعية، ثم تتولى توزيعها إلى الحقول شبكة من الجداول المتداخلة وتظل تلك القنوات مفتوحة على الدوام، وبهذه الطريقة فإن السيل عندما يأتي فجأة في الليل أو النهار تتوزع مياهه تلقائيا على المزارع، كما أن تلك الطريقة تسبب في تسرب كثير من الماء إلى باطن الأرض، فيرتفع منسوب المياه الجوفية في الوادي، ويسهل بذلك الحصول على الماء عن طريق حفر الأبار في ذلك المكان⁽³⁸⁾. وهناك عدد من النقوش تتحدث عن بناء للقنوات وتسميها منها :

(RES 3911 , RES 3913 , RES 3915)

3- الري المعتمد على مياه الغيول :

تنتشر في اليمن العديد من الغيول خاصة في المناطق التي تتلقى أكبر كمية من مياه الأمطار، والغيول عبارة عن مجاري مائية تستمد مياهها من العيون، وتتصف هذه المجاري بكونها دائمة الجريان، ويتم توزيع مياه الغيول على المزارع عن طريق نظام (الحاصصة) الذي يقضي بأن يحصل المزارعون على مياه الغول حسب مساحة الحقل المزروع، ويحسب ذلك بوحدة الزمن، ويخضع هذا النوع من الري للإشراف ؛ كجزء مستمر لعملية الري المعتمد على الغيول حيث تنتشر ظاهرة إقامة الخزانات ؛ التي يتعاون على بنائها المزارعون المستفيدون منها، ويوزع منها الماء إلى الحقول المختلفة، وفق طريقة حساب الزمن. مازال هذا الأسلوب متبعاً حتى اليوم⁽³⁹⁾.

4- الري بواسطة المياه الجوفية :

لم تكن مياه الأمطار والسيول المصدر الوحيد لإرواء الأراضي الزراعية، بل هناك المياه الجوفية المخزونة في باطن الأرض، التي تشكل مصدراً هاماً من مصادر المياه في اليمن، لقد ساعدت طبيعة التكوين الصخري لليمن على حفظها والحيلولة دون

تعرضها للتبخر. وتظهر تلك المياه الجوفية على شكلين : أما على شكل عيون وينابيع عذبة، وأما على شكل آبار يقوم بحفرها الإنسان .

تمثل الأرض المزروعة بواسطة المياه الجوفية المرتبة الثانية في نظم الري بعد الري المعتمد على السيول، فكثر من الأمطار تتسرب إلى الأعماق وتشكل مخزون المياه، فالبحيرة الجوفية توجد على عمق 40 متراً في بعض المناطق. واستنباط مياه الآبار قديم جداً، ففي النقوش نجد لفظة (ن ب ط)⁽⁶⁰⁾ نبط بئراً، أي حفرها، وقد تم العثور على مجموعة من النقوش تتحدث عن الآبار وتملكها، أما طريقة استخراج الماء من البئر فكان يتم بواسطة أداة تسمى (ث ق ل)⁽⁶¹⁾ ربما شبيهه بالدلو، أما جلب الماء فيطلق عليها لفظ (ن ز ح)⁽⁶²⁾ التي غالباً ما نستخدم للدلالة على جلب الماء من البئر، ومازال هذا اللفظ سائداً في بعض المناطق من حضرموت، وبعض من القرى الأخرى في الريف اليمني. ومن اليسير أن يلاحظ المرء هنا : أن الجرب الزراعية المعتمدة على المياه الجوفية أن تزرع باطراد طوال العام دون توقف.

5- الصهاريج أو الكريف : (63)

لقد تمكن اليمنيون قديماً من التحكم بمياه السيول المنحدرة في الأودية : عن طريق إقامة منشآت ري متنوعة يتم توزيعها على الأراضي الزراعية، كذلك تمكنوا - في المناطق التي تخلو من المياه العذبة - من حفظ مياه الأمطار داخل خزانات تحفر غالباً في الصخر، وتبطن بمادة لا تسمح بتسرب الماء من خلالها. وكان الهدف من خزن تلك المياه هو : إما أن تكون للشرب، وإما للاستعمال المنزلي.

وتنتشر الصهاريج في اليمن فوق المرتفعات الجبلية، مثال: مرتفعات لواء (ب)، كما نجد آثار تلك للصهاريج فوق الجبال التي كانت بها تحصينات للمراقبة على طول سواحل اليمن، وفي بعض الجزر المجاورة لها، وقد عثر الأثريون على بقايا صهاريج كانت تستعمل في العصور القديمة كصهاريج (حصن الغراب) حيث موقع ميناء (قنا) المشهور قديماً. لكن لكبر عدد من الصهاريج كان في وادي الطويلة من مدينة عدن، فقد حصرت عند الاحتلال البريطاني بقايا أكثر من خمسين صهريجاً، ولا عجب في ذلك لأن مدينة عدن بصفتها ميناءً هماً كانت موقفاً للتجار من جميع أنحاء العالم، وسوقاً رائجة لتجارة الشرق والغرب، ومطمعاً لكل من يرغب في الكسب الوفير، فكان من الطبيعي أن يزداد عدد سكانها فتزداد بالتالي الحاجة إلى الماء⁽⁶⁴⁾.

متى بنيت صهاريج عدن؟ من المعلوم أن هذه الصهاريج لم تبني في وقت واحد كما يعتقد بعض الناس، وإنما تكاثرت مع نمو المدينة وزيادة عدد سكانها، لذلك لا يصح أن ينسب بناؤها كاملاً لدولة من الدول التي سيطرت على عدن، ولا إلى أي عصر من العصور. ومما يؤكد ذلك التباين في البناء أن صهاريج الطويلة ترجع إلى عهود قبل الإسلام، وقد أيد هذا الرأي العديد من العلماء من بينهم العالم الصوفي (شيرجي) وخير الأشرار الباكستاني (ميلان عبد المجيد)⁽⁶⁵⁾ فهناك تشابه كبير بين صهاريج عدن القديمة وصهاريج (حصن الغراب) (بئر علي) حالياً بالقرب من مدينة المكلا.

6- كيفية الانتفاع بالماء :

حدثنا بعض النفوس عن كيفية الانتفاع بالماء في اليمن القديم، منها نقش (CIH 615) و (CIH 570) و (RES 4907) (CIH 973) و (RES 423) = (GL 3687) ونستنتج من تلك النصوص النقشية أن المياه ملكية جماعية، فإذا توزعت الأرض بين الدولة والمعبد، والملاك من الأعيان وغيرهم، نجد الماء يظل دوما ملكية الجميع، ويوزع حسب نظم وأصول متبعة.

فالمالك ليس له سوى حق الانتفاع ببعض القوات في أوقات معلومة وبقدر معلوم، ويتم التوزيع المؤقت والمنظم لجميع مياه السيول والفيضانات وفقا لنوع المحصول ولطبيعة الموقع، وتعرض تلك النصوص النقشية أيضا للأطراف المشاركة في تقسيم الأرض. فالانتفاع بالماء يسجل بمرسوم صادر عن المكرب (الملك)، أو المعبد، أو مجلس الشيوخ كطرف أول ؛ أما الطرف الثاني فهو صاحب النقش الذي يباشر ويشهد على منح حق الانتفاع من الماء، ومعظم مؤلفي النصوص النقشية من الشخصيات الرسمية⁽⁶⁶⁾ وغالبا ما يوجد إشراف على تنظيم أمور الري، فهام المشرف تتمثل في: تنظيم وتوزيع الماء إلى الحقول، وفرض النزاعات الناجمة عن توزيع الماء⁽⁶⁷⁾.

ويسمى المشرف أو القائم بمهمة توزيع الماء - في عهد الحسن الهمداني (القرن العاشر الميلادي) - (الدائل). كما حدثنا الهمداني أيضا عن أسلوب تنظيم ري الحقول في وادي (ضهر) - كنموذج لعملية الانتفاع بالماء - وفقا لأصول تتابع السقي فيقول : ' يتم ري الحقول حقلا يلي الآخر، ولا يجوز للسلطان (صاحب النفوذ) أن يظلم في ذلك لا اليتيم ولا أهل الزمة، وإذا حدث يوم من الأيام أن خدم السلطان ضحكوا للماء إلى كرمه بلا علم (الدائل) قام بخلاف دواليه كلها، دون أن يخاف غضب السلطان، وحتى إذا كان حقل إنسان ما ذا أوض غرينية أو غير مغلوحة، أو صاحبها في بلاد الروم أو في أي مكان آخر، فجها تسقى عندما يحين دورها ؛ حتى وإن لم يكن بها شيء، فيجري تتابع السقي من أسفل الوادي إلى أعلاه...⁽⁶⁸⁾

ثالثا : ملكية الأراضي الزراعية :

عرفت اليمن بأراضيها الزراعية الشاسعة فملك الأراضي لابد لها من نظام تملك ؛ ليسهل الحفاظ عليها، والعناية بها، لذا وضعت أسس منظمة لأشكال ملكية الأراضي الزراعية كان لها أثر كبير وفعال على النشاط الزراعي في اليمن القديم، وقد ذكرت لنا النفوس ثلاثة أنماط لملكية الأرض هي :

- 1- ملكية الدولة.
- 2- ملكية المعبد.
- 3- ملكية خاصة، وتشمل :
 - أ- أراضي خاصة بالملك.
 - ب- أراضي خاصة بالأعيان.

ج - أراضي خاصة بالأفراد.

1- ملكية الدولة :

يمثل هذا النوع من الملكية الشكل الأول من أنماط ملكية الأرض الثلاثة، والأساسي للملكية العامة، فالدولة في الغالب تستحوذ على أكبر وأوسع الأقاليم الزراعية وأكثرها خصوبة، فهي أما ملكية الدولة بحدودها وأقاليمها أو ملك لمدينة وفقاً للنظام الإقليمي، أو ملك لقبيلة فقد لوضحت لنا النقوش أن لكل مدينة أو قبيلة مناطقها وجنتها وعرها (جبالها) وأوديتها ومراعيتها. (RES 3945) وتضاف إلى تلك الأراضي الخاصة بالدولة أراضي جديدة تكتسبها أما بحكم السلطة أو بعد انتصارات حربية حققتها، وخير مصدر أفادنا بمعلومات عن ذلك النوع من الملكية هو النقش قف الذكر (نقش النصر)، الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، في هذا النقش يحدثنا للمكرب (كرب إل وتر) عن انتصاراته الحربية الكبيرة على كثير من الأقاليم في جنوب وغرب وشمال اليمن القديم، وبفضل تلك الانتصارات الجبارة تمكن (كرب إل) من إخضاع لأقاليم كبيرة لنفوذه، وحديثاً أيضاً عن كيفية توزيع تلك الأقاليم التي صلاها، فقد قام بتوزيعها على النحو التالي :

1- أقاليم زراعية شاسعة وخصبة لملكه الخاص.

2- أقاليم خصبة أيضاً للمقه ولسيا.

3- أقاليم قسمت على من حاله في تلك المعارك.

ذكر هنا الأقاليم التي صودرت وألت للدولة (المقه وسبا) ودخلت ضمن ملكيتها : في سطر 8 : 'سلم دهن (يافع) وتبن ودثت (دثينه) إلى المقه و سبا'.

المطر (9-13) 'كما سلم (يزحم) و (قسه) و (ائه)⁽⁶⁹⁾ ومنطقته وأعر لره ولوديته ومراعيه إلى المقه و سبا' .. كما أخذ (كرب إل) كل (قسط كحد) أحراراً وعبداً ولولادهم وأموالهم ورجالهم من (يلاي) و (شيمان) و (عبره) ولولادهم وأموالهم ملكاً خاصاً للمقه وسبا'.

سطر (14-15) 'كما استولى على أرض (نشن) ومنطقتها للمقه ولسيا .. وهزم (سبه يفع) (70) و (نشن)، وأعاد المناطق التي وهبها له ملك سبا إلى المقه و سبا'.

هذا نموذج من الأراضي التي يمكن أن تحصل عليها الدولة وتدخل ضمن ملكيتها، أي تصبح ملكية عامة، ومن الملاحظ أن تلك الأراضي عندما تصادر؛ تسجل باسم الدولة وإلهها. وبما أن الملك خليفة الإله على الأرض، فله حق الإشراف عليها واستغلالها واستثمارها ذلك ما يؤكد لنا النقش لقبتاني الذي سجله ملك قبان (شهر يجل) الذي يعود عهده إلى القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً (RES 3688) يقول النقش : 'الأرض ملك الإله (عم) وعلى كل الرعيا أن يعصموا بحبله، وملك قبان (شهر يجل) له كل الحق في أن يشرع باسمه ويعين الرجال (أرباي) ملكاً على أرض (عم) وفق وثيقة سواء كانت الأرض عامر لم عامر⁽⁷¹⁾

برغم تلك الامتيازات التي يحصل عليها الملك فيما يخص أراضي الدولة، إلا أننا نجد أن قرار الانتفاع بتلك الأراضي بيد مجلس الشيوخ، حيث يتم ذلك بمعد اجتماع لروساء القبائل وأعيان المملكة يتداولون فيه الرأي في استثمار الأرض، وتقسيمها على القبائل والمشارير والفلاحين، وبعد أن يتفقوا على الأسس، يرفعونها إلى الملك الذي بدوره يقوم بالمصادقة على ذلك القرار⁽⁷²⁾.

وفي قتيان منح الملك إدارة المعبد حق استقلال أراضي الدولة كنوع من توثيق الترابط بين المعبد والسلطة، ويفضل هذا الحق حصلت الإدارة على جزء من دخل الأراضي، وشرعت التشريعات الخاصة بذلك⁽⁷³⁾.

كما لمالك فهم جميع المواطنين لأحرار الذين يتمتعون بكامل حقوقهم كما جاء في النقوش التالية : (Ja 540) (RES 590 , 911 , 942).

2- ملكية المعبد :

تمثل ملكية المعبد الشكل الثنائي من أشكال ملكية الأرض، إذ يتحصل المعبد على الأرض عن طريق الانتصارات العسكرية للدولة، وعن طريق الهبات والذورات الأوقاف ؛ حيث كان للمعبد لوائح حبيسة عليها. وتمتاز أراضي المعبد بخصوصيتها، وكثرة منشآتها الإروانية ... فمن الامتيازات التي تحصل عليها أراضي المعبد إعفاؤها من الضرائب ؛ لهذا نجد الإقبال على استثمار أراضي المعبد كبيرا، والمعروف أن هناك أسرا معينة متصلة دوما بالمعبد، أي تقوم بإدارة المعبد وتستثمر أراضيها، إلى جانبها نجد سادة المشارير من المنتفعين بأراضي المعبد وعليهم تمرر أحكام وثيقة (و ت ف)⁽⁷⁴⁾ وما يؤكد ذلك تلك النقوش التي تتحدث عن الأملاك الواسعة لمعابد الإله المقه في سبأ.

3 - الملكية الخاصة :

هناك عدة أشكال للملكية الخاصة للأراضي الزراعية ؛ أبرزها شكلان ؛ هما :

أ- أراضي خاصة بالملوك والأعيان .

ب- أراضي خاصة بالأفراد .

أ- أراضي خاصة بالملوك والأعيان :

إلى جانب أراضي الدولة - التي يقوم الملوك بمهمة الإشراف عليها والتصرف بها - هناك أراض خاصة بالملوك والأعيان ممجلة بأسمائهم، يتم التصرف بها بشكل مباشر وبشروط بسيطة، ثم يؤجرونها لمن هم دونهم بشروط أكثر تعقيدا، وقد تؤجرها الملوك لقبيلة ما، وتكون القبيلة مسئولة كلها أمام الملك على الأرض. وفي الغالب نجد سادات القبائل هم الذين يتصرفون بالأرض المستأجرة، فيؤجرونها على أتباعهم بشروط معقدة.⁽⁷⁵⁾ أما ملكية الأعيان أو كبار سادات القبائل فتجدها تتوسع بشكل كبير منذ مطلع السيلاد، في فترة أشد فيه بأسهم وأصبحوا في مكانة الملوك، فأملكتهم تشمل الحقول والبساتين والينابيع والقنوات والجبال والأودية ...⁽⁷⁶⁾

ويبين نقش عثر عليه في قصر (حنكان) بالرحبة،⁽⁷⁷⁾ عن هبة قمها الإله (تألب) إلى ملك (سمعي)، ومنه يتضح ما تركه من ممتلكات سواء كانت ميراثاً أم شراءً أم إيجاراً أم دخلاً : طالما يمنحه إياها الإله الخاص بسمعي، والملاحظ أن بعض زعماء القبائل كانوا يمتلكون أراضي خارج نطاق مناطقهم.⁽⁷⁸⁾

ب- أراضي خاصة بالأفراد :

تأتي ملكية الأفراد في المرتبة الأخيرة، فالمالك من الرعايا البسطاء يمتلك قطعة أرض : يحصل عليها أولاً من الدولة، ولما من سادة القبائل لو من المعبد. وتقع الأراضي الخاصة بالأفراد غالباً في منطقة أقل خصوصية من الأراضي السابقة، كما تشتم بصغر مساحتها. ويطلق على فئات صفار الملك (ق س ط)⁽⁷⁹⁾

وهناك نقش قتبتي (RES 3856) عثر عليه في موقع (أم مرجلة) وادي (ضراء)، كان قد دونه شخص من قبيلة (كسم)، قام بأعمال ري زراعي، وراح يحدد في هذا النقش ما يملكه من أرض، كما يشهد على شرعية الملكية أشخاص من قبيلة.⁽⁸⁰⁾

رابعاً : استثمار الأراضي الزراعية والقوانين المنظمة لها :

ظاهرة استثمار أراضي الدولة، أو المعبد أو الملك أو الأعيان، ظاهرة بارزة، بل وأساسية في مجال النشاط الزراعي لليمن القديم، فقد حثتنا النقوش عن عدة أشكال لاستثمار تلك الأراضي التي تتم وفقاً لقوانين تمنها الدولة، وتنقشها المجالس التشريعية، ومن ثم يصادق عليها الملك. وتهدف تلك القوانين إلى ضمان تطور العملية الزراعية، والحيولة دون حدوث نزاعات على الأرض، فالوثيقة التي تجمع بين الملك والمستأجر أو المشتري تسمى (و ت ف)، فهي تضمن حقوق الملك والمستأجر، وحدد بها كيفية توزيع المحصول الزراعي حسب خصوصية التربة، وتوافر مصادر الماء، ولقد خلقت تلك الوثيقة جماعات مستقرة تعمل متحدة في سبيل إغناء الدولة، والقضاء على التمزق الداخلي، ويعد هذا في حد ذاته تطوراً أساسياً كبيراً.

1- أراضي زراعية مؤجرة أو مستأجرة :

يطلق على ذلك النوع من الأراضي (ق ب ل)⁽⁸¹⁾ ضلع، أو (م ق ب ل ت) لرض متقبلة ، أو (ل ج أ) جمع (م ل ج أ).

حدثنا نقش (Ja 541) عن أراضي الملك السبئي (كرب إل وتر) التي استقطمها لبعض سكان مدينة مارب للانتفاع بها، ففي النص النقشي يحدد تلك الأرض للمستأجرين، فالأشخاص الذين تسلموا تلك الأرض لم يكونوا مالكيها، وإنما كان لهم حق الانتفاع فقط، بينما حق الملكية في يد الملك.

المعبد من النقوش التي عثر عليها في المعابد عبارة عن نصوص عقود إيجار واستئجار لأمالك المعبد، أي للأوقاف المحبوسة، وقد ذكر المستأجرون الشروط التي اتفقوا عليها مع المعبد مقابل استئجار الوقف، وإذا كان المستأجر غير شخص أو مؤسسة من شخص أو مؤسسة من شخص أو مؤسسة من شخص، فإن من حقه الاستقالة من الأرض، فما كان عليه للمعبد في مقابل استغلال الأرض، فما كان عليه للمعبد في مقابل استغلال الأرض، فما كان عليه للمعبد في مقابل استغلال الأرض.



الاتفاق معه على المساهمة في استغلال الاستثمار. على شرط أخذ موافقة رجال المعبد وإدخال اسم الشخص الثاني في العقد، كي يكون مسؤولاً شرعياً عند تنفيذ شروط العقد في حالة عدم تمكن زميله من تنفيذها. (82)

2- استغلال الأرض مقابل ضريبة :

هناك نوع من شركة الأرض تتم بين كبار الملاك المنتفعين، أي يتم خلالها استقطاع بعض أراضي الدولة لفئات معينة، ثم يعين عليهم مسؤولاً لجني تلك الأراضي وما عن ذلك من ضرائب، والقيام بتنفيذ ما جاء في ذلك القانون. ومن تلك القوانين التي سنت في ذلك، نصير هنا إلى قانون الملك القبطي (شهر هلال بن ذرا كرب) الذي أصدره لشعب قبان (وذي عشن)، و (معين)، و (ذي عثم) أصحاب أراضي (شرو)، وبموجب هذا القانون تم وضع الأصول التي ترشد الشعوب الأربعة إلى كيفية استغلال الأرض بصورة مثلى، كما حدد القانون عينة الأعمال المترتبة عليها، وألزم المخالفين بفرض العقوبات عليهم في حالة عدم الالتزام، وحدد القانون أيضاً الموظف المسؤول الذي له حق تنفيذ ما جاء في القانون (83).

كما يوضح لنا نقش (RES 3689) أن أرض قبان هي أرض الإله (عم)، وملك قبان (شهر يجل) يشرع باسمه ويعين رجال (لربي) منتفعين بأرض (عم) سواء كانت الأرض عامرة لم عامرة .

ثم يأتي الملك (شهر غيلان) ويضع سجل قبيلة (كحد) في وثيقة، وذلك عبر كبيرها المكلف بتحقيق رابطة الولاء للملك والمعبد، ثم جبية عشر المحصول من الأرض المسقية والبعالية (84) نقش (RES3688) .

3- بيع وشراء الأراضي الزراعية :

هذا شكل من أشكال الاستثمار، إذ نجد أن مسائل البيع كانت مائدة آنذاك، فكما سنرى اليمينيون القانون لتثبيت حقوق المالك والمستأجر، نجدهم أيضاً يسنون القوانين لتحديد شروط البيع والشراء، فمن النقوش الخاصة بالعقود نذكر منها ثلاثة نقوش، هي : (RES 3436 , GI 53 , RES 4771) ولعل من سمات هذه النقوش أنها تحدد لوصاف الأرض، ومساحتها، ومصدر الماء الذي تروى به وكيفية إروائها، وبأي الوسائل المائية التي ينبغي أن تروى بها، وما إلى ذلك ليكون ذلك موثقاً لدى البائع والمشتري، فإذا وقع خلاف بينهما يرجع إلى نصر اتفاقية الشراء.

وهناك نقش سبني آخر هو (RES 4759) يتحدث فيه (بنو رشيان) عن أرض اشتروها مغروسة بالنخيل، وحددوا كل شيء بدقة متناهية، وطبيعة الأرض التي اشتروها، والتي كان ما هو منها عبارة عن بساتين منها ما يتصل بتلك البساتين. وحددوا السواقي التي تسقي البساتين المشتراة، والمنايع التي تأخذ منها المياه إلى مجاريها في ملكية المشتري، وحددوا ما هو لهم من الأشجار المغروسة على جانبي

مسائل الماء وحقوق الانتفاع بالماء، وحقوق عائد الأثمار المجنبة من تلك الأشجار المزروعة على جانبي الممايل إلى غير ذلك من أمور تتعلق بالبساتين.

وهناك نقش آخر شبيه تماماً بهذا النقش هو (RES 4781)، بيد أن سؤالا يبرز لنا هنا هو : كيف كان يتم تحديد الأرض الزراعية عند البيع أو الشراء؟

لقد تحدثت بعض النقوش عن تحديد الأرض الزراعية، وإعادة تقسيمها ؛ أي تثبيت ملكية المنتفعين، فإذا كانت الأرض خاصة بالدولة، أو الملك، أو القبيلة نجد الملك هم الطرف الأول في تحديد الأرض ويكون المشتري أو المنتفع هو الطرف الثاني. وكان أمر تحديد الأرض يصدر عن مجلس الأعيان، وفي الواقع كان يوضع على أطراف الأراضي المراد تحديدها ؛ علامات تسمى أوثانا ومفردها (و ث ن)، (CIH 366/2 RY 637) وهي عبارة عن أنصاب من الحجر يكتب عليها تاريخ الشراء ؛ لتكون بمثابة صكوك تملك، لا يجوز التناول عليها، لو نزعها من مكانها، لو تغيير موقعها ؛ لأنها حق، وقد أمرت الآلهة بقدسية الحق، لذلك فالمرء الذي يتناول على ذلك الحق ؛ تلحق به لعنة الآلهة، فنصيبه بالبلاء والأذى ... فهناك نقش (CIH 392 RES 4088) تبرز توصل الأشخاص للإله، وما يقتضون له من القرابين ؛ لأنه حفظ لهم (وثن ملكهم).

أما الشهود على وثائق توزيع الأرض، أو توزيع الماء فهم من أعضاء مجلس الأعيان، الذين يوكل إليهم اتخاذ الإجراءات الرسمية، ومن ثم يسهرون تلك الوثائق بإمضاءاتهم المعتمدة. وقد نجد رئيس القبيلة يقوم بدور الشاهد وكذلك القبيلة بأسرها.

4- جباية الضرائب الأراضي الزراعية :

تمثل الضريبة أداة هامة لضبط الاقتصاد، وقد أثبتت الدولة في اليمن القديم سياسة رشيدة في جباية الضرائب، ساهمت بشكل كبير في تطور وازدهار الحياة الاقتصادية. وتذكر لنا النقوش أنواعاً مختلفة من الضرائب التي كانت تؤدّ للدولة أو للمعبود، منها : (ث ر ي)، (86) و (ح ص م)، (87) و (ك ب و د ت)، (88) و (ر ز م) .. (89) والذي يهمنا هنا ضريبة الأرض الزراعية، كيف شرع لها ؟ وما مقدارها ؟ وكيف تجمع ؟ ومن كان المشرف على جبايتها ؟

يسبدو أن الضريبة كانت تختلف باختلاف المحاصيل ؛ من حيث الكثرة ونوع الغلة، كما أن الضريبة يمكن أن تجنى من القبيلة، والتي بدورها تقوم بتوزيعها على الفلاحين بعد أخذ رأي مجلس الأعيان وموافقة القبيلة، فالملك هو الذي يسنّ القوانين الخاصة بالضريبة التي يصادق عليها مجلس الأعيان. وهناك مرسوم أصدره الملك المسيني (ابكر ب ملك وقار بن يدع إل) خاص بالأرض والضرائب لمدينة (صرواح)، وذكر النص أسماء من شهد على ذلك المرسوم (90).

ومن النصوص الخاصة بالقوانين الضريبية ذلك النص (GL 1602) (91) الذي يتحدث عن الضرائب لأراضية التي أمر الملك القبطي (شهر يجل بن يدع لب) بتحصيلها من جماعة (لوبي عم لبخ) أي أتباع الإله (عم) القاطنين في لوص (لبخ) ؛

وذلك في موسم الحصاد وجمع الثمار، حيث حدد هذا النقش : الضريبة التي يجب على المزارعين دفعها للدولة، والضرائب التي يجب دفعها للإله (عم) وللإله (عثر) ... ووقع الملك هذا الأمر الملكي في معبد (عم) رب (لبخ) في إي (غولم) وتتألف من الأربي - وهم طائفة معبد الإله (عم) - من أسر مجمع بينها صلة القرى، وقد كان لهم رؤساء يديرون شؤون الطائفة ؛ نكرم الملك في نقشه هذا، وهم : معدي كرب ، وبن هوبر، ود إل بن رباح، وأخوهما. وقد قصد الملك من ذكرهما في هذا النقش أنهما مسؤولان عن جمع الغلات، ودفع ما على أتباعهما إلى خزائن الدولة، وإلى خزائن المعابد التي في أرض (لبخ). ويفهم من وثائق مماثلة لهذا الملك : أنه فوض أمر استغلال وادي (لبخ) لأتباع الإله (عم) مقابل شروط حددها الملك عنه، وهي عبارة عن ضريبة الأرض والغلال له ولمعبد الإله (عم) و (عثر).
يفضل تلك الوثائق النفسية استطعنا معرفة نظم الجباية والضرائب في دولة قتيبان بشكل خاص، والدول اليمنية الأخرى بشكل عام.

فقد حددت الضريبة بالمشر حيث جاء في نقش (GL 1601) : عشر كل الغلال الصافية، وكل ربح يأتي من التزلم أو من بيع أو من أرث : فقد حصر هذا القانون ضريبة المشر في الأرباخ المتأتية من هذه المكاسب الأربعة، وتجنّى هذه الضرائب لخزنة الدولة أو المعبد. وقد وردت إلينا كثير من النقوش ؛ يتحدث أصحابها عن ما قدموه من ضريبة المشر طواعية دون أي إكراه، فهذا هو القيل (دومان يازم) من أقيال شيمان ... ولتباعه قدموا للإله (المقه) ضريبة المشر من مزارع (القياط) التابعة لهم، ومن حقولهم المسقية، ومن أوديتهم، ومن كل ممتلكاتهم ... وذلك في موسم (القياط) من سنة (ودد إل بن أب كرب بن كبير خليل الرابع) ... (نقش إرياتي 22) (92).

نومن / يازم / بني / ذغومن / لبل / بيتن / ذرحن / ويحضر / قول / شعبن / غيمن /
ولرعوهمو / ... هقسيو / المقه / ثهوان بعل لوم / عشم / لنت / خرمهو / المقه / بعل /
لوم / اقو / مستوفين / دعت / كونت / بمقوضهمو / ولرضهمو / واسرهمو / وبكل /
مكتتهمو / بقوض / بخرف / ودد إل / بن أب كرب / بن كبر خل / ريعن / ... *

كما حدثنا (أرياتي 26) أيضاً عن نفس الموضوع ، حيث جاء فيه : 'سعد لوم (سعد) ولخوه (أحمد لزد) ... قولا قبيل بكيل كما للإله المشر الذي عشراه من غلات العثر والمقالي التي جاء بها إله في موسم (النشا) و (الصراب)' (93).

وقد تبنى الإسلام ذلك المقدار (المشر) وأصبح المشر الضريبة الإسلامية من مختلف أنواع الأراضي الزراعية للبلع والمقاي.

لما من بجني المشر؟ فهناك مشرف مسؤول عن جمع تلك الضرائب، يسمى (ق ن ت) (94) ويذكر لنا نقش (GL 1601) بالتفصيل كيفية الإشراف على جمع الضرائب. جاء في النص النفسي أن كبير قبيلة (كحد) هو الذي سيتولى أمر هذه الجباية والإشراف على تنفيذ القانون وتطبيقه على كل فرد من أفرادها من تاريخ تعيينه كبيراً على هذه

القبيلة، وتولى من خلفه في هذا المنصب أمر الجبابة، ويمتبر هذا الأمر نافذاً من شهر
.... بأمر ملك قتيان

وأكدت لنا النقوش الحرس الشديد الذي توليه الدولة لجبابة الضرائب ومعالجة
المهملين، لذا نجد قوانين جمع الضرائب قد حددت فترة الدفع، ومن أمثلة ذلك : نجد
الملك القتيباني (شهر هلال بن ذرا كرب) يحدد فترات الدفع بدءاً من أول شهر (ذو
فرعم)⁽⁹⁵⁾ إلى السادس من شهر (ذى قحور)⁽⁹⁶⁾ ويشترط الدفع يوماً فريوم وشهراً فشهراً.
(97)

ولضمان تحصيل هذه الضرائب كان للدولة الحق في الاستيلاء على المحصول؛ إذا
اقتصت الأحوال ذلك، فهي تستولي على القدر الكافي لتسديد الضريبة. وكلفت هذه
الطريقة قاصرة على محصول الدقيق (ط ح ن م)، أما غير ذلك فالدفع نقداً (و ر ق م)
ويطلق على النفع بضاعة (د غ ت م). أما المحصول المصادر فيطلق عليه (ر ز م)⁽⁹⁸⁾.
خامساً : المحاصيل الزراعية :

لقد كان لتنوع الطبيعة التضاريسية، وخصوبة التربة، ووفرة المياه المتعددة
المصادر، والمناخ الملائم في اليمن القديم، أهمية فريدة انعكست على تنوع المحاصيل
الزراعية، فمئذ الألف الأول قبل الميلاد، بلغت الزراعة لوج تطورها ؛ بن واتخذت
لنفسها مميزات السلعة، فانتشرت زراعة الحبوب وأشجار النخيل والحدائق المثمرة،
وانتشرت الأشجار البرية الخاصة بالمواد الصمغية : كالمر، واللبان، والصبر .. التي
كان لها شأن عظيم في تطور اقتصاديات المنطقة.

ويمكن تصنيف المنتجات الزراعية إلى نوعين رئيسيين :

1- المحاصيل الاستهلاكية.

2- المحاصيل النقدية.

1- المحاصيل الاستهلاكية :

تشير النقوش إلى عدد لا بأس به من المحاصيل الزراعية الاستهلاكية، إلا أن هناك
ثلاثة أصناف أساسية نجدها تصدر تلك المحاصيل وهي :

أ- الحبوب بأنواعها. .
ب- الفواكه من : التمر والكروم (الأعقاب).
ج- البقول.

أ- الحبوب : (Cereal, Gropes)

تأتي الحبوب في مقدمة تلك المحاصيل وتشمل : القذرة والشعير والحنطة أو البر
(القمح) و الدخن.... ويبدو واضحاً من خلال النقوش أن الحبوب تمثل المصدر الأساسي
لتغذية الإنسان اليمني القديم، وقد تعددت أسمائها فقد يطلق عليها (ح ب ب) (99) حب
لو (ا ث م ا ر) (100) ثمار لو (أ ك ل) (101) لو (ا م ر ت) (102) لو (أ ف ق ل) (103)
(103)، والمطحون منها كان يسمى (دق ق) (104) دقيق لو (ط ح ن). (105)

كما ذكرت لنا النقوش غلات تسمى بأسماء مواسمها كالقنوط، والدثاء (أرياني 70/20)، ولأهمية ذلك الغذاء ... الذي يمثل محور حياتهم - نجد أغلب النصوص النقشية، تسجل بركة الأرض، ويرجو المتقدم بالنص من الآلهة ثماراً ومحاصيل والفرحة وركبة ومباركة، تتجهم من احتياض المطر، ومنهم ماء، ومنع حدوث فيضانات، وحمايتهم من الآفات ... وشواهد ذلك في عدد من النقوش. (106)

وقد جاء ذكر الحبوب - كغذاء أساسي - في النقوش الخاصة بترميم مد مارب التي تعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ففي نقش (شرحيل يعفر) (CIH 540)، الذي يتحدث عن أمر الملك بترميم وإصلاح السد بعد تصدعه في حوالي (449/455م) أنه يشير إلى كمية المأكولات التي استهلكها المساهمون في الترميم، حيث شملت أنواعا الحبوب : البر، والشعير و الذرة التي قُسمت بكميات كبيرة، وقد استهلكوا (295340) مقدار من الحبوب المطحونة وغير المطحونة من : البر والشعير والذرة والتمر.

أما نقش (أبرهة) (CIH 541 , GL 618)، الذي يعود إلى القرن السادس الميلادي - فلا يختلف عن نقش (شرحيل يعفر) حيث نجده يذكر كميات الطعام التي صرفت للمشاركين في ترميم سد مارب (سطر 114-130) مقدرا إياها بـ (50860) مقدار. ومما سبق يتضح جلياً أن إنتاج الحبوب في اليمن قد بلغ مستوى رفيعاً منقطع النظير ؛ فذاك الغلة مرتبطة بشكل مباشر بطبيعة المواسم الممطرة.

ب- الفواكه (Fruits) من التمر والكروم (الأعقاب) :

لقد كان للفواكه - كمصدر غذائي مفضل ومفيد - مكانة رفيعة وخاصة في نفوس اليمنيين القدماء...، ولا غرو في أن الفاكهة من المحاصيل الزراعية المتنوعة، والمتنشرة في كثير من الأقاليم، والمناطق اليمنية ؛ وبالذات في المرتفعات والأودية ذات المناخ المعتدل، حتى أن الكتّاب الكلاسيكيون لم يغفلوا الحديث عنها، ومن أبرزهم: (أجاثارشيدس Agatharchides) الذي طاب له أن يكتب قائلا : "أن البلاد - يعني بلاد اليمن - خصبة جدا مع وفرة في فواكهها".

وحديثنا عن الفواكه في اليمن قديماً ؛ إنما ينصب على نوعين والفرق منها هما : التمر، والكروم (الأعقاب).

ج- التمر : (Dates)

تتلى التمر في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في سلم المحاصيل الغذائية، إذ لا ريب في أن بلاد اليمن قديماً كانت ذات شهرة دائمة بزراعة أنواع متعددة من التمر، وهي من الأنواع ذات الجودة العالية، والقيمة الغذائية الرفيعة ... وذلك بسبب توفر الظروف الطبيعية الملائمة؛ والرعاية الدائمة لزراعة أشجار النخيل (ن خ ل) (107) كما جاء في النقوش، فكان هذا مما ساعد على انتشارها وتوسع رقعتها الزراعية، حيث تركزت زراعة النخيل في إقليم السهول الساحلية (تهامة)، و(حضر موت) بالذات ؛

لأن تربتها هي من أنسب وأصلح الترب الخصبة لزراعة النخيل على وجه الخصوص،
 ميك عما زرع منه في منطقتي بيجان وجران، وعن جودة تمر نجران قال
 (الهمداني) أن أباه قال له : قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة ...
 ما رأيت مثل مذهب نجران جودة وعظم ثمره خاصة تملأ الكف للتمر⁽¹⁰⁸⁾. فكما
 اهتم قدماء اليمانيين بزراعة النخيل ؛ عنوان منذ البداية بتربية شجرته، دائما بتمهدها
 بالمسقية والنماء، وتهذيب سيقانها، وتقليم ذوائبها وفروعها ... وهذا هو ما أوضحته لنا
 تماماً النصوص النقشية، كما جاء في نقشي : (Halevy 453) و (GL 1662) لما
 لفظ "التمر" - كاسم - فقد ورد في عدد من النقوش باللفظ نفسه (ت م ر)⁽¹⁰⁹⁾، لما المكبوس منه
 فيسمى (م ي ث)⁽¹¹⁰⁾.

وكان التمر دائماً ما يمثل عنصراً ذا قيمة غذائية هامة للغاية، ومصدراً حيوياً
 مرغوباً فيه لدى الناس جميعاً، وهذا ما يستشفه المرء من نقش (شرحبيل يعفر)، الذي
 يعود تاريخه إلى القرن الخامس الميلادي، حيث نص هذا النقش على أن العمال الذين
 السبوا لترميم سد مارب كانوا قد استهلكوا (295340) مقداراً من الحبوب والتمر.
 أما نقش أبرهة فقد ذكر بأنهم استهلكوا (26,000) قدر من التمر تقريباً، بمعليل (يدع
 إل).

ومنذ تلك العصور الأثيلة شرع اليمانيون بتصنيع التمر وعصرها ؛ لتقول مشروبات
 مستذقة لديهم، فهذا نقش (أبرهة) يشير إلى كمية ذلك العصير الذي استهلكه أولئك
 العمال إبان ترميم السد ؛ تلك الكمية التي قدرّت بنحو (1110) ذح من عصير التمر، وقد
 أطلق على نبيذ التمر (م ي ث) و (م ز ر) (CIH 540/509).

د- الكروم أو الأعناب : (Grapes , Vineyard)

لوردت النصوص النقشية للكروم أو الأعناب باسم (ع ن ب) تارة⁽¹¹¹⁾ وباسم (و ي
 ن) تارة أخرى⁽¹¹²⁾، وكانت زراعته قد انتشرت منذ أزمنة سحيقة في مناطق عديدة من
 اليمن القديم، حتى أن اليمانيين تمكنوا من أن ينتجوا ألواناً كثيرة متنوعة منه ... ، وفي
 هذا الأمر كتب (الهمداني) في كتابه (الإكليل)⁽¹¹³⁾ يقول : " أن اليمن ينتج ما يزيد عن
 اثنتين وعشرين نوعاً من العنب ...، ثم راح يسوق لنا بعضاً من أساقه مثل : الدوالي،
 والملاحى، والأشهب، والرازقى، والأطراف، والعميون، والقولير، والجرش،
 والضروع⁽¹¹⁴⁾. وهذا الأخير ذكرته النقوش باللفظ عينه (ض ر ع)، وكانت زراعة
 كروم العنب قد تركزت في المرتفعات الوسطى ؛ لوفرة التربة الجيدة وتوفر المياه
 المتدفقة، والمناخ الملائم ذي الطقس المعتدل. ولما أهم أنواع العنب فهو : الأبيض،
 والأسود، والأحمر.

ومما يؤكد كثرة الكروم في اليمن : تلك الرسوم الفنية المتنوعة الأشكال ؛ التي
 اتسمت بها زخارفهم ذات الأبعاد والملاح النبتية على المنشآت المعمارية، والتي كتبت
 - وما برحت - تحت في هيئة لوحات وأفاريز على الأعمدة والتيجان ، على نمط

أغصان وعناقيد العنب، حتى شاع هذا النوع من الزخرفة، وأصبح منحاها أحد خصائص الفن اليمني القديم.

هـ - البقول : (Pulse Crops)

كان للبقول بأنواعها المتعددة شأن عظيم، وأهمية بالغة القصوى في دنيا العالم القديم، ولذلك حظيت بأسواق رائجة، وتجارة زابحة .. ولهذا راح اليمنيون الاكثمون يستولون بزراعتها لوما اعتناء، فأحتل الاهتمام بنشاطها الزراعي لديهم موقعا خاصا في سلم إحتياجهم للخيرات المادية ... وهذا ين دل على شيء فبقما يدل على تطور البنية الاقتصادية للمجتمع اليمني القديم.

وكثرت يطلقون على البقول عموما اسم (ورق)⁽¹¹⁵⁾ وتسمى أحيانا (ق ش م) ويقول نشوان الحميري : 'القشم ما يؤكل من البقول كالفجل ونحوه بلفة اليمن وجمعه أقشم'.⁽¹¹⁶⁾ وما يرح للناس حتى اليوم في بعض الديار اليمنية يطلقون على البقول اسم (مقشمة) نسبة إلى الاسم القديم (قشم). وأغلب الظن أنهم إنما كثروا يطلقون هذا الاسم الأخير على أنواع بعينها من البقول ؛ ومن ضمنها (الفجل أو البقل) الذي يطلق عليه أهالي صنعاء وما جاورها من المناطق (قشمي). وقد عثر على آثار لتلك البقول بأنواعها النادرة والمختلفة في مأرب وضواحيها⁽¹¹⁷⁾

و - الخضار : (Vegetables)

شأنها شأن البقول، فقد انتشرت في مناطق كثيرة، ولكتسب اليمنيون خبرة في استخدام أسمدة الخضار وإدخالها كعنصر هام في غذائهم، ومنها القناء، والخيار، والبصل، والثوم، والكراث ... الخ.

ز - العسل : (Honey)

يسمى في النقوش (د ب س)⁽¹¹⁸⁾ يمتد العسل اليمني من أشهر المنتجات المرتبطة بزراعة التخليل، والفواكه والأشجار الباسقة وغير الباسقة ؛ لأن النحل يعيش على : الزهور والورود والثمار ... ونكرت لنا العديد من النقوش العسل منها (أرياتي 70) و (CIH 548) ...

كما تحدث الكتاب الكلاسيكيون عن صناعة العسل في اليمن وقال (سترابو Strabo) عن اليمن : 'إن البلاد خصبة بصفة عامة، وتتميز بصفة خاصة بإمكان لصناعة العسل...'⁽¹¹⁹⁾ وقد أكد ذلك القول (بليني Pliny) الذي يعزى عنى السنين - في جانب منه - إلى إنتاجهم من العسل والشمع ..⁽¹²⁰⁾ وكانت تتركز صناعة العسل في الأودية الخصبة، حيث تم مؤخرا اكتشاف لشكال غريبة على المرتفعات، أعتمد الأثاريون إنها رسومات صخرية، واحتاروا كثيرا في معرفة هويتها، فأتضح بعد ذلك إنها عبارة عن خلايا نحل، تبني في كهوف أو فجوات مرتفعة في الجبال ؛ يستحل الوصول إليها إلا بالتعلي بالحبال، وقد بنيت تلك الكهوف من الحجارة والجير، وأهمها

ما عثر عليه في وادي (دهر) القريب من وادي (عاليقن)، وفي (يثوف) بوادي (جردان) المشهور بصناعة العسل حتى يومنا هذا.. (121)

تنتشر خلايا النحل حتى اليوم في المرتفعات الوسطى، وتتصدر (حضر موت) و (صنعاء) و (إب) و (شبوة) مناطق إنتاج أجود أنواع العسل.

2- المحاصيل النقدية :

إلى جانب المحاصيل الزراعية الاستهلاكية، تنتشر في اليمن قديماً زراعة المحاصيل النقدية، والتي كان لها أهمية كبيرة في سلم الاقتصاد القومي، وأهمها السلع النقدية : كالبخور والذي يعتبر اللبان والمر والقرفة من أهم مشتقاته.

أ- اللبان : (Frankincense) (122)

يعد اللبان من أفضل أنواع البخور فقد ورد اسمه في الففوش (إل ب ن ت) (123) وطلق عليه السيونان (Libanos)، وفي اللغة اللاتينية يسمى (Olibanum) لوليبانيوم، أما في المصادر العربية فجاء باسم (كندر Condur) نقلاً عن الهندية والفارسية، أما الاسم العلمي لشجرة هذا النبات فهي (Boswellia). وأشجار اللبان عبارة عن شجيرات صغيرة يبلغ ارتفاعها حوالي (10) عشرة أقدام، يقطع جذعها في فصل الصيف حتى يسيل صمغها، بعد أن تجف تصبح حبيبات ذات لون أصفر شاحب لو مثل إلى البني. وقد شكلت زراعة أشجار اللبان وتصديرها إلى الأسواق العالمية مصدراً حقيقياً لشهرة اليمن قديماً، وتتمو شجرة اللبان بشكل أساسي في : الساحل الأوسط لجنوب شبه الجزيرة العربية وبالأذات في إقليم ظفار (دولة حضر موت)، وعرفت زراعته مناطق متفرقة من حضر موت القديمة منها وادي حجر { CIH 948 } و(جزيرة سقطرى) (124) وإذا تتبعنا الأهمية التاريخية لهذه السلعة : لعرفنا - بصورة جلية - لمكفة العالمية التي حظي بها اليمن قديماً. لقد كان للبخور بمشتقاته (اللبان، والمر، والصبر...) أهمية عظيمة في الطقوس الدينية - منذ بداية التاريخ و نشوء الحضارات الأولى - إذ كانوا يلجأون حينذاك - إلى حرقه قرباناً للآلهة، فكان السومريون والبابليون يحرقونه للتطهير، واسترضاء الآلهة! وكان الفراعنة - منذ أقدم أزمانهم - يستخدمونه تقرباً للآلهة..

وفي اليمن القديم كان اللبان من السلع المقدمة بدليل أن الملك كان يشرف على تجارته مباشرة (125) كما أنه يخزن داخل مخازن خاصة في المعابد ... وقد عثرت بعثات الآثار على عدد كبير من المباخر التي تحمل أسماء أنواع من البخور للأغراض الدينية.

احتلت مادة البخور مكان الصدارة في الكتابات الكلاسيكية منذ القرن الخامس قبل الميلاد، فقد عرف (هيرودوت Herodotus) اللبان والمر والقرفة والنباتات العطرية الأخرى باعتبارها منتجات عربية. (126) { Herodotus, 111, 107-113 } ، أما (ثيوفراست Theophrastus) (حوالي 372-287 ق.م) فقد أشار إلى أن اللبان

يزرع على جبال شامخة، تغطيها الغابات ومعرضة للثلوج (127)، وفي الجزء الثاني عشر من كتابه { Natural History } تحدث (بليني Pliny) وبإسهاب عن منتجات الين القديم بشكل عام، وعن اللبان والمر بشكل خاص، واصفا مواسم حصاده، وطرق جمعه، ودرجات جودته، وأشكاله وألوانه، وأسمائه المختلفة، (128) كما أشار إلى أن طريقة جمع تلك السلعة يحيط بها قدر كبير من القدسية، وتمازس شعائر دينية خاصة، وقد كان ينقل ما لا يقل عن (1300) إلى (1700) طن من اللبان إلى الإمبراطورية الرومانية فيما بين (7000) إلى (10,000) حمولة جمل سنويا، هذه الأرقام لا تمثل الإنتاج الإجمالي لبلاد العرب، بل تصدر كميات منه إلى بلاد ما بين النهرين عبر مدينة جرها في الخليج العربي برا، وتذهب كميات أخرى إلى الهند بحرا وتستهلك كميات كبيرة منه في الجنوب العربي، أما إجمالي الإنتاج فيقدر بـ (2500) إلى (3000) طن سنويا. (129)

لقد ذكرت لنا النقوش أسماء اللبان ومشتقاته نذكر منها : (ل ب ن) لبان (130) { Ym 467 } و (ق م ط) القسط (131) { CIH 682 }، ويسمى عند الكلاسيكيين الأغريق والرومان : كوستوس (Costus)، و(ق ل م) (132)، وهو نوع من البخور جاء ذكره في نقش التاجر المعيني (زيد إل زيد)، الذي عثر عليه مكتوبا على تابوته الخشبي في (سقارة) بالقرب من القاهرة بمصر، فقد ذكر أنه كان يجلب المر و(ق ل ي م ت) من الين للمعابد المصرية { RES 3853, 3427/1 } و (ق ب ل ت) قبلت (133) { CIH 439/2 } و (ن ع م) نعم (134) { CIH 683 } و (ل د ن) لادن (135) { CIH 685 } و (ك م ك م) ككلم (136) { CIH 682 } و (هـ ذ ك) هنك، و(ض ر و) { CIH 681 } و(ذ هـ ب) (137) و (ط ي ب) (Ja 635/4)، و(ر ن د) { CIH 682 } (138) كما تذكر النقوش اسم (طيب إل) إي بخور الآلهة أو البخور المقدس (139) وهناك نوع من البخور يسمى في النقوش (م ث ع ي)، يطلق عليه في المصادر العربية (ميرت)، و(ش هـ ز) اسم يطلق حتى الآن على اللبان في المهرة، و(س ل ي خ ت) ويسمى عند الإغريق (كاسيا)، ويستخدم بشكل خاص ككواء لعلاج بعض الأمراض. (140)

ب - المر : { Myrrh }

يسمى في النقوش (أم ر ر)، (141) أما الاسم العلمي للمر فهو { Commiphora }، يحصل المر مكانة هامة في مواد التصدير إلى جانب اللبان كما جاء في نقش التاجر المعيني (زيد إل زيد) (RES 3427) بل إننا لا نجد ذكر اللبان إلا ويذكر معه المر، وبعد المر من النباتات التي كانت تنمو بشكل طبيعي كاللبان، ثم استبقت في المزارع عندما ازداد الطلب عليه، وكان المستبقت منه لفصل من الذي ينمو في الغابات وهو يجنى بنفس طريقة اللبان، أي بإحداث شقوق في جدد الشجرة، ليميل منه مادة صمغية كالحيبيات، وكان المر ينمو في مناطق متفرقة من الين، ويشير { Von Wissmann }

{ Pliny } ما قاله { من أن المر يعد أيضاً من محاصيل بلاد الأشاعر في تهامة قريبا من باب المندب. ⁽¹⁴²⁾ هذا القول يتفق مع ما جاء في (كتاب الطواف حول البحر الإرتيري) ⁽¹⁴³⁾ : من أن المر يصدر من (موزع) شمال باب المندب، بخلاف اللبان الذي كان يصدر عبر ميناء (قنا) الحضرمي.

وقد عرف المر قديماً بخصوصيته الفريدة لاستخدامه في تركيب العديد من الأدوية، والعطور ومستحضرات التجميل، كما كان له أهمية خاصة عند اليهود فمنه يستخرج الدهن المقدس كما جاء في (سفر الخروج ، الفصل الثلاثون) .

وعن إنتاج المر حدثنا { Groom } مستنداً على ما قاله { Pliny } : من أن المر كان يشكل 30% من تجارة الجنوب العربي، وأن الإمبراطورية الرومانية كانت تستورد ما لا يقل عن (211) طن، أو (1184) حمولة جمل من المر سنوياً. ⁽¹⁴⁴⁾ وعن أنواع المر أشار { Pliny } إلى أن هناك أنواعاً من المر الذي يزرع في اليمن القديم، وأبرز هذه الأنواع مايلي : - المر { Minaean } وإن { Pliny } لا يقصد بالمر المعني هنا، أنه يزرع في معين، بل إن المعينين كانوا يتاجرون به ؛ لهذا التصق اسمهم به، فالمر أساساً غلة الحضرميين والجبانيين، أي (القبابيين) ، المر الحضرمي { Astramitic } ويجلب من حضرموت، المر { Gebbanitic } والمقصود القباني، المر { Ausaritic } الأوساريتي ويأتي من مملكة الجبانيين، ذلك ما قاله { Pliny }، من هنا اتضح أن (الجبانية) مقصود بهم (القبابيين)، تقول { Pirenne } أن المر الأوساريتي نسبة إلى منطقة (الوسر) إحدى المناطق الواقعة في نطاق مملكة أوسان معتمدة على ما جاء في نقش { RES 3945, 3971 } ⁽¹⁴⁵⁾.

ج- القطن أو الكتان : { Cotton }

أقدم ذكر للكتان جاء في نقش التاجر المعيني (زيد بن زيد) ⁽¹⁴⁶⁾ الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، فقد ذكر باسم (ب و ص)، أما أقدم أثر للكتان فقد عثر عليه في آثار مقابر (قبام الفراس) عندما تم العثور على جثث محتطة ملفوفة بلفائف كتانية جيدة الصنع، وورقات من الجلد. وبعد تحليل قطع منها بواسطة { C 14 } (كربون 14 المشع)، اتضح أن تاريخها يعود إلى ما قبل (2410) سنة أي تعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد ⁽¹⁴⁷⁾، والسؤال الذي يبرز أمامنا : هل عرف قماء اليمنيين صناعة النسيج؟ وما مناطق زراعة القطن؟

تمثل السهول الساحلية الغربية (تهام) والسهول الساحلية الجنوبية (أبين ولحج) والهضبة الشرقية (حضرموت) أقاليم ملائمة لزراعة القطن ؛ نظراً لتوافر : المناخ الخالي من الصقيع، وتوافر التربة ذات الصرف الجيد ... ولا يستبعد أن تكون هذه الأقاليم منذ القدم مراكز لزراعة القطن، وما يزكي ما ذهبنا إليه ما ذكره (الهمداني) في القرن العاشر الميلادي 'حيث ذكر أن وادي حضرموت وفروعه يعد من الأقاليم التي يزرع فيها العطب (القطن) إلى جانب زراعة الفخول. ⁽¹⁴⁸⁾

والمعروف أن اليمينيون في صدر الإسلام اشتهروا بتصدير البرود اليمنية والادام، وكان (ال مغزوم) القرشيون يفاخرون بلبصاء الكعبة من القماش اليمني الفاخر (149). فتلك الجودة من التسوج لا يمكن أن توجد فجأة في صدر الإسلام، ما لم يكن لها بدايات مبردة فقد اكتسب اليمينيون خبرة طويلة منذ عصور ما قبل الإسلام في صناعة المنسوجات القطنية.

د - الصبر :

عبارة عن شجرة صغيرة تعمر فروعها لتسول منها مادة صمغية بنية اللون مرة المذاق، يستخدم كمساج لبعض الأمراض، والفضل أنواع الصبر هو الذي يأتي من جزيرة سقطرى ويسمى بالصبر السقطري أو الصبرة وعن هذا النوع من الصبر يقول المسعودي : وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرى، إليها ينسب الصبر السقطري، ولا يوجد إلا فيها، ولا يحمل إلا منها، وقد كان (ارسطاطاليس بن ثوماس) كتب إلى (الاسكندر بن فليس) حين سار إلى الهند في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من الصبر السقطري ... صبر الاسكندر إلى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة (ارسطاطاليس بن ثوماس ...) في المراكب بأهلهم في بحر القلزم فقلبوها على من كان بها من الهند وملكو الجزيرة... ويحمل من جزيرة سقطرى للصبر السقطري وغيره من العقاقير. (150)

ماباسم : الثروة الحيوانية :

لا يمكن لنا دراسة الاقتصاد الزراعي في اليمن القديم ، دون التطرق إلى الثروة الحيوانية، لما لذلك من أهمية بالغة من حيث التكامل الاقتصادي الذي كان قائما بين الثروة الحيوانية والحياة الزراعية.

لقد وجد في اليمن قديما أنواع مختلفة من الحيوانات يمكن تقسيمها إلى :

أ- حيوانات ممتلئة :

تشكي لسي مقدمة هذا النوع من الحيوانات المواشي : الأبقار، والماعز، والأغنام، والإبل، والخيول، والبغال، والحمير... فمنذ القدم اهتم اليمينيون تلك الأنواع من الحيوانات كملكية خاصة، مستفيدين من لحومها وألبانها في غذائهم وكثروة حيوانية تسديدهم عند ممارسة الطقوس الدينية، وتسهل لهم تنقلاتهم وأعمالهم، ومن جلودها يقومون بصناعة الكماليات الحيوية في حياتهم.

لأن الظروف البيئية والمناخية في القديم كانت تختلف نسبيا عما هي عليه الآن، فالمراسي الطبيعية كانت تنتشر في مساحات شاسعة، كما أن مخلفات الزراعة كانت توجد بوفرة، كل ذلك كان بمثابة المصدر الرئيس لغذاء الحيوانات، ووفرة ذلك المصدر تعني أن له شأن عظيم في معدل إنتاجية الوحدات الحيوانية، وتأكيد على هذا القول نعود إلى نقل الصبر (RES 3945) الذي سجله الملك (كرب إ وتر) في القرن السابع قبل الميلاد، فقد حذثه عن اقتصاراته الحربية ومصادرته للأراضي،

والمواشي، والمدن المهرومة ينكر في (سطر 18) عدد الماشية التي صادرها من مدن (فنن) في الجوف والتي بلغ عددها (15,000) رأس من المواشي، وفي (سطر 19) يتحدث عن الانتصارات التي حققها على قبيلة (لسير) في نجران فيذكر أنه غنم (200,000) من ماشيتهم إبلا وبقرًا وحميرًا.

كما يحدثنا نقش آخر (أريائي 12) - يعود إلى عهد الملك المبني (شمر لوتر) في القرن الثالث الميلادي - عن الأعداد الهائلة من المواشي التي قتلها قائدة (وافي لا)، في حربه ضد الأحباش وأعوانهم في تهامة، والتي بلغ عددها (10,000) من الأبقار، و (300) من الإبل، و (1300) من البقر، و (270) من الحمير. وتؤكد على وفرة الماشية في اليمن قديماً: نجد ذكرها في قوائم غنائم الجيوش السبئية والحميرية Ry 308 عند التمعن في تلك النقوش نلاحظ الأعداد الهائلة من الحيوانات المستتمة: عندها نستطيع أن نتصور الرخاء الاقتصادي، وخصوبة الأرض، ووفرة الماء والمراعي في تلك العهود.

والمعروف أن الإنسان اليمني لم يستغن في غذائه عن لحوم الحيوانات؛ فقد تركز غذاؤه على لحوم الأبقار والأغنام والماعز والإبل... وقد ذكر لنا الملك الحميري (شرحبيل يعفر) - (القرن الخامس الميلادي) في نقشه (CIH 540) عند ترميمه لسد مارب - كمية اللحوم التي قدمت للعمال أثناء ترميم السد التي تقدر بـ (370) رأس من الإبل، و (1360) رأساً من الضأن والبقر، و (1100) ذبيحة أخرى. لما أبرهه - الذي حكم اليمن في حوالي منتصف القرن السادس الميلادي - فقد ذكر لنا في نقشه الشبيه بنقش (شرحبيل يعفر) (CIH 540) كمية اللحوم التي قدمت للعمال أثناء إعادة ترميم سد مارب، والتي تقدر بحوالي (3000) ذبيحة من الإبل والأبقار والأغنام، و (7200) من الضأن.

إلى جانب أهمية تلك الحيوانات كغذاء لهم، نجد الحياة الدينية لا تخلو من الحاجة الماسة لمثل تلك الثروة؛ فهي تقدم كضاحي للآلهة، وبالذات الأبقار والماعز؛ لهذا عني بها عناية كبيرة، ولقنتها كل فرد، لممارسة الطقوس الدينية وللتقرب إلى الآلهة وللتودد لها، وتقديمها في مختلف المناسبات الدينية.

كما استخدم الإنسان اليمني قديماً بعض أنواع تلك الحيوانات كذبيحة وكوب أو نقل؛ وخاصة: الجمال والبغال والحمير... والمعروف أن الجمال قد استخدم كوسيلة نقل منذ الألف الثالث قبل الميلاد؛ لنقل البضائع عبر الصحراء إلى شمال شبه الجزيرة العربية، وتزايد استخدامه لها داخل المنطقة بقدر ازدياد الصلات مع سكان وسط وشمال الجزيرة، واستخدم تلك الحيوانات على نطاق واسع خلال القرنين الرابع والسادس الميلادي (151).

لما الخيل فقد ذكر في المصادر الآشورية التي يعود تاريخها إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد، كان الخيل من ضمن الهدايا التي أرسلها ملوك اليمن إلى ملوك آشور، منذ

القرن الأولي للميلاد استخدم الخيل في المعارك الحربية فقد جاء في النقوش ذكر لوحات الأفراس والخيول التي شاركت في الحروب، وتعود إلى القرن الرابع الميلاد ؛ فنقش (Ja 655) يتحدث عن جيش الأعراب ضمن الجيوش الحميرية التي خاضت حروبا ضد حضرموت، في (سطر 44) ذكر ما يلي : لم ينج إلا أسرع الجياد والنياق * وكانت لن اشتركت في تلك المعركة الجياد والفرس والنياق.⁽¹³²⁾ ويطلق على الجواد في النقوش (ج و د) والفرس (ف ر س).

وليس جانب ذلك نجد الحيوانات تمثل جزء لا يتجزأ من العملية الزراعية، فالنشاط الزراعي بشكل عام - وفي أغلب المناطق اليمنية - يعتمد اعتمادا كبيرا على الحيوانات في عمليات الزراعة المختلفة كجلب الماء من الآبار وحراثة الأرض، خاصة في المدرجات الزراعية، ومازالت هذه الحيوانات وبالذات الثيران تقوم بتلك المهمة.

وكان يستفاد من جلود الحيوانات ؛ فقد قام الإنسان في اليمن القديم - ومنذ زمن بعيد - بديباغة الجلود، وصناعة الأحذية والأحزمة وغير ذلك ...وما يؤكد ذلك ما عثر عليه من آثار في مقابر (شباب الغراس) التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، إذ عثر على جثث محنطة كُفنت بلفائف كتانية وطبقات من الجلد، بالإضافة إلى الأحذية الجنائزية والأحذية العادية والأحزمة.⁽¹³³⁾ ومثل هذا الاكتشاف سلط الضوء على إبداعات جديدة، وحقق لم تكن معروفة من قبل.

ب- حيوانات برية :

تشير الدلائل النقشية، إلى أن الحياة الحيوانية البرية في البيئة اليمنية : كثيرة حافلة بصنوف وأجناس ولصائل من جميع أنواع الحيوانات، والتي لم يعد لها وجود اليوم، كالأرغال، والضبا، والبقر الوحشي، والفهود، والأسود ... الخ .

للعول تسمى في النقوش (أ ي ل) أو (ع ل م)، وكانت تنتشر في مناطق كثيرة في اليمن وكان لها أهمية خاصة في مجال الصيد المقدس. وقد عثر على ما يزيد عن (40) نقشا (أريائي 41-64) تتحدث جميعها عن الصيد المقدس، وكان مكارب سبأ قد سجلوا تلك النقوش، فذكرت نقوشها الأعداد الهائلة من للعول التي تم اصطيادها، تلك الأعداد لما تعكس - دون أننى شك - حالة الخصب التي كان يستمتع بها اليمن قديما⁽¹³⁴⁾.

وقد تركزت مناطق استيطان للعول ؛ على أطراف الأودية الشرقية حول رملة السبعين، وأبين، ومارب، والجوف. وتبين للنقوش أن الأحوال وقطعاتها كانت من حيوانات الصيد الأساسية. وحتى الآن مازلنا نرى قرون لوحال على بعض المنازل كنوع من التعزيز والحماية.

وفي منطقة (العقلة) عثر على نقش (Ja 949) سجله الملك الحضرمي (يدع إل بين بن ريشم) بمناسبة الانتصارات التي قام بها في شبوة، فقد ذبح (35) بقرة برية، و (82) قعدوا، و(25) غزالا، و (8) من الفهود. كل ذلك يؤكد حقيقة البيئة الخصبة لليمن القديم الغنية بالحيوانات البرية المتنوعة، والتي لم يعد لها وجود اليوم.

سابعا : قواعد زراعية وحسابات فلكية :

اكتسب اليمنيون قديما خبرة واسعة بالقواعد الزراعية كتحديد فترة تسميد الأرض، ومواسم البذور، وغرس الأشجار، والمواسم المطيرة والمجدبة.. كما كانت لديهم حسابات فلكية زراعية خاصة بهم ؛ حددوا من خلالها الفصول والمواسم، ومن قواعد الحساب والتقويم نجدهم يتبعون النمق المتعارف عليه في ترتيب الفصول : (دثا ، خرف ، مسعص، وملي) أي : (الصيف، والخريف والشتاء، والربيع). وعلى ضوء ذلك قسم (الارياشي)⁽¹⁵⁵⁾ للعام بالحساب الزراعي - لدى اليمنيين القدماء - إلى أربعة فصول على نحو ما هوأت :

الفصول الأربعة بالحساب الزراعي اليمني

{	من 13 آذار / مارس
	إلى 13/حزيران / يونيو
فصل الصيف (دثا - دثا)	

{	من 13 حزيران / يونيو
	إلى 13 /أيلول/ سبتمبر
فصل الخريف (خرفم، خرم، خريف)	

{	من 13 أيلول/ سبتمبر
	إلى 13 / كانون الأول / ديسمبر
فصل لشتاء (مسعص، مسعصم)	

{	من 13 كانون الأول/ ديسمبر
	إلى 13 آذار / مارس
فصل الربيع (ملوم، ملي)	

إلا أن علماء السمايات لهم رأي آخر في تفسير أسماء تلك الفصول، (فالدثاء)⁽¹⁵⁶⁾ عندهم يعني فصل (الربيع)، ويطلق أيضاً على ثمار وغللات ومطر الربيع، أما (مسعص)⁽¹⁵⁷⁾ عندهم فيعني فصل الصيف، وأما (ملي)⁽¹⁵⁸⁾ فيعني فصل الشتاء، ولا يختلفون في أمر (خرف) الذي يعني فصل الخريف، لو غلال أو مطر الخريف.

وبما أن الغلال في اليمن تسمى قديماً وحديثاً بمحصولها، لا يهونها نجد أن الغلال تحمل اسم للموسم التي تحصد فيها، ومن تلك المواسم :
 - القسيظ : (ذو قسطن) أو (ذو القسايظ) أو (ذو قسظم) - اسم غلة، واسم لأحد شهور الربيع. (159) أما في (المعجم السبئي) (160) فهو اسم غلة الصيف فالقسيظ في المعجم تعني الصيف.

- الغشا : اسم غلة، واسم شهر من شهور فصل الصيف عند (الأرياتي)، (161) فالقسيظ في المعجم يعني الصيف. (162)

- الصراب : الحصاد، و(ص ر ب) (163) تعني موسم، ويقصد بذلك موسم الحصاد لأي غلة زراعية ؛ حتى الآن مازال الحصاد يحمل اسم الصراب، ويطلق على الصراب الشهرين الآخرين من فصل الخريف.

لذلك نجدهم قد أوجتوا نوعين من التقويم، الأول قمري وهو ذو طابع ديني، أما الثاني فهو الفصلي أو الشمسي وهو ذو طابع اقتصادي له علاقة بالأعمال الزراعية. وفي ذلك يقول عالم النقوش (بيستون Beeston) (164) : "إن التقويم الجنوبي العربي عرف منذ القدم من نصوص نقشية، وهو تقويم فصلي زراعي لفصول زراعية ثابتة، وضع هذا التقويم للمنطقة الخاضعة لنظام الرياح الموسمية، فالسنة مكونة من 360 يوماً تشمل 12 شهراً كل شهر 30 يوماً". وقد حفظت لنا النقوش قولته طويلة من أسماء الشهور، وتسميتها تتم بنظام ديني، مثال : ذو محجتان، شهر الحج (ذو الحجة عند المسلمين) ذو محجتان له علاقة بالتجمع لتأدية فريضة الحج. وبعض أسماء الشهور ذات للطابع الديني تحمل أسماء آلهة مثل : ذو عثرت، ذو شمس، ذو نمور، ذو عم ... أما الشهور الزراعية فنذكر منها :

- ذو عن : شهر الخير والغلال الوفيرة، أحد الشهور التي تسبق الصراب. (165)
 - ذو مكرن : شهر أوائل الغلال والثمار. (166)

- ذو مرنان : اسم لأحد الشهور ربما يطابق شهر يوليو. (167)

- ذو مزعم : الشهر الأول من العام الزراعي عند فلاحى قتبان. (168)

- ذو فقهر : الشهر الأخير من السنة الزراعية عند فلاحى قتبان. (169)

كما نجد اليمنيين يكتسبون خبرة بمعرفة مواعيد الأمطار، وكمياتها، ومعرفة المواسم المطيرة والمجربة، في كل منطقة. وهناك نقوش تتحدث عن حرص الملوك على حماية بعض المناطق الزراعية من الأمطار قبل هطولها، (170) أي أن لديهم معرفة حقيقية بآرضهم وأحوالهم المناخية.

كما تطرقت النقوش للآفات الزراعية التي قد تبتلى بها الحقول، فقد جاء في بعض نقوش نكر لكرلث الجراد يوكيفتة مكافحتها، ويطلق على الجراد في النقوش (ق ل م) (171) ولمكافحة الآفات ترش الأعشاب بترية معينة ربما تحتوي على مواد عضوية لتحميها من الآفات، فكثير من النقوش التي يسجلها الأفراد تحمل في مضمونها توصيات

وتضرعات إلى الآلهة لحماية مزارعهم من الآفات، لو تضمن شكرهم لها؛ كونها جنبت غلالهم وحقولهم ومزارعهم الضرر.

لما الأدوات الزراعية التي استخدمها اليمنيون قديما فكثيرة ... وقد عثر على صورة بارزة للمحراث الذي لا يختلف كثيرا عن محراث اليوم. كما نجدهم قد استعملوا الفأس، والمشتري، والمغرس والمجرقة، والشريم وغيرها من أدوات الحراثة ... (172).

من خلال دراستنا الموجزة للحياة الزراعية في اليمن القديم، يمكن لن نجل للقول في أن الزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية، كانت قد شكلت القاعدة الأساسية للبناء الاقتصادي منذ المراحل الأولى لتطوره الحضاري ... ولا غربة في ذلك، إذ أسهمت المقومات الطبيعية - كالسطح، وخصوبة التربة، ووفرة المياه المتعددة المصادر، والمناخ الملائم - في ذلك. الإزدهار، كما أن للمقومات البشرية - هي الأخرى - الدور الإيجابي والهام في تلك النهضة؛ كوفرة الأيدي العاملة التي كانت تقوم بالمهام الزراعية، وبناء منشآت الري المتنوعة والمتطورة؛ فعلى الأودية أقام اليمنيون السدود، وأنشأوا القنوات، وفي المناطق الداخلية الجافة حفروا الأبار، وعلى المرتفعات بنوا المدرجات. الزراعة واستغلوا مياه الفيول، كما تقفنا في بناء الصهاريج.

كل ذلك كان مدعوما بوجود سلطة قوية تحافظ على أنظمة الري وتسن القوانين الخاصة بتوزيع الأراضي الزراعية والمياه .. إضافة إلى ذلك؛ وجود سوق رائجة لتسويق المنتجات الزراعية المتنوعة في الأسواق المحلية والأسواق الخارجية .. بفضل تلك العوامل كلها تبوأ الزراعة المرتبة الأولى في اقتصاد اليمن القديم؛ فانتشرت الحقول الزراعية، حيث بلغت المساحة المزروعة حوالي 80% من المساحة الصالحة للزراعة ولا سيما في الوديان والسهول، أما اليوم فالمساحة المزروعة في مأرب تعادل (5/1) خمس المساحة أيام السبئيين، لأن المياه كانت تستغل بشكل أمثل بخلاف العصور المتأخرة والحاضرة، حيث فقدت التربة الكثير من عناصر خصوبتها القديمة.

كما كان لقدماء اليمنيين معرفة أكيدة بالقواعد الزراعية لتحديد فترة تسميد لأرض، ومواسم البذور، وغرس الأشجار، والمواسم المطيرة والمجنبة، كما كان لديهم حصليات فنية زراعية خاصة بهم حددوا من خلالها الفصول والمواسم.

وإلى جانب الزراعة عنى اليمنيون عالية فائقة بالثروة الحيوانية المختلفة، كل ذلك ساعد بشكل مباشر - في تطور ولزدهار الحياة الاقتصادية بمختلف أشكالها.

1. " Frankincense and Myrrh " A study of : Groom . Nigle St.J

The Arabian Incense

Trade (Arab Background Series) , London and New York ,

1981 , P 80-88 .

2. الأشعب، خالص : "لبنان، دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، 1982، ص 54-55.

3. بلقفة، عيادوس علوي : "جغرافية اليمن" دراسة إقليمية، ج 1 ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن 1997 ص 26 .

4. يوسف محمد عبدالله : "لورق في تاريخ اليمن وأثاره"، بحوث ومقالات ج1، منشورة وزارة الاعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، صنعاء، ط1، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت (1406 هـ - 1985) ص 85.

5. محمد توفيق : "آثار معين في جوف اليمن"، نقوش خربة معين، القاهرة، 1952 ص 4 .

6. المدن المذكورة في هذا النقش تقع جميعها في وادي الجوف.

7. العمري، حسين عبدالله والارياتي مطهر علي، ويوسف محمد عبدالله : "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل الميلاد، حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، دار الفكر المعاصر، بيروت 1995، 17.

8. أحمد فخري : "رحلة أثرية إلى اليمن ترجمة : هنري رياض، يوسف عبدالله، مراجعة : عبدالحليم نور الدين، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية اليمنية، (مشروع المكتب 2/21) صنعاء، 1988، ص 172.

9. الأشعب : المرجع السابق، ص 55.

10. يوسف : لورق، ج1، ص 87.

11. المرجع نفسه، ص 85 .

12. لورلي برون : "الري واستغلانات الأرض في منطقة مأرب"، ترجمة أحمد نعمان المدحجي، مجلة دراسات يمنية، العدد (28)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1987، ص 144.

13. أحمد فخري : المرجع السابق، ص 100.

14. عيادوس : المرجع السابق، ص 32 .

15. الأشعب : المرجع السابق، ص 155.

16. عيادوس : المرجع السابق ، ص 28 .

17. Bowen , Richard le Baron Jr " Irrigation in Ancient Qataban (Baihan) dans , Bowen , R , le B , and ALBIGHT , Archaeological Discoveries in South Arabia " , pp. 35-42 , 43-131 .
18. المرجع نفسه، ص 46 .
19. الأشعبي : المرجع السابق، ص 55.
20. عبدالعزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة* مكتبة الانجلو - مصرية القاهرة 1988، ص 78 - 79 .
21. " Prospection historique dans la region du : Pirenne , Jacqueline.21 royaume de Awsan" , dans , Raydan vol (3) , Louvain , 1980 , p. 230. أنظر أيضا : الجرو، أسهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (الين القديم)، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، 1996، ص 157.
22. Doe Brian , " Southern Arabia " (New Aspects of Antiquity) .22 London , 1971 , pp 173 - 175 .
23. بريتون، جان فرانسوا : وادي ضراء* تقرير أولي، البعثة الفرنسية 1985
24. الأشعبي : المرجع السابق، ص 56.
25. يوسف : أوراق ، ج1، ص 85.
26. وادي حجر : يحمل نفس اسم الوادي الكبير الذي يصب في البحر العربي
27. Pirenne , op.- cit , p. 230 .
28. عيروس : المرجع السابق، ص 114.
29. المرجع نفسه، ص 114 - 115.
30. علي عقيل بن يحيى : نموذج من نظام الري في وادي حضرموت، مجلة التراث، العدد الأول، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1977، ص 215
31. غريبا زنفسكي : تاريخ حضرموت وحضارته ، قضايا دراستها والبحوث الأخيرة، الفصل السادس من كتاب الجنيـد حول الشرق القديم ، لمجموعة من المستشرقين السوفيت، ترجمة : جابر أبي جابر، دار التقدم، موسكو، 1988، ص 232-233.
32. المرجع نفسه، ص 232.
33. المرجع نفسه، ص 233.
34. ل.ك. شولايك : "طرق الري القديمة في شعب مزلوح"، نتائج أعمال البعثة اليمنية - السوفيتية، 1986، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1986، ص 27.
35. المرجع نفسه : ص 31 .
36. المرجع نفسه : ص 30.
37. المرجع نفسه : ص 29.

" The Tombs and Moon Temple of Hureida (: - Coton Thompson.38
Hadramaut) (Reports of the Research committee of the Society of
Antiquaries of London n XIII) Oxford 1944 , p.9 .

39. المرجع نفسه : ص 9.

40. للمرجع نفسه، ص 3 - 7.

41. نفسه.

" L'irrigation antique a Sabwa , dans Sabwa , : - Gentelle Pierre.42
Tome II , Paris , 1992 , p 1-51 .

" Ce que trois campagnes de fouilles nous : - Pirenne , Jacqueline.43
ont deja appris sur Sabwa , Capitale de Hadramaut " dans Raydan ,
vol , I , 1978 , p. 136.

44. بيرن، جاكين : "شبر" مجلة للثقافة الجديدة، العدد 615، يونيو 1976، ص 33.

45. (س و ط) أنظر نقش النصر (RES 3945) : يقصد بهذا الاسم الهضبة التي
تسحقها لودية حضرموت ، منها (عرمه) و (المعشار) و (المطف) و (دوعن) و (عمد)
و (العين) ... ويفضل بعض العلماء استخدام لفظ (الموسط) بدل عن (الجول) والتي
تعني الهضبة أيضاً.

Les hautes-terres du nord Yémen avant l'Islam : - Robin , Christian.46
, vol I , recherches sur la géographie tribale - et religieuses de
Hawlan , Quda a et du Hamdan , Istanbul , 1982 , p. 29-32 .

47. ميناء موشا : سمرم في النقوش، يسمى اليوم خورروري بسلطنة عمان.

48. يوسف : لورق، ج2، ص 14-15.

49. بيستون أ. ف. ل، وريكنز جاك، والفول محمود، ومولر والتز : المعجم
السبني (بالإنجليزية و الفرنسية والعربية) منشورات جامعة صنعاء، دار نشریات
بيترز، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص 50 مازال اسم (جروب)
يطلق على المدرجات الزراعية حتى اليوم.

50. باققيه، محمد عبدالقادر، ألفريد بيستون، كريستيان روبان، ومحمود الفول :
'مختارات من النقوش اليمنية' المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985،
نقش 2/23، ج ي ق د : بنى حقلاً مدرجاً .

51. بيستون، وآخرون : المعجم، ص 91، ل و : حقل مدرج.

52. بتروفسكي : "اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، القرن الرابع حتى للقرن
العاشر الهجري"، تعريب : محمد الشيبني، دار العودة، بيروت 1987، ص 337.

53. يوسف محمد عبدالله : "مدونة النقوش اليمنية" مجلة دراسات يمنية، العدد 2، 1979
، ص 57-60، نقش سد أين خضير في جبل قرن خرفان.

54. الجرو، اسمهان سعيد : تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية، مجلة سبا (تصدر عن قسم التاريخ) كلية الآداب، جامعة عدن، 1988 ، ص 114-115 .
55. Bowen - : L'irrigation ... p. 63 .
56. الهمداني، الحسن بن أحمد (ت 360 هـ - 970م) : "الإكليل" حققه وعلق عليه، محمد بن الأكرع الحوالي، القاهرة 1977، ص 186-190 .
57. بيمستون، وآخرون : المعجم ... مادة (ش ر ج) ص 134، جاء في المعجم بمعنى مجرى ماء، وهذا الاسم مازال سائدا حتى اليوم.
58. Bowen - : L'irrigation ... , p. 36-64 .
59. الأشعب : المرجع السابق ، ص 144 .
60. بيمستون وآخرون : المعجم ... مادة (ن ب ط)، ص 91 .
61. بالفقيه وآخرون : مختارات ... نقض 2/92، مادة (ث ق ل) جمع (ث ق و ل).
62. بيمستون وآخرون : المعجم ... مادة (ن ز ح)، ص 102 .
63. كريف : تعني صهريج بلغة أهل اليمن قديما وحديثا، جاءت في النقوش (ك ر ف) المفرد، والجمع (ك ر ي ف ت).
64. الجرو : تاريخ الأودية ..، ص 115-118 .
65. Conservation and Restoration of Aden Cisterus : Majeed M. A. Saharg al - Tawila, Haydarabad , 1984 .
66. نفسه
67. الأشعب : المرجع السابق، ص 142 .
68. الهمداني : "الإكليل"، ج 8، ص 121-122 .
69. مناطق غير معروفة.
70. اسم ملك مدينة نطن (خربة السوداء) حاليا.
71. جواد علي : "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ج5، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة، بغداد (1976) ص 55 .
72. نفسه، ج2، ص 208 .
73. رودوكاناكيس نيكولوس : "الحياة العامة للدول العربية الجنوبية" الفصل الثالث من كتاب "التاريخ العربي القديم" يتلف تلمسون، وفرتز هول، ول، رودوكاناكيس، واولف جرومان، ترجمة، مؤاد حسنين علي، مراجعة، زكي محمد حسن، القاهرة 1993م، ص 101 .
74. بيمستون وآخرون : المعجم ... ، ص 165، (و ت ف) تعني وثيقة.
75. جواد علي : المفصل، ج5، ص 258 .
76. رودوكاناكيس : المرجع السابق، ص 101 .
77. الرحبة : اسم السهل الذي تقع فيه مملكة صعدة من أرض خولان، مازال هذا السهل يحمل اسم رحبان حتى اليوم، الإرياني، نقوش مسندية، ص، 363 .

78. أنظر : (RES 3991) (RES 3913)
79. بيستون وآخرون : المعجم ... ، ص 108 ، راجع نقش 3945/10 Ry.
80. بريتون، جان فرانسوا : 'وادي ضرا' ، ص 9.
81. بلقيش وآخرون : مختارات، نقش 3/92، ص 308.
82. روديكانكيس : المرجع السابق ، ص 148.
83. جواد علي : المفضل، ج2، ص 212-213.
84. يوسف : لورق، ج1، ص 57.
85. بيستون وآخرون : المعجم، مادة (و ث ن)، ص 166.
86. بالقيش وآخرون : مختارات، نقش رقم 8/44 مادة (ث ر ي) تعني : ضرائب أو جبايات.
87. المرجع نفسه نقش رقم 2/17 ، مادة : (ح ص ي) : ضريبة.
88. المرجع نفسه : نقش رقم 2/76 ، مادة (ك ب و د ت) : مكوس .
89. بيستون وآخرون : المعجم ، ص 121 ، مادة (ر ز م) ، ضريبة أرض ، خراج .
90. شرف الدين، أحمد حسين : 'تاريخ اليمن الثقافي'، ج3، مطبعة السنة المحمدية 1967 ص 87.
91. ارجع للنقوش التالية : Halvey 51 , RES 3689 , GI 571 , G 1904 .
92. الارياشي، مطهر علي : 'في تاريخ اليمن'، نقوش مسندية وتعليمات، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990)، ص 160 - 166 .
93. المرجع نفسه، ص، 176 - 178 .
94. بيستون وآخرون : المعجم، ص 105.
95. ذو فرعم : الشهر الأول من العام الزراعي عند فلاحي قتبان.
96. ذو فقهو : الشهر الأخير من العام الزراعي عند فلاحي قتبان.
97. جواد علي : المفضل، ج2، ص 213.
98. روديكانكيس : المرجع السابق ، ص 142.
99. بيستون وآخرون : المعجم، ص 65.
100. الارياشي : المرجع السابق، نقش رقم 26.
101. المرجع نفسه .
102. أنظر نقش 615/18 Ja.
103. الارياشي : المرجع السابق.
104. بيستون وآخرون : المعجم، ص 36.
105. المرجع نفسه، ص 153.
106. الارياشي : المرجع السابق، النقوش 9، 17، 27، 29، 30، ...
107. بيستون وآخرون : المعجم، ص 94.

108. الهمداني، الصفة، ص، 319.
109. بيمستون وآخرون : المعجم، ص 148.
110. المرجع نفسه، ص 89.
111. المرجع نفسه، ص 17 راجع نقش 360 , 362 Halvey
112. المرجع نفسه، ص 166 ويكتب أيضا (أ ي و ن) Ry 4194/3.
113. الهمداني : 'الإكلي'، ج8، ص 119.
114. بيمستون وآخرون : المعجم، ص 42.
115. المرجع نفسه، ص 162.
116. المرجع نفسه، ص 108.
117. Die Erforschung des antiken Oase von : Von Ueli Brounner.
- Merib mit Hilfe geomorpho Logischer unteruchung methoden .
- Verlag philipp van zeberm Mainz am Rhein (1983) , p. 149 .
118. بيمستون وآخرون : المعجم، ص 35.
119. Groom, op. - cit, p.80 .
120. Ibid, p. 87 .
- Pliny, History xii, ch 17, Sec 32.
121. بالفقيه، محمد عبدالقادر : 'لغز الرسوم الصخرية من يتوف بوادي جردان'، مجلة ريدان، العدد الأول، لوفان، 1978م، القسم العربي، ص 65-67 .
122. لمعرفة المزيد عن اللبان والمر راجع كتاب Frankincens : Groom , Nigle and Myrrh , London , 1981 .
123. بيمستون وآخرون : المعجم، ص 81.
124. مولر والتر : ' اللبان ' الموسوعة اليمينية ، مجلد 2 ، مؤسسة الحفيف الثقافية ، صنعاء ، 1992، ص 739.
- 125.
- 124) Pliny. " Natural History " Loeb Classical, (trans, Rackam M.), Library, Heinemann, London, and Harvard University Press, 1945, Book xii, ch 32, Sec 63.
- Groom, op. -cit, p. 160.126
- Ibid .127
- 128.
- 127) Pliny, History xii, ch 30, Sec 54, 61.
- Periplus, Sec, 24.129
- Groom, op. -cit, p. 160 .130
131. بيمستون وآخرون، المعجم الميني ، ص 108 .

132. المرجع نفسه ، ص 105 .
133. المرجع نفسه ، ص 103 .
134. المرجع نفسه ، ص 90 .
135. المرجع نفسه ، ص 81 .
136. المرجع نفسه ، ص 78 .
137. المرجع نفسه ، ص 38 .
138. Beeston, op._cit, p. 38 .
139. Ryckmans. Op._cit, p. 216 .
140. لمعرفة المزيد عن البخور ، راجع :
- Robin . Ch : Les plantes aromatiques que brulaient les Sabeens , dans Saba , Parfumes d Arabie N I , 1994 , pp 25-30 .
141. أنظر نقش RES 3427 ، باقثيه وآخرون ، مختارات ، نقش 1/82 .
142. Von Wissmann, Himyar, p. 438 .
143. Periplus, sec 24 .
144. Groom , op. - cit, p. 161 .
145. Pirenne. - : p. 222 .
146. RES 3427 .
147. تمت التحاليل العلمية في معامل (Beta Analytic) في ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ، في ديسمبر عام 1983م ، أ، نظر : باسلامه، محمد عبد الله، شهاب الفراس ، مؤسسة دار العنيفة الثقافية، صنعاء، 1990، ص 168 .
148. الهمداني، الحسن بن أحمد : " صفة جزيرة العرب " تحقيق : محمد بن علي الأكرع ، الرياض ، 1974 ، ص 168 .
149. صاحب، فيكتور : " إيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف " كمبيوتر نشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م ، ص 235 .
150. المسعودي، أبو الحسن : " مروج الذهب ومعادن الجوهر "، ج2 ، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1966م، ص 128 - 129 .
151. بترولسكي : المرجع السابق ، ص 108 .
152. باقثيه وآخرون : مختارات ، نقش رقم 55,44 ص 236-241 .
153. باسلامه، محمد عبد الله : شهاب الفراس، مؤسسة دار العنيفة الثقافية، صنعاء، 1990، ص 134 .
154. الإرياتي : المرجع السابق، ص 449-481 .
155. الإرياتي : المرجع السابق، ص 318 .
156. بيستون وآخرون : المعجم ...، ص 36 .
157. المرجع نفسه، ص 122 .

158. المرجع نفس ، ص 86 .
159. الارياي : المرجع السابق، ص 318 .
160. بيستون وآخرون : المعجم ...، ص 112 .
161. الارياي : المرجع السابق ، ص 318 .
162. بيستون وآخرون : المعجم ... ، ص 36 .
163. المرجع نفسه ، ص 144 .
164. بيستون وآخرون : المعجم ... ، ص 36
165. الارياي : المرجع السابق، ص 318.
166. بيستون وآخرون : المعجم ...، ص 28.
167. أنظر النقش Ja 1028/10 .
168. جواد علي : المفصل، ج2 ، ص 213.
169. المرجع نفسه ، ص 213 .
170. الارياي : المرجع السابق، ص 318 .
171. بيستون وآخرون : المعجم ... ، مادة (ق ل م) ص 105.
172. يوسف عبدالله : أوراق، ج1، ص 16.

الفصل الثاني

الحياة التجارية في اليمن القديم

- أولاً : مصادر النشاط التجاري.
- ثانياً : السلع التجارية.
- ثالثاً : الطرق التجارية.
- رابعاً : العلاقات الدولية بين اليمن والعالم القديم.
- خامساً : النظم التجارية والقوانين المنظمة لها.
- سادساً : نظام الدفع في المعاملات التجارية.
- سابعاً : المنشآت التجارية.
- ثامناً : الأطماع الدولية وعوامل انهيار التجارة اليمنية.

لا يمكن لأي حضارة أن تحقق تفوقها وطموحها، ما لم يتوافر لها جملة من المقومات الأساسية التي تعمل كوحدة مترابطة لا تتجزأ، فاليمن القديم - كغيره من المراكز الحضارية العالمية القديمة، توفر له جملة من المقومات الطبيعية والبشرية هيأته ؛ ليحتل مكانة بارزة في النشاط التجاري العالمي، فلموقع الاستراتيجي والحيوي الذي يحتله أثر عظيم في سير تاريخه وحضارته ؛ سواء أكان ذلك من الناحية الطبيعية وأثرها في الحياة الاقتصادية، أم من ناحية تركيب السكان ونشاطهم التجاري.

لقد تحكم اليمنيون قديماً - منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد - بالتجارة وبمسالكها البحرية والبحرية، وسيطروا على مراكزها التجارية، وأصبحت ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية منذ تلك العصور - توة لدول تجارية واسعة، فالتجارة في حد ذاتها لن تكون عاملاً حيوياً ما لم يوجد الطلب على منتجات لها رواج في العالم القديم ، فاليمن قديماً - وبفضل خصوصيات تضاريسه - كان ينتج سلعا مهمة، كاللبان، والمر، وأنواع مختلفة من الصمغيات، حيث كان لتلك المنتجات صفة القدسية، لاستخدامها في الطقوس الدينية، وتحضير العقاقير الطبية ... أضف إلى ذلك قيام قداماء اليمنيين بوظيفة الوسيط التجاري، من خلال نقلهم لسلع الهند، وشرق أفريقيا التي كانت - هي الأخرى- لها رواج عند شعوب العالم القديم .

أولاً - مصادر النشاط التجاري:

إن أقدم المصادر التي تتحدث عن النشاط التجاري لليمن القديم جاءت لنا من خارج شبه الجزيرة العربية، ولا غرابة في ذلك، فهي مرتبطة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالتجارة الخارجية: تجارة اللبان، والمر، وقد وردت أقدم الإشارات عن تلك السلعة في التوراة (الكتاب المقدس) مما يوحي بأهميتها البالغة.⁽¹⁾ أما عن الاتصال التجاري بين فلسطين ومناطق إنتاج الذهب والطيوب فقد جاء في (سفر الملوك، الإصحاح 28/11) أن الملك سليمان ملك يهودا (974-932 ق.م) كان يرسل أسطوله إلى بلاد (أوفير) ؛⁽²⁾ للبحث عن الذهب والفضة، حيث عاد أسطوله حاملاً (أربعة طن)⁽³⁾ من الذهب وبضائع أخرى: كالجواهر، وخشب الصندل، والقردة، والطواويس⁽⁴⁾.

كما حدثتنا التوراة أيضاً عن زيارة ملكة سبأ،⁽⁵⁾ التي اجتذبتها شهرة الملك سليمان، فقامت بزيارتها الشهيرة عبر البر تصحبها قافلة من الإبل غنية بالتجهيز، محملة بالطيوب، و بكميات كثيرة من الذهب والأحجار الكريمة، قدمتها هدية للملك سليمان⁽⁶⁾ ، وقد أكد القرآن تلك الرواية.⁽⁷⁾ وعلى الرغم من أننا لم نقف - فيما وقع بين أيدينا من النقوش - على أي شيء من ذكر لأحداث تلك الزيارة، ولا حتى اسم ملكة سبأ، إلا أن هذا لا يعني عدم صحتها فالرواية تؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - وجود تواصل تجاري بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية.

أما المصادر المصرية، فهي الأخرى زودتنا ببعض المعلومات عن صلات الفراعنة بمناطق إنتاج البخور، خاصة وأن البحر الأحمر - منذ أقدم العصور - كان

يعد من الطرق المائية الرئيسية التي حمل إلى العالم مبادئ الاتصال التجاري والفكري، فمنذ عهد الملك (ساحورع 2470 ق.م) تقريباً تحدثت الكتابات المصرية عن تلك الصلات التجارية. وفي المملكة الوسطى (حوالي 2000-1800 ق.م) استمرت الرحلات إلى بلاد سميت عند المصريين (بونت Punt)، لقد زحرت جدران المعبد المصري الكبير - بـ (دير البحري) بالقرب من (طيه) - بمجموعة من الرسوم للجصية الجدرانىة الملونة والبارزة، تحكي ذكرى رحلة الأسطول المصري - المكون من خمس سفن كبيرة - والذي أرسلته الملكة (حتشبسوت) إلى (أرض الإله) أو (أرض بونت Punt)، (8) كان ذلك في حوالي 1500 ق.م، عندما عادت السفن محملة بالبخور والمر، وأنواع من شجر الطيب والعاج، والأبنوس. وبعد ذلك بثلاثة قرون، أرسل الملك (رمسيس الثالث 1198-1167 ق.م) أسطولاً مكوناً من سفن كبيرة إلى بلاد (بونت Punt) (9) أيضاً.

وبإلى جانب المصادر المصرية، فإن المصادر الآشورية هي الأخرى تمثل مصدراً مهماً، يحكي عن وجود أكثر من تحرك سياسي وعسكري مهم قام به ملوك وملكات عرب، فقد أشارت الكتابات الآشورية إلى العلاقة التي كانت قائمة بين ملوك آشور وملوك اليمن القديم، خاصة في عهد الملك الآشوري (سرجون الثاني 714 ق.م) عندما تلقى جزية، أو هدية من الذهب، والأحجار الكريمة، والأعشاب، والخيول من الملك السبئي (آتي أمر)، أما الملك (سنحاريب 685 ق.م) فقد استقبل مندوباً من الحاكم السبئي (كريسي إيلو) محملاً بالهدايا من معادن ثمينة وأحجار كريمة وطيوب، وقد أجمع علماء النقوش على أن الملكين السبئيين هما نفسهما اللذان جاء ذكرهما في النقوش السبئية (بثع أمر) و (كرب إل) من حكام سبأ الأوائل، (10) ويمكن الافتراض بأن الأمر يتعلق بهبة طوعية كان قد قدمها ملوك سبأ لملوك آشور، حتى لا تتعرض مصالحها التجارية للاعتداءات الآشورية في شمال شبه الجزيرة العربية وفي الشرق الأوسط كله، وتعبيراً عن حسن النوايا وتوطيد للعلاقات بين الطرفين.

ومن المصادر التي جاءت لنا من خارج شبه الجزيرة العربية، المصادر الكلاسيكية، (11) التي تعد من أفضل المصادر المدونة القديمة التي تتحدث عن النشاط التجاري للمالك اليمنية القديمة، وعن السلع الهامة التي تصدر من جنوب شبه الجزيرة العربية وهي (اللبن والمر)، فقد ذكرت تجارة الطيوب منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وتحدث عن تلك التجارة كل من (هيرودوتس Herodotus)، و(ثيوفراستوس Theophrastus)، و(سترابو Strabo)، و(بليني Pliny)، و(كلود بطليموس Claud Ptoleme 100-178 م) وكتاب الطواف حول البحر الإريثري (The Periphus of the Arythraean Sea) في (القرن الثالث الميلادي) على الأرجح، وبالرغم من التناقض والمبالغة اللذين شابا بعض تلك الدراسات، إلا أنها احتوت على معلومات مهمة عن تجارة البخور ومناطق زراعته، ومواسم حصاده، وسعره، والممالك التي

تمسكها تلك التجارة، فسطروا صفحات طويلة للحديث عن كل ما يتعلق بشجرة البخور، كما أشاروا إلى أن الفنى الخارق المنسوب إلى السبئيين نجا عن تجارتهم بالمر والسبان، إذ وصلت سلهم تلك إلى أسواق البحر المتوسط باهظة الثمن، بعد مرورها بسلسلة من المراكز التجارية، يتم خلالها دفع كثير من الموائد والتكاليف.

أما المصادر المحلية فتتمثل في النقوش، فبالرغم من العدد الكبير من النصوص النقشية التي عثر عليها في مناطق متفرقة من اليمن، إلا أن مواضيعها في الغالب لا تخرج عن النذور الدينية، والأخبار العسكرية، والإتشاءات العمرفية.. أما حديثها عن الرحلات التجارية الخارجية، والمكاسب التجارية، فمضحج جداً. وكل ما عثر عليه من نصوص عن التجارة لا تتعدى إشارات طفيفة حوتها بعض النقوش من بينها: (نقش RES 2771)، (RES 2773) وتمتد هذه النصوص - كيفما دارت بها الحال - وثيقة مادية وتاريخية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك - الاتصال التجاري الذي كان قائماً بين اليمن القديم ومصر (أثر) (وبلاد الشام (سوريا؟) وهناك نقش (J8 931) يتحدث عن أسماء لشخصيات أجنبية شاركت ملك حضرموت (إل عزيلط) احتفالات تتوجه ملكاً، أما نقش (RES 3952) فهو لتاجر حضرمي يذكر فيه إهداء للإله (سين ذا اليم) عثر عليه في جزيرة (ديلوس) اليونانية، كما عثر أيضاً في نقش الجزيرة عينها على نقش لآخر لتاجر معيني، هو نقش (RES 3570)، وهناك نقش آخر سجله تاجر معيني في مصر (RES 3427) والذي يعد من النقوش التي تؤكد النشاط التجاري للرائد الذي كان يقوم به قماء اليمنيين مع شعوب العالم القديم⁽¹²⁾.

أما الأدبيات العربية فقد أشارت بشكل غير إلى التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية من خلال ذكرها لبعض السلع منها: اللبان والمر، والصبر، والورس، تلك السلع التي لا تزرع إلا في اليمن⁽¹³⁾.

ثانياً- السلع التجارية:

1- صادرات اليمن القديم:

تاجر قماء اليمنيين بكثير من البضائع التي كان لها رواج كبير لدى شعوب الحضارات القديمة، كمصر، وبلاد الرافدين، وحضارات البحر المتوسط.. ويمكننا تصنيف تلك السلع إلى:

أ- سلع تنتج محلياً.

ب- سلع تجلب من شرق إفريقيا.

ج- سلع تجلب من الهند وميلان.

أ- سلع تنتج محلياً:

اشتهر اليمن بحكم - خصائصه المناخية - بتوفير أنواع مختلفة من النباتات والأعشاب ذات الروائح الطيبة والمواد الصحية والصناعية... ومن أهم تلك السلع:

1- سلع مقدسة: اللبان والمر

شكلت زراعة شجر اللبان والمر، وتصديرها إلى الأسواق العالمية مصدرا حقيقيا لشهرة اليمن قديما⁽¹⁴⁾، نظرا للطلب المتزايد على هذه السلع. وإذا تتبعنا الأهمية التاريخية لهذه السلع لمرافنا - بصورة جلية - للمكفة العالمية التي حظي بها اليمن قديما، نمد نظارنا منطقة شجر اللبان الرئيسية، إلا أن الناس عرفت نمو شجرة اللبان، في وادي حجر (948 CIH) ومنطقة متفرقة من حضرموت، منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وربما قبل ذلك بزمان بعيد.

لقد كان للبخور⁽¹⁵⁾ (اللبان، المر، والصبر...) أهمية عظيمة في الطقوس الدينية - منذ بداية التاريخ، وتشوه الحضارات الأولى إذ كانوا يلجؤون - حينذاك - إلى حرقه قربانا للآلهة، فكان السومريون والبابليون يحرقونه للتطهير، واسترضاء الآلهة! وكان الفراعنة - منذ القدم - يترجمهم يستخدمونه قربانا للآلهة، ويرسلون البعثات إلى أرض الإله لو بلاد (بونت Punt) - كما مر علينا سابقا - للحصول على اللبان للبخور. وقد عثرت البعثات الأثرية على كرات من الروائح داخل قبر (توت عنخ آمون)، كما تم اكتشاف مبلخر في بهور (مناون) بجزيرة (كريت)، وتصور أصناف البخور في (نيناوى) الروائح وهي تحرق للآلهة (الشمس)، كما نجد في كثير من معابد الآشوريين أصداء عالية للروائح تتصل بين الملك والآلهة وبين رعياه.

وعند البابليين فإن دخان الروائح كان يخفي حضور الإله في الخيمة المقدسة.. واستخدم الفرس - كذلك - الروائح والمطور في عبادتهم. ولما البابليون فكانوا يستخدمونها لبنا بباراف، وتصور منحوتهم كيفية إحراق البخور على مبلخر صغيرة. وكان الإغريق والرومان يحرقون البخور بكميات كبيرة داخل معابدهم، وفتحت منهم هذه المادة إلى المسيحيين بعد أن كانوا قد توقفوا عنها.. وما برحت الروائح تستخدم اليوم في الكنائس الشرقية والغربية.. لما في ديفات الشرق الأقصى - وخاصة في البوذية - فقد شكل إحراق الروائح جزءا مهما من الطقوس الدينية.. وكان الكلدانيون يحرقون البخور سنويا على مذبح الإله (بعل) في (بابل) - ما يعادل عشرة آلاف وزنة، ولأهميته المقدسة كان يحفظ في غرف خاصة في المعابد، وكان معبد (أمون) يحصل سنويا على 2159 جروج و 304 وزنة من البخور في القرن الثاني عشر قبل الميلاد⁽¹⁶⁾.

وفي الهند كان الهنود - وخاصة (الميلس) - يستعملون البخور عند قيامهم بطقوسهم الجنائزية، وفي حياتهم العادية ومثلهم في ذلك مثل البابليين الذين يستخدمون البخور عند تأدية شعائر الديانة⁽¹⁷⁾.

وفي اليمن القديم، كان البخور من السلع المقدسة بدليل أن الملك كان يشرف على تجارته مباشرة، كما أنه كان يُخزن داخل مخازن خاصة في المعابد.. وقد عثرت بعثات الآثار على عدد كبير من المبلخر التي تحمل أسماء أنواع البخور للأغراض الدينية، وكان يستخدم أيضا عند الطقوس الجنائزية. يقول (بليني): "نحونا نضع في

الحساب المعدد الكبير من الجنائز التي تشيد كل عام في جميع أنحاء العالم، وتلك الأكوام من البخور التي تحرق لتولد رائحة زكية على شرف أجساد الموتى...، وأضاف .. أن ذلك يعد من رفاهية الإنسان الذي يتباهى به حتى عند الموت.. كما لجده يتبرم من تنهير (نيرون Nero) عامل روما (54-68)، ومن إمبراطره في حرق البخور لإجراء شعائر جنازة زوجته المتوفاة، فراح يُعبر عن امتعاضه من اضطراب روما إلى دفع مبالغ طائلة كل سنة في الاتجار مع العرب، فلقي بتمتع هذا الإذلال الاقتصادي على عوائد اللصاء الرومانيات في نزواتهن ورغبتهن في التلطيب⁽¹⁸⁾.

وإلى جانب استخدام المر - كبخور مقنس - فله كان يستخدم أيضا في عملية التحنيط عند المصريين، كما يدخل المر في مستحضرات العطور والتجميل، ويصنع منه عقار طبي لعلاج المعال ويدان الأمعاء، ولسع العقارب..⁽¹⁹⁾ ومن الملفت للنظر أن كلان المر الصرّف من مركبات الزيت المقدس عند اليهود، وكان قد ورد ذكره أيضا من ضمن الهدايا التي حملها الملوك المجوس إلى السيد المسيح في مهده⁽²⁰⁾.

وعن أنواع المر اليميني فقد عديتها الكتابات الكلاسيكية منها:

1- المر (تروغلوديتيك Troglodytique) الذي كان يجلب من سبأ على البحر الأحمر، ولم يحدّد ذلك الموقع.

2- المر (المعيني Mineenne) وهو المر الذي كان يتاجر به المعينيون.

3- المر (الحضرمي Atramitique).

4- المر الجبائتي (الجبائي Gebbanitique).

5- المر (الأوساريتي Ausarite) نسبة لمنطقة الوسر في الإقليم الأوساني⁽²¹⁾.

2- سلع يستخرج منها العققير الطبية:

لقد كانت مدن العالم لتقديم سوفا رائحة لتجارة هذا النوع من السلع، التي هي - في الغالب أعشاب طبية يستخرج منها عققير لمعالجة كثير من الأمراض ومن بين مئات هذا النوع من السلع الذي استخدم كعقار طبي كالآتي:

أ- **المر:** سبق وأن شرّحنا أهميته .

ب- **الصبير:** وهو ينتمي إلى فصيلة (الزيتيات) وله طعم مر يستخدم ألسنا للأغراض الطبية، ولجود أنواعه: الصبير السقطري الذي ينمو في جزيرة سقطرى، ويعرف أيضا باسم الصبارة، وهو يفيد في علاج أمراض الصدر، وسقوط الشعر، وبعض الأمراض التناسلية⁽²²⁾.

ج- **الصمغ:** يستخدم كمادة طبية، ويدخل في صناعة العققير الطبية، وفي تحضير مواد الصناعة في حالات تثبيت اللون⁽²³⁾.

(د) **القرفة:** أو السنن أو الدار صيني، وتذكر المصادر الكلاسيكية شجرة القرفة باسم (Cinnam)، أما الاسم الحديث للقرفة فهو (Canella)، وكان نباتها ينمو في

جنوب شبه الجزيرة العربية قديماً، وفي الهند، وسيلان، ومالابو، وكرومفلند.
لما شجرته فهي تشبه شجرة الصنصاف، إلا أنها تنقلها لارتفاعها⁽²⁴⁾

ج- اليلليم: نبات طبي اشتهر به اليمن قديماً، وأصبح اسمه اسماً لكل دواء لشدة
فعايته.

ومن بين المواد النباتية التي يستخرج منها العقاقير الطبية (خوار شنبر) أو (خيار
شنبر) الذي قال عنه (بيليني) بأنه أحد السلع المهمة التي كانت تتوافر في اليمن القديم
ويتاجرون بها⁽²⁵⁾

3- يملع تستخدم للأغراض الصناعية:

أ- المطور: اشتهر فينيون قديماً بصناعة الطيوب والمطور، والاتجار بها، فقد أشر
الكلاسيكيون إلى هذه السلعة، فذكر (ديودوروس Diodorus) كتب يقول: تنوح في
طول البلاد، وعرضها رونق عطر طبيعي⁽²⁶⁾، أما (سترابو Strabo) فقد أشر إلى
أن السبنيين يتاجرون بنوع من المطور سماه (Latimun)⁽²⁷⁾، كما أن أهم السلع
المعروفة في سوق (عدن) - قبل الإسلام - كانت من الطيوب والمطور، واشتهر
أصنافها يسمى عطر الفلجية⁽²⁸⁾. وقد قسم العرب لطيوب إلى قسمين: ذكوراً وإناثاً،
المذكر هو الطيب ما يصلح للرجال دون النساء: كالمسك، والبنبر، والعود، والكافور،
والفلجية، والذريزة.. أما الأنثى فهو طيب النساء: كالطوق، والزعفران⁽²⁹⁾ ...
وغيره.

ومن أهم المواد التي تصنع منها المطور (المسك)، حيث يعد المسك من المواد
الزكية الرائحة، فهو نتاج حيواني يؤخذ من الحيوان المعروف باسم (قط الزباد)، وهو
نوع من الحيوانات المتوحشة شبيه بالقط يعيش في جزيرة سقطرى، والهند، والصين،
له لبان كثيف يقول يعرف باسم (Moschiferuo - Musculus, Mascmale).

والمسك إما يستقر في غدة في بطن هذا الحيوان عند 'مترته'، فإذا ما حكها في
صخر فتفر ما بها من مادة المسك، ويخرج لتجار يجمعونه للتجار به⁽³⁰⁾

أما البنبر فيحتل مكان الصدارة بين أنواع المطور المستقرة، أهم مناطق وجوده :
الشريط الساحلي الجنوبي لجنوب شبه الجزيرة العربية، الذي كان يطلق عليه إقليم
(الاسماء) أو (الشحر) ⁽³¹⁾ أو (المهرة) يجمع البنبر من الفئول على هيئة كرات
صغيرة منتظمة على شكل مبيحة، إلى جانب استخدامه كمطر - يستخدم أيضاً لعلاج
بعض الأمراض، فهو مقو القلب⁽³²⁾

لقد توافرت في اليمن القديم العديد من النباتات التي استخدمت في صناعة الملابس
والأغراض المنزلية المختلفة، ومن أهم تلك النباتات: الزعفران أو الكركشة،
ويستخرج من نبات يشبه السمسم، وهو نوعان: الزعفران الأصفر النقي، والزعفران
العربي المسمى (الورس) وكلا النوعين يستخدمان للصباغة، كما يدخلان في صناعة
المطور، والعقاقير الطبية،⁽³³⁾ ويقول حمور: ⁽³⁴⁾ كان التجار القادمون من عدن إلى

صنعاء يحضرون معهم الأدم والبرود والزعفران، والأصباغ، إلى جانب ذلك يستخدم الزعفران كنوع من التوابل.

ومن النباتات التي كان يستقل مما يستخلص منها من مواد سائلة تدخل في أغراض الصناعة، والعلاج الطبي هي: شجرة (دم الأخوين) أو ما يعرف بـ (العندم)، ولبن لهذا النوع وجود أو مثل سوى في جزيرة سقطرى .. فهذه الشجرة بما هي نادرة في وجودها، وعجوبة في طبيعتها يستخرج من سائلها - إثر القيام بشقه - مادة سائلة حمراء اللون أودات طبيعية لزجة تستعمل - وهي في حالة طرونتها - لتطهير الجروح وتضميدها، فتقوم عندئذ مقام المادة المطهرة تماماً،⁽³⁵⁾ وعندما تأخذ في التجمد تصير على شكل فصوص حمراء، تستخدم في صناعة الأواني الفخارية.

ب- سلع تجلب من شرق أفريقيا:

يتلى العاج في قائمة السلع الأفريقية، حيث كان يستخدم في القطع، والقرصيع، وحشو قطع الإثاث الفاخر، كما يستخدم في صناعة الأدوات الملحية.

والى جانب العاج كان الأفارقة يصدرون ريش النعام والقرقة التي تزرع في الحبشة وشرق أفريقيا كما كانوا يتاجرون بالرقيق والقرقة ...⁽³⁶⁾

ج- سلع تجلب من الهند وسيلان:

تاجر اليمينيون قديماً بجلب البضائع الشرقية القادمة من الهند وسيلان والاتجار بها فكانت البهارات (الأخوية) تأتي على رأس قائمة تلك السلع التي كانت تأتي رولجا عالمياً كبيراً.

والمعروف أن معظم التوابل تأتي من الهند، إلا أن أنواعاً منه تنتج أيضاً في اليمن القديم والحبشة. وأشهر التوابل: الفلفل الهندي الذي كان يستخدم لتطيب الطعام، والكافور، والزعجبل، والقرنفل الذي كان يستخدم لحفظ الأطعمة.

ومن السلع الشرقية المرغوبة أيضاً الحرير الذي يجلب لسلماً من الهند والصين وسيلان، وهو يعد من البضائع الشرقية الفاخرة التي كان الطلب عليها كبيراً لدى الرومان والبيزنطيين. كما تعتبر هذه السلعة من العوامل الأساسية التي دفعت بالإسكندر المقدوني إلى غزو الشرق، وإلى جذب الحرير نجد المنسوجات الشرقية هي الأخرى تعد من البضائع الهامة عند الغربيين وبالفات المنسوجات القطنية والحريرية والكتانية المطرزة بخيوط من الذهب والفضة.⁽³⁷⁾

2- واردات اليمن القديم:

إن أهم السلع التي يستوردها الشرق عن طريق اليمينيين جاء ذكرها في كتب (الطواف حول البحر الإريثري The Periplus of the Erythruen Sea)، فهذا الكتاب كان مصدرنا الأساسي في معرفة تلك السلع، إذ يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي، وقد جاء فيه ذكر: القمح، والنبذ، والملابس، والحناء، والقصدير وغيرها من البضائع المصرية كانت تصل إلى موانئ موز و تها.⁽³⁸⁾

وفي فقرة أخرى يشير المؤلف إلى أن اللؤلؤ يورد من عمان إلى قنا، كما يذكر أن مدينة (ابولوجوس Apologus) في (بارثيا)، كانت تصدر اللؤلؤ والذهب ومواد أخرى إلى العربية السعيدة، ويأخذون مقابل ذلك بضائع العربية السعيدة (الذين القدم) وبضائع شرق أفريقيا⁽⁹⁹⁾.

إن فاهم السلع المستوردة هي: القمح، والنبذ، والمنسوجات، والنفط، والقصدير .. جميعها تجلب من مصر والشام، كما كان اليمنيون قديما يستوردون المصنوعات الحرفية. ومن عمان و (بارثيا) فارس كفوا يجلبون اللؤلؤ والذهب. ولا شك أن هناك سلما تجلب من بلاد اليونان، ومن روما إلا أننا لم نعرف شيئا عن هويتها.

ثالثا: الطرق التجارية:

لقد اكتسبت الطرق التجارية البرية منها والبحرية التي ربطت جنوب شبه الجزيرة العربية بخصارف العالم القديم، أهمية تجارية خاصة، تلك الأهمية التي لم تقتصر على حجم البضائع وقيمتها الاقتصادية، بل بما يتمخض عن ذلك الاتصال من تبادل حضاري وتقلي هام.

1- الطرق البرية (طرق القوافل):

من المعلوم أن طبغرافية المنطقة، ومناهل المياه، وتوفر الحماية من الشروط الأساسية التي تحدد اتجاه الطريق الذي تسلكه القوافل، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الطريق البرية قد تتحول أحيانا تبعا لموامل سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، وقد ينتج عن ذلك ظهور مدن وتدنثر أخرى. ومن ملاحظ أن كثيرا من الطرق البرية قد فقدت معالمها عبر الأزمنة التاريخية لتاريخها - الذي يود إلى أكثر من (3000) ثلاثة آلاف عام - بحاجة إلى بحث ودراسة علمية تسهم في إحياء الحضارة الإنسانية.

فإذا لقينا نظرة على الخريطة التضاريسية لجنوب شبه الجزيرة العربية نجد أن التضاريس تتخذ شكل قوس من الجبال والهضاب المرتفعة يمتد من الغرب إلى الجنوب حيث تنكسر حنته عند السهول الساحلية غربا وجنوبا، فالإتصال يمكن أن يتم بسهولة من جهة الغرب عندما تتبع الطريق الساحلي، أما شرقا فترتقي تلك المرتفعات في صعود رأسي، ابتداء من البحر الأحمر على شكل حواجز، تتحدر تدريجيا نحو صحراء (الربع الخالي)، والتي كانت في الماضي بحرا جيولوجيا تتهيأ لمواجه الرملية فتتلم سفوح الجبال تاركة في كل مكان تقريبا ما يشبه القواطع الممتدة على أرض صلبة مسطحة، تصلح لأن تكون طريقا سهلا للقوافل، أما الهضبة الشرقية فتقسم بحدائقها جيولوجيا، فصخورها رمسية قابلة للتشكيل ولتغير لذا نجد الأودية تشق لها منافذ متشعبة بمثابة منافذ مائية هامة، تربط بين الساحل وهضبة حضرموت في الداخل وكما أعطت تلك المسالك المائية لحضرموت وحدتها الجغرافية، نجدها أيضا بمثابة العامل الرئيس لوحدةها السياسية والاقتصادية.

إن لقد حسنت تلك التضاريس، ومصادر المياه اتجاه الطريق الذي سلكته القوافل، ولربطت من خلاله بخصارف العالم القديم. أما الوسيلة الأساسية للاتصال والتبادل

المسلمي فكان الجمل ذو المنام الواحد، وقد ربط بعض العلماء بداية التجارة البرية باستخدام الجمل، ولقد أشارت إلى الجمل جاءت في النقوش العرفية تعود إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. أما النقوش المصرية الخاصة برحلة (حشيشوت) إلى بلاد البخور - التي عثر عليها في (دير البحري) - فالرسم رسم عليها حمرا كوسيلة للنقل، بسد أن الاكتشافات الأثرية كشفت عن بعض الرسوم الصخرية البدائية- يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد - على طريق القوافل شمال (نجران) تظهر الجمل فيها كحيوان متوحش كان يتم اصطياده ويطن بالحرية حتى الموت⁽⁴⁰⁾ لما (البريت Albright) فسرى أن لعدم ترويج لاستئناس الجمل يعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد⁽⁴¹⁾.

ويمكن الاستنتاج بأن الجمل المستأنس كانت تشق طرقها من الجنوب إلى الشمال بأعداد قليلة ابتداءً من الألف الثالث قبل الميلاد، وإن قداماء اليمنيين كانوا قد مارسوا نشاطهم التجاري السري منذ تلك العهود، وربما لم تكن بالأهمية التي كانت عليه في مطلع الألف الأول قبل الميلاد. فالجمل يسير في الصحراء وهو يحمل ما يقارب (200) كيلوجرام من البضائع، ويقطع مسافة (100) كم في اليوم، وبمستطاعه أن يسير 20 يوما دون ماء تحت درجة حرارة قد تصل إلى 50°م،⁽⁴²⁾ مع الأخذ بعين الاعتبار أن قدرة الجمل لتحمل العطش تتفاوت حسب الفصول السنوية، ففي فصل الشتاء يمكن للجمل التحمل، أما في فصل الصيف فالجمال تحتاج الماء كل يومين أو ثلاثة أيام⁽⁴³⁾.

فالطريق السري أمام تجار عصور قبل الميلاد لم يكن ممهدا وسهلا، بل كان محفوا بكثير من المخاطر والمتاعب، فالطريق الداخلية تنطلق من الشواطئ الجنوبية لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) ثم تصعد شمالا وتكور حول (رملة السمعتين)، أي حول منطقة صحراوية مليئة بالكثبان الرملية التي - بالطبع- تشكل عائقا لسير الجمل المحملة بالأحمال الثقيلة، حيث يصل معدل الكثبان الرملية إلى ارتفاع (200) قدم تقريبا.⁽⁴⁴⁾ في الجهة الشرقية، مثل تلك الطبيعة الصحراوية القاسية تحتاج إلى مرشدين للقوافل ملين بالطرق البرية، وبمناهل المياه في الصحراء: من أبار وعيون، وبحاجة إلى حراس يعملون على حفظ الأمن وتأمين سير القوافل من سطو قطاع الطرق ... وسادة البدوي خير من كان يقوم بتلك المهمة. أما قيادة القوافل فلم تكن لتمطي إلا للفئات الغنية التي كان لها نفوذ كبير بين قبائلها⁽⁴⁵⁾.

على طول تلك الطريق وحول مناهل المياه أنشئت مراكز ونقاط وكانت بمثابة قنوة الأولى لمراكز تجارية، ومع تعاقب النشاط التجاري، تحولت تلك المراكز إلى مدن تجارية، وإسارت وحكومت ... وقد طلق على تلك الطريق (سريق البخور) علما أن تلك الطريق نفسها كان ينقل عبرها سلعا أخرى قيمة لا تقل أهمية عن البخور ...

- الطرق البرية الداخلية والخارجية:

أ - الطرق الداخلية:

ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية شبكة واسعة من الطرق البرية الرئيسية منها والقرعية، ومركز - في دراستنا هذه - على أهم تلك الطرق، (انظر الخريطة رقم 2) وذلك على نحو ما هوأت:

1- ظفار - قنا:

الطريق من (ظفار) - المنطقة الرئيسية لإنتاج اللبان - إلى ميناء (قنا) كان يتم سلوكها عبر البر والبحر، فالطريق عبر البحر هي الطريق الأسهل، إذ كان البحور يشحن في قوارب مصنوعة من ألواح الخشب، وينقل على أخشاب (الرمث) التي كانت ترفع بواسطة قرب جلدية منفوخة لتتمكن هذه القوارب من الإبحار من قرى الاصطياد بمحاذاة الساحل حتى تصل إلى ميناء (قنا) مدفوعة بقوة الرياح الموسمية الشمالية - الشرقية⁽⁴⁶⁾.

لما الطريق البري فيقسم بوعرته، ومن الصعب على القوافل الثقيلة بحمولتها أن تسلكه إلا في الحالات النادرة حينها تمر عبر مرتفعات جبلية وعرة محاذية للساحل⁽⁴⁷⁾.

خريطة رقم (2) الطرق الداخلية للرياح



2- ظفار - وادي حضرموت:

هناك طريق تربط بين ظفار ووادي حضرموت تدير بمحاذاة الطرق الشمالية للجبل، حيث تسلك القوافل طريق تتوافر فيها الأبار منتشرة على مداها، وتقطع الطريق منطقة (حبروت) حتى المهرة ومن ثم وادي المعملة حتى وادي حضرموت⁽⁴⁸⁾

3- ظفار - جرها⁽⁴⁹⁾:
توجد طريق بري مباشر تربط بين (ظفار) ومدن الخليج العربي، ومنها (جرها) وغيرها ... ومنها إلى جنوب بلاد الرافدين، إلا أنه لم يدرس بشكل دقيق.

4- قها - شبوة:

هناك طريقان محتملان يمكن أن تسلكهما القوافل من (قها) وحتى (شبوة)، الطريق الأول: واقع شمالا يتجه صوب وادي (حجر) مروراً بوادي صغير يدعى (المينا) يبعد حوالي (30 كم) شمال (قها)، حيث قام مكارب حضرموت سورا وقلة سميت (قلت)،⁽⁵⁰⁾ كان ذلك الموقع بمثابة صمام أمان لإقليم الجول (الوسط)،⁽⁵¹⁾ تسلك القوافل مجرى وادي (حجر) صوب الشمال حتى تصل إلى وادي (عرمة)، ومنه إلى (شبوة). وبالرغم من أن هذه الطريق أكثر طولاً، إلا أنها أكثر أمناً فهو يقع تحت نفوذ ملوك حضرموت الذين أعطوا عناية فائقة لتلك الطريق عندما قاموا بصيانتها وتبليطها. ومن أهم الممرات أو (العقبات) الواقعة على هذا الطريق: ممر (تقورة) الذي يربط (الوسط) بوادي (عرمة) حيث عثر في ذلك الممر على نقش يذكر أعمال تعبيد الطريق وهو نقش (تجرلس I) (Ingram I) وطريق (عقبة) التي تربط بين وادي (عرمة) وشبوة⁽⁵²⁾.

إلى جانب تلك الأعمال الجبارة التي قام بها ملوك حضرموت نجدهم يوفرون كل الإمكانيات لجذب التجار إلى تلك الطريق، وتوفير الحماية لهم ... كما أن الطبيعة الخصبة للمنطقة ووفرة المياه جعلها الأفضل سلكاً من غيرها من الطرق.

طريق لفرى تربط بين قها - وشبوة، تمر عبر وادي موقعة مروراً بخرائب (نقبة الحجر) الموقع الأثري الشهير، فالقوافل تتابع سيرها على طريق الوادي، قاطعة شريطاً ضيقاً من السلاسل الجبلية حتى تصل إلى وادي (عاقين) ومن ثم وادي (جردن)، بعدها تصل إلى أرض رملية، ومنها إلى (شبوة) وكلفت هذه الطريق تشكل مسلكاً مرغوباً أيضاً نظراً: لخصوبة المنطقة، ووفرة مياهها، وما بها من كثافة سكانية كبيرة،⁽⁵³⁾ فعلى طول هذه الطريق تم العثور على عدد من: النقوش، والمخريشات، والآثار القديمة ... وفي الموقع الأثري (بريرة) - الواقع على وادي (جردن) - عثر على تمثال إغريقي لمحارب (بيلوپونيزي)⁽⁵⁴⁾ يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، كما عثر على صلات نقدية عليها لممات من الفن الأثيني يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وقها لتقديرات (جاكولين بيرن J. Pirenne)⁽⁵⁵⁾.

هناك طريق أخرى تربط بين قنا - وتمنع مباشرة دون المرور بشبوة ولا بالأراضي الحضرمية، هذه الطريق تمر عبر الأراضي القبطانية ⁽⁵⁶⁾ غرباً، وقد يسلكها بعض التجار تهرباً من دفع الضريبة لملك حضرموت، لهذا نجد ملك حضرموت - كما أشار إلى ذلك (بليني) يشدد على عدم الانحراف عن الخط الرئيسي حيث يقول: 'بعد أن يتم جمع البخور يحمل على ظهور الجمال إلى (سابوتا Sabota) أي (شبوة)، التي يُترك منها باب واحد مفتوح، يسمح بالدخول منه إلى المدينة، فلذا ما انحرفت القافلة عن طريق المرتفعات وهي محملة بالبخور، فإن القوانين قد حددت عقوبة الإعدام على ذلك' ⁽⁵⁷⁾ ومن خلال مشاهدتنا لآثار (شبوة) نقول (جلكين بيرن J. Pirene): 'مُزال بالإمكان مشاهدة هذه البوابة الفخمة التي تعود إلى الطريق الكبيرة والرئيسية لكل المواقع، التي تُتجه بخط مستقيم نحو القسم الأكثر ارتفاعاً من المنحدر الصخري، والتي تحدد الموقع من الجنوب' ⁽⁵⁸⁾

ويواصل (بليني Pliny) حديثه: 'وفي شبوة يحصل الكهنة على العشر للبله المدعو (سابس) - يقصد الإله (سين) - كيلا لا وزنا، ومن هذا العشر يخصص جزء للمصروفات العامة، ولستقديم ولجب للكرم الإلهي لجميع الغريباء الذين يقومون برحلة خاصة تستغرق أياماً معدودة للوصول إلى هناك' ⁽⁵⁹⁾

فشبوة - إذن وكما أشار (بليني Pliny) - تمركزاً جبركياً لدفع البضائع، حيث تصل البضائع إليها، من كل صوب لترسيمها وييمها أو تخزينها، بعدها تستعد لرحلة طويلة صوب الشمال.

5- شبوة-جرها:

ل للوصول إلى مدن الخليج العربي - وبلاذات إلى المناطق لتجارية (جرها) و (هجر) - تسلك القوافل طريقاً شرقياً تصل عبرها إلى الخليج، ومنها إلى وادي الرافدين، وتجتزئ القوافل هذه الطريق في حوالي (40) يوماً. أما الطريق البحري فتسير بمحاذاة الساحل حتى مدخل نهر الفرات، حيث تتم عملية تعبئة البضائع في سفن نهريّة مكسوة بالجلد، لتجري في المدن الداخلية الكبرى، وتستغرق الرحلة من 30 إلى 34 يوماً ⁽⁶⁰⁾.

6- شبوة-تمنع:

ل للوصول إلى تمنع، تسير القوافل من شبوة صوب الجنوب حتى تصل وادي (جردان)، وهناك إما تسلك اتجاه الجنوب الغربي عبر الجبال فيصل إلى وادي (حمام) ثم (نصاب)، بعدها تتجه صوب (مرخة) ⁽⁶¹⁾ منطقة (هجر لمناب)، ومن ثم وادي بيجان، وإما تسلك الاتجاه الغربي، فتسير من وادي جردان في تمنع مباشرة عبر الطريق الصحراوي. ⁽⁶²⁾

7- شبرة - الجوف:

من تلك طريقين يمكن أن تسلكهما القوافل من شبرة إلى الجوف، دون المرور بملرب
لو يمحان:

الطريق تستجه من شبرة إلى طرف وادي الجوف، وهي الطريق التي اكتشفها (البي
(Philpy) عام 1936م، هذه الطريق شاقة وتفتقر لمناهل المياه، فاقرب بئر- يمكن
الوصول إليها هي بئر وادي الجوف والتي تبعد حوالي 150 ميلا. (63)

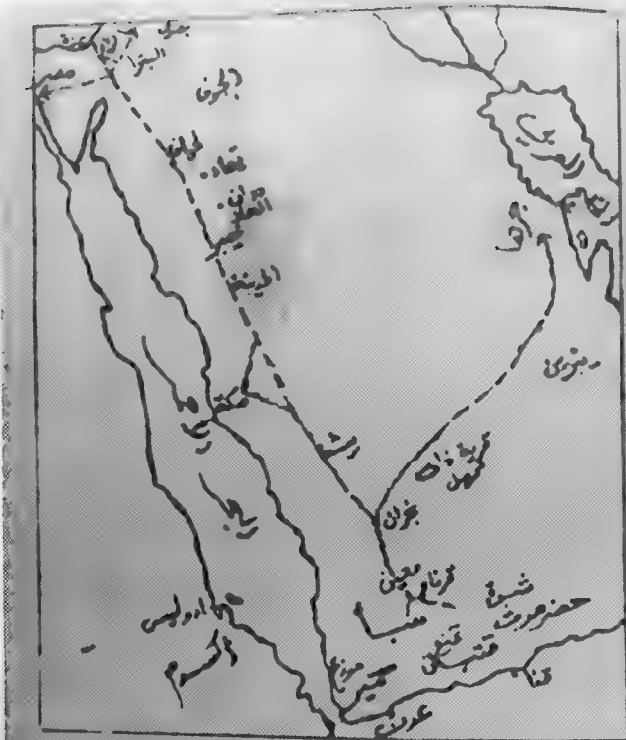
به الطريق الأخرى تسمى شمالاً مروراً بمنطقة (العبر) التي تربط بين حضرموت
وتجران، (64) تنطلق القوافل من العبر وحتى (المثبقة) حيث توجد بئر شاهدا (البي
(Philpy) تحصل مغريشات باقية ومن (المثبقة) إلى نجران مروراً (بجوليس)
على (درب العمير) ومنطقة (برقة). ويمكن أن تسير القوافل جنوباً صوب الجوف
مروراً بولدي (الشرة) لقد ثار (الهدائي) إلى هذه الطريق، (65) كما تحدث نقاش
(Ja 665/1) عن هذه الطريق أيضاً، عندما سارت فيه القوات السبئية حيث انطلقت
من (نشق) في الجوف باتجاه العبر قاصدة حضرموت.

8- تمنع - ملرب:

من تمنع تستطيع القوافل أن تسير على أطراف الجبل إلى (نجد مزقة) ومنها إلى
ملرب، ويرجح أن من يسلك هذا الطريق يتجنب المرور بـ (عقبة مبلقة)، هناك
طريق طويلة صخرية تربط بين تمنع وملرب، تسلكها القوافل ربما في حالات
التهرب من الضربات أو في حالات الحرب واضطراب الأمن، دون المرور بالنقاط
التجارية لنجد مزقة وحريب (66)

9- عن - ملرب:

تسير القوافل من ميناء عن عبر منطقة (الودر) شمال شرق البيضاء، التي لا تبعد
كثيراً عن خرابب (لم عادية) ويعد أن تجتاز القوافل (البيضاء) لتصل سيوها إلى
وادي يمحان، والمعروف أن قصر الطريق القاصدة ملرب تمر عبر (عقبة مبلقة)
نزولاً بولدي (حريب) ثم أطراف رملة السبعين حتى ملرب (67)



خريطة رقم (3) الطرق الخارجية لسير القوافل

10- مارب - الجوف - نجران:

من مارب تسلك القوافل السبئية طريقين للوصول إلى الجوف : طريق تربط بين مارب وقرناو (معين) مباشرة، ومنها إلى نجران، وطريق أخرى تتصلق من مارب وتسير عبر وادي (رغوان) - حيث نجد حالياً خرائب (خربة سعود) و (الأماطل) و (جنفير بن منيخير) - ومنها إلى (براقش)، وجميعها مراكز تجارية هامة على طريق القوافل، ومن براقش تسير القوافل شرق جبل اللوذ حتى تصل إلى نجران.^(٣) ومن نجران تسير القوافل باتجاهين شرقي شمالي، وشمالي شرقي.

ب : الطرق الخارجية:

1- طريق نجران - جرها:

تستج هذه الطريق صوب (جرها) و (مجر) بالخليج العربي، مروراً بمحطة تجارية هامة هي (قرية ذات كهل) كما تطلق عليها الفعوش، وتسمى حالياً (قرية الفلج) بولادي النواصر، ومنها تتجه القوافل صوب اليمامة لتتوقف بمدينة (جرها) و (الهجر)، ثم تتجه شمالاً حتى تصل جنوب بلاد الرافدين⁽⁶⁹⁾ فتلحق خريطة رقم (3)

2- الطريق نحو الشمال والشمال الغربي:

تنتقل القوافل من نجران إلى الشمال عبر خط سير تحدده: طبغرافية المنطقة، ومناهل المياه، والظروف المناخية، وتوافر الحماية ... والملاحظ أن القوافل تتجنب المرتفعات والمنخفضات الساحلية المحاذية للبحر الأحمر، فالجمل يسير محملاً ببضائع ثقيلة عبر مساحات شاسعة. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن طريق البخور هي الطريق نفسها التي عرفت فيما بعد (بدرج لصحاب الفيل) بأن حملة (إبرهة) على مكة، وهو نفس طريق الحج، إلا أن هناك رأياً آخر - وهو الأرجح - يرى بأن طريق البخور تبدد قليلاً صوب الشرق في الطرف الغربي الصحراء حيث الطبيعة التضاريسية الأقل وعرة وبلقي الأكثر ملائمة لقوافل الجمل.⁽⁷⁰⁾

لبن فهناك طريقان : الطريق القديم (طريق البخور)، وطريق الحج. ومن المؤكد أن منطقة (تبالة) - (ثماله) تعد منطقة التقاء للطريقين، فالمسافة التي يتم قطعها على هذا الامتداد تصل إلى حوالي (280) ميلاً، أو اثنتي عشر مرحلة، أما المسافة من (تبالة) إلى يثرب فتبلغ (350) ميلاً⁽⁷¹⁾.

3- يثرب - بदन (العلا):

من يثرب تتبع القوافل الطريق التي أصبحت فيما بعد طريق الحج حتى العاصمة الليثانية (بदन) ومدينة الهجر (مدائن صالح) على بعد (220) كم جنوباً، أما طول الطريق من يثرب حتى الهجر فتبلغ حوالي (25) ميلاً.

على طول الطريق الشمالية تم العثور على عدد من الكتابات النشودية والمعينية والليثانية في المنطقة الممتدة من نجران وحتى (بदन) والعلا والهجر (مدائن صالح)، أهمها الكتابات المعينية التي يمسود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد.⁽⁷²⁾ تلك الآثار النصية تؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - بأن المعينيين المنظمين للتجارة البحرية تكفوا قد وضعوا نصب أعينهم الوسائل اللازمة لتأمين مرور تجارتهم بأمان، فلمسوا لهم تلك المتوطنات التجارية على طول تلك الطريق الشمالية.

2- الملاحة البحرية:

لا نعرف على وجه اليقين متى بدأ قداماء اليمنيين يقومون بالملاحة البحرية، فشبها الجزيرة العربية تتوسط قارات العالم القديم، وتطل على مساحات مائية هامة : كالبحر الأحمر غرباً، والمحيط الهندي وخليج عدن جنوباً، والخليج العربي شرقاً،⁽⁷³⁾ مميزت

طبيعية كهذه صنعت دون شك لشعوبها القيام بالنشاط البحري منذ عصور موغلة في القدم، وقد أجمع المؤرخون على أن قدماء الصينيين كانوا أول من احتكر تجارة الشرق (الهند وسيلان) وتجارة شرق أفريقيا، ونقلوها إلى بلاد الشام وشواطئ البحر المتوسط وإلى ذلك أشار (أجاثارخيدس Agatharchid de Cinde) في عام (130) قبل الميلاد عندما تحدث بدهشة عن الروائع العطرية التي كانت تنبت على امتداد ساحلهم (يقصد الصينيين وأهل جرها، وعن كونهم وكلاء كل شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوروبا، وهم الذين جعلوا سوريا غنية بالذهب، وفتحوا للتجار الفينيقيين تجارة رابحة)⁽⁷⁴⁾.

ويذكر ذلك القول (بليني Pliny) عندما أشار إلى أن العرب قد استقروا في سيلان منذ القرن الأول الميلادي،⁽⁷⁵⁾ أما مؤلف (الطواف The Periplus) قد أشار إلى أن العرب الجنوبيين كانوا كثيراً في ساحل (مالابار) في الهند، كما أنهم كانوا في سيلان من الكثرة ما جعلهم أسياد الساحل، فوجودهم هناك جعلهم المحتكرين الأساسيين للتجارة الشرقية (الهندية والصينية)⁽⁷⁶⁾.

ظل العرب ولعمري طويلاً محتفظين بأسرار الملاحة في المحيط الهندي، حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وبعدما أصبح اليونانيون والرومان المنضمين العرب في الملاحة بالمحيط الهندي، وخاصة بعد أن اهتمى اليوناني (هيرابولس) إلى استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف، مما ساعد على تصدير وتقليل أمد الرحلة من البحر الأحمر إلى منخل الهند، في عرض المحيط الهندي مباشرة، ودون الاستمرار بخطوط السواحل الطويلة، أو الحاجة لوسيلة العرب. ومنذ ذلك الحين فقط بدأ الرومان يقومون برحلات بحرية منتظمة إلى بلاد الهند، واستطاعوا أن يفتحوا عباب البحر على مقربة من الموانئ الصينية.⁽⁷⁷⁾

ولما أعاد (أوغسطس 30 ق.م - 14م) الأمن إلى البحر المتوسط صنعت الملاحة البحرية، وزاد الرخاء العام، مما جعل الإقبال على المنتجات الشرقية يتضاعف .. عن ذلك الأدهار يقول (بليني Pliny): "ما لا يقل عن 120 سفينة كانت تبحر في العام الواحد من ميناء (ميوس هورمز Myns Hormus) إلى الهند على خلاف ما كان عليه الحال من قبل". وقد وجد في اليمن وفي الهند كثير من العملات الرومانية تؤكد ذلك الاتصال.⁽⁷⁸⁾

وقد كان عصر أباطرة أميرة (يوليوس كلوديوس) وأمبراطور (فلافيوس Flavius) (13 ق.م - 96م) عصر ازدهار للتجارة الرومانية مع الهند واليمن القديم، وبالرغم من المنافسة لليونان والرومان للعرب بشكل عام على تجارة الهند وشرق أفريقيا فقد ظل قدماء الصينيين يملكون سفناً بحرية تقوم برحلات نقطة ازدهرت خلالها الموانئ الصينية لزهدها عظيمًا خلال مطلع الميلاد.

١- الموانئ والمراكز البحرية التجارية:

لقد توافرت لليمن القديم المند من الموانئ الهامة، والتي ساهمت بشكل فعال في ازدهار الملاحة البحرية منذ زمن بعيد، فكتبت بمثابة مراكز أولية للتصدير والاستيراد، حيث تنقل منها البضائع وتصل إليها براً وبحراً، ومن أبرز الموانئ القديمة:

1- ميناء موزا (Muza) (موزع):

من المعلوم أن ميناء (موزع) من الموانئ اليمنية الواقعة على الشريط الساحلي الشرقي للبحر الأحمر، وكان هذا الميناء قد شهد ازدهاراً كبيراً، وشهرة عالمية منذ القرن الثالث الميلادي، في عهد كتاب (الطواف حول البحر الأرثري The Periphus of The Erythraen Sea) الذي نُشر في فترات (21، 22، 24) من هذا الكتاب إلى أهمية هذا الميناء، وقته يقع في إقليم المعافر (الحجرية اليوم) وسماء (موزا Muza)، في (قصة 21) كتب يقول: "موزا عبارة عن سوق تجارية أقيمت وفق قانون محلي، وهو ميناء، مزدهم بالمركب، ويملاك السفن العربية، وتجار البحار، والنامس في شغل شاعل بشؤون التجارة، تلك كونهم يقومون بالتبادل التجاري مع أهل القرن الأفريقي في البحر، ويرسلون السفن الخاصة بهم إلى (باريجا Barugaza). ويضيف: "وموزا ميناء تابع للملك (كرب بن) (79) ملك ظفار Sapphar Charbael، الذي امتد نفوذه إلى شرق أفريقيا الجنوبي نيابة عن أمير المعافر، وأنهم يرسلون المركب، عليها ولبنة ووكلاء عرب".

وعن طبيعة الميناء يقول صاحب كتاب (الطواف) في (قصة 24): "لقد كانت مدينة (موزا) بدون ميناء، ولكن كان لديها مراسي جيدة ومرافق، وذلك بسبب توافر قاعات رملية مجاورة مما يسهل للسفن الرسو بمساحة يضيف في (قصة 22): "ولمدة ثلاثة أيام في الأرض الدلخية لهذا الميناء هناك مدينة تدعى (سوا Saua) (80) تقع في وسط الاقليم المسمى (المعافر Maphairits) ونعيا أمير اسمه (Cholaeus) (كليب) يعيش في المدينة".

- مينا (موزا) هل هو نفسه ميناء المخا؟

إن نكسر ذكر لميناء (١٠٠١) جاء في نقش (أريتي 28) (81) يعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، عهد الملك الحميري (كرب بن) وتر يهنم) ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنه، حيث ذكر الميناء باسم (مخون)، أما ميناء (موزع) فكان أقدم من ذلك، سبق وأن أشرنا إلى ذلك. وفي العهد الإسلامي شهد ميناء (المخا) شهرة عالمية كبيرة فمن هذا الميناء يتم تصدير البن، وأطلق على البن اليمني (مخا) عند بعض الشعوب. فالمواقع التي يحلها ميناء (موزا) أو (موزع) لا يبعد كثيراً عن ميناء (المخا) لدرجة أن كثيراً من المؤرخين كانوا يخلطون بين الميناءين، إلا أننا نستطيع أن نستنتج أن ميناء (المخا) (مخون) كما جاء في النقوش كان الوريث لميناء (موزع).

ميناء عدن:

حظي ميناء عدن القديم في المنطقة المعروفة حالياً بـ (صيرة)⁽⁸²⁾ بشهرة عالمية منذ فجر التاريخ ، بفضل موقعه الجغرافي المتميز ، وهو موقع تحيط به الجبل من ثلاث جهات .. لقد شكلت تلك الطبيعة التضاريسية حماية فريدة للميناء من المواصلات والرياح الموسمية ، التي تهب في الصيف، كما تحميه صخرة صيرة من رياح (الأزيب) في فصل الشتاء،⁽⁸³⁾ مما جعله صالحاً لرسو السفن طوال العام.

لقد ذكر لمدن جاء في التوراة (مغر حزقيال) كميناء مبني يتاجر مع مدينة (صور) في الشام، منذ القرن السادس قبل الميلاد، وقد تكرر ذكر تجارة مينا في عدد آخر من الأسفار⁽⁸⁴⁾.

أما الكتاب الكلاسيكيون فقد تحدثوا عن عدن المدينة والميناء، وحدد بطليموس موقعها على خريطة، ولطلق عليها اسم العربية السعيدة Arabia Emporian. وكذلك مؤلف كتاب الطواف قد أطلق عليها Arabia Eudaeman.

لم يتم الانتفاع بمزايا هذا الموقع الجغرافي إلا بعد أن توافرت لدى سكان عدن والمناطق المجاورة الحاجة الملحة للتبادل التجاري نتيجة لتوفر ملح لها طلب لدى الشعوب الأخرى، فكان ميناء عدن بمثابة مرسى يتردد عليه التجار موسمياً لتجارته، وتنطلق منه القوارب إلى الموانئ المجاورة، ويمرور الزمن توفّر الحافز للاتصال عبر المياه المغلقة في البحر الأحمر والخليج العربي بمركزين من أهم مراكز الثروة والحضارة في العالم للقديم الهند شرقاً ومصر غرباً، عندها أصبح ميناء عدن محطة تجارية تتبادل فيه السلع الهندية والمصرية والأفريقية، كما يمرض ما لديه من ملح، ويوزد السفن بالوقود والطعام لتتمكن من مواصلة رحلتها، كان ذلك في زمن بعيد لم نعرف على وجه التحديد بدايته.

فمن خلال المصادر المشار إليها أعفاً، يبدو جلياً أن الملاحة في ميناء عدن ارتبطت منذ نشأتها بالبحر الداخلي حيث كانت التجارة تتم بواسطة قوارب شراعية صغيرة تنقل إلى أقرب شاطئ هو الشاطئ الشمالي (خور مكسر)، ومن ثم تنقلها للقوافل إلى المناطق الداخلية لتتواصل مع الطريق الرئيس (طريق القوافل) أو كما تسمى لدى البعض (طريق البخور).

وفي القرن الثالث الميلادي تقريباً، سجل لنا مؤلف كتاب (الطواف The Periphus) مشاهدته لميناء عدن، آنذاك كان الميناء يعيش في حالة من الركود والضعف، يقول في قرة (26): "وينخفض البحر إلى الخلف من منطقة (Ocelis) (الميلادي)⁽⁸⁵⁾ باتجاه الشرق حيث نطل على مسطح مائي واسع، وعلى بعد اثنتي عشرة مائة متراً⁽⁸⁶⁾ توجد منطقة (Arabia Eudaeman) (العربية السعيدة)، والتي هي عبارة عن قرية تقع على الساحل، كما أنها تنتمي إلى مملكة (كرب إل)، ولديها أيضاً مراسل في

لأراضيها ومنطلق مياه، وبها الكثير من صناعة الحلويات والقهوة التي تمتاز بحسن جودتها عن بقية الأصناف الموجودة في منطقة (أوكلوب Ocelies):

ففي عهد صاحب كتاب (الطواف) كان ميناء عدن يمشي حالة من التدهور والتفري، فذلك بسبب منقلبة ميناء ملك حمير له، حيث أثار المؤلف إلى أن (كرب بن) ملك حمير عمل على تحطيم وإهمال الميناء، وفي نفس الفترة يحدثنا عن الازدهار الذي سبق وأن شهده ميناء عدن فيقول: في الأزمان القديمة، عندما كانت الرحلة لا تتم إلا عن طريق الهند إلى بلاد مصر، ولجأ عندما كانوا لا يجرون على الإبحار من بلاد مصر إلى الموانئ الموجودة على هذا المحيط جميع السفن تأتي إلى هذا المكان (عدن)، وكانت هذه المنطقة تحضن النقالات للقادمة من (الهند) ومن (مصر)، فأهميتها آنذاك لا تقل عن أهمية ميناء (الاسكندرية) في الوقت الحاضر — أي (عهد صاحب الطواف) — لكن ملك حمير (كرب بن) عمل على تحطيمه.

كثيرة هي الأسئلة التي يمكن إثارتها لتبين حقيقة تدهور ميناء عدن في القرن الثالث الميلادي، فهل تعرض الميناء لتكلمة حقيقية نتيجة الصراعات والاضطرابات السياسية الداخلية السائدة آنذاك؟

في القرنين الثاني والثالث للميلاد كانت المنطقة اليمنية بأسرها تعيش حالة من التمزق، بسبب الحروب الطاحنة والمشعبة الناشئة بين سبأ والدولة الغطية حمير، ومن البديهي أن تتضرر البنية التحتية لليمن القديم بشكل عام، ولم يكن ميناء عدن بمنأى عن تلك الصراعات بحكم موقعه الجغرافي، وبالرغم من أن ميناء عدن في عهد كتاب الطواف كان خاضعاً لملك حمير، إلا أنه — أعني الملك الحميري — لم يتمكن من توفير الأمان والسلامة للتجارة القادمة من وإلى الميناء وإحكام قبضته على الطرق التجارية البرية والبحرية في تلك المنطقة، لذلك نجده يهتم بميناء (موزع) كبديل لميناء عدن، لبعده عن حلبة الصراع اليمني، ولقربه من العاصمة الحميرية (ظفار). لهذا لسنا مع رأي القائل بأن ملك حمير قد قام متعمداً بتدمير ميناء عدن وتشجيع التجارة في ميناء موزع.

إن ذلك الضعف الذي شهده ميناء عدن في القرن الثالث الميلادي تقريباً، كان مؤقتاً، حيث استعاد الميناء نفوذه ومركزه في القرن الرابع الميلادي عندما عمل الإمبراطور (قسطنطين الثاني 317-361 Constantius) على دراسة فكرة بناء كنيسة في عدن⁽⁸⁷⁾.

وبالفعل حدث ذلك في عام (356م) حينما أرسل بعثة تبشيرية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، وإنشاء كنائس فيها، منها كنيسة في عدن، الأمر الذي يدل على أنها كانت سوقاً وميناءً لكبار التجار اليونانيين والرومانيين الذين كانوا يتصدون في رحلاتهم المنتظمة بين مصر والهند، عندما استقرت بها جالية من سفار التجار دفعت بالإمبراطور إلى إقامة تلك الكنيسة⁽⁸⁸⁾.

أما الهمداني فحدثنا عن عدن بقوله: "عدن من قدم أسواق العرب"، ووصفها بأنها ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق، فقطع الجبل بيزير الحديد، فصار لها طريق إلى البحر⁽⁸⁹⁾.

وقد تحدث الجغرافيون العرب والبرتغاليون عن ميناء عدن والمكفة التي تبوأها ذلك الميناء مما جعله محط أطماع الدول العظمى آنذاك.

- ميناء قنا:

يقع ميناء (قنا) على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية بالقرب من (بنر علي) حاليا، وإلى الشرق من قرية (بلحاف).

لقد ذكر لميناء (قنا) جاء في التوراة (سفر حزقيال الاصحاح 24/27 باسم (كنة)، 'حران وكنة وعدن تجار شبا وأشور، وكلمد تجارك ..' يعود ذلك السفر -كما سبق وأن أشرنا- إلى القرن السادس قبل الميلاد. حظي ميناء (قنا) بشهرة عالمية، فهو الميناء الرئيس لمملكة حضرموت، والصالح للتجار مع الهند، وشرق آسيا، وأفريقيا، ومصر منذ أزمنة بعيدة. كما جاء ذكر ميناء (قنا) في العديد من النقوش الهامة التي تحكي عن النشاط الاقتصادي والمينائي الذي كان يشهده هذا الميناء، وثَّره على سير الأحداث التاريخية⁽⁹⁰⁾. أما حالة الميناء في القرن الثالث الميلادي فقد وصفها لنا مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) حيث قل في قرة (27): "بعد الوصول إلى منطقة Arabia Eudaeman)، يستمر الساحل في الامتداد (شرقا) لمسافة اثنين (ستادا) لو أكثر حتى نصل إلى ما يعرف بمنطقة البدو الرحل، لو قبيلة صيادين السمك ... حيث نجد موقعا تجاريا أخرى تقع بمحاذاة الشاطئ تدعى (قنا Cana) تبعية للملك (اليزوس Elazus) (إل عزيلط) ملك مدينة اللبان والبخور، وفي الجهة المواجهة لها هناك جزيرتان صحراويتان: الأولى منها تدعى جزيرة (الطيور)، والثانية تدعى جزيرة (القباب)، والجزيرتان تقعان على بعد (120) ستادا من منطقة (قنا)، وفي الأراضي الداخلية تقع العاصمة (سبثا Sabbatha) (شبو) حيث يجلب إليها البخور بالجمل من أجل عملية الحفظ والتخزين والذي كان يجلب إلى مينا (قنا) على لشعب (الرمث Paft) التي ترفع بواسطة القرب المنفوخة، وعلى القوارب أيضا. ويتنوع هذا الميناء بالتجارة مع الجهات المقابلة والبعيدة من موانئ البحر الأحمر، كما يتاجر مع (باريجزا Barygaza)، و (سوثيا Saythia)، و(علمان Ommana)،⁽⁹¹⁾ ومع كل الشواطئ المجاورة لبلاد إيران".

ومن الأحداث التي شهدتها موانئ (قنا) في نهاية القرن الثالث الميلادي: تلك الهجوم الذي شنته قبيل الميني (فارغ الاقيي) - بلمر ملك سبا وذو ريدان (شعر لوتر) - على العاصمة للحضرمية (شبو) ومينائها (قنا) حيث هاجم ودمر الميناء والمين

الرسمية فيه⁽⁹²⁾.

وفي عام 1834م عثر ثلاثة من الضباط الإنجليز على آثار - في ذلك الموقع -
لعصن قديم يسمى (حصن الغرب) الذي بنى على مرتفع صخري لحماية المنخل
الجنوبي الغربي للخليج الذي تقوم عليه الميناء، وهذه الصخرة - حسب وصف (براين
دو Brain Doe) - تتصل بالبر عن طريق شريط رملي منخفض جداً، مما يجعلها
تظهر وكأنها تيمتخ خارجة من البحر، وقد لاحظ (ولستد Welsted) لحد الضباط
الإنجليز الذين اكتشفوا الموقع الأثري، ولقوا بالإضافة إلى الميناء الرئيس في الجانب
الشمالي هناك مرفأ آخر في الجانب الجنوبي ..
وعلى الرغم من أن بعض معالمه قد طمست إلا أن جزءاً منه ما زال واضحاً يدل
على وجوده .. (93) ولعل المقصود بهذا المرفأ هو مرفأ (المجدية) المجاور لـ (بير
على) حالياً.

- ظفار - ومينائها موشا:

ظفار (94) اسم لطلق على الإقليم الذي عرف في النقوش بـ (ساكن)، (95) وطلق
الكلاسيكيون على هذه الإقليم (أرض البخور) أو (ساريا)، ويقوم هذا الإقليم على
هضبة جبلية مسطوية خصبة تطل على المحيط الهندي، وتستقبل مياه الأمطار
الموسمية، والتي لها فضل كبير في خصوبة التربة، وتنتشر أشجار لجود وأفضل
فواح اللبان والمر (96).

خضع إقليم ظفار لدولة حضرموت منذ نهاية الألف الأول قبل الميلاد، وكان لهذا
الإقليم الفضل الأول في الشهرة التي حظيت بها حضرموت في عهود ازدهارها
المختلفة، فهو يمدّها باللبان والمر عصا الحياة الاقتصادية آنذاك، يقول صاحب كتاب
(الطواف): "والى الخلف من منطقة (قا) تمتد الأرض بهوء وجمال طبيعي .. حيث
نجد بلاد البخور الجبلية الوعرة، والمغطاة بالمحب والفيوم الكثيفة .. فهي تنتج كميات
كبيرة من اللبان والبخور ... التي كان يقوم بجمعها عبيد الملك أنفسهم، ولولئك الذين
كفوا يرسلون للقيام بأعمال الخدمة الشاقة" (97).

موشا: اسم إغريقي لطلق على ميناء الذي جاء في النقوش باسم (سهرم) (98) - خور
روري - وهذا الميناء يقع على بعد (80كم) شرق صلالة، كان قد بني في القرن
الأول الميلادي تقريباً، بلسر من الملك (إل عز يظ) ملك حضرموت، نظراً لتزايد
الطلب على البخور، مادة للتصدير الرئيسية لمناطق البحر الأبيض المتوسط والشرق
القديم (99).

وعن ميناء (موشا) يحدثنا صاحب (الطواف The Periplus) فيقول: "والى
الجوار من هذه المنطقة - يقصد عمان - يوجد ميناء (موشا) الذي يستقبل السفن
القادمة من ميناء (موزا) بانتظام، وذلك عندما يكون الشتاء قصيراً، فتم التجارة بين
المينائين بنقل البضائع المتبادلة على سفن موظفي الملك (ملك حمير)، حيث يستبدلون

ما لديهم من ملابس، والشمسة، وحبوب القمح، وزيت السمسم بلبان البخور الذي يكون على شكل أكوام ممتدة ومتراصة على طول المنطقة ... (100).

وفي عام 1962م أجرت (البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان) حفريات في (ظفار) بأكثر من موقع، من بين تلك المواقع، موقع (خوروري) ميناء (سمهرم) القديم، حيث كشفت البعثة عن الملامح العامة للميناء، فالمنطقة بشكل عام محصنة يقوم على مسورها برجان: أحدهما عند الطرف الجنوبي الشرقي، والآخر عند طرفها الشمال الغربي، أما من الجهة الغربية و الشمالية فالصور يقوم على أرض منخفضة في مستوى بطن الخور، ويمكن مشاهدة جدار يبلغ عرضه (8 أقدام)، كما عثر على آثار للقلعة التي تحمي المدينة من تلك الناحية، ومن ملاحظ أن مدخل الخور يتمتع بحماية طبيعية متمثلة في مرتفع شامق (101).

كما عثر على آثار لمعبد وقطع أثرية متنوعة أهمها مذابح، وقطع برونزية، وبقايا بخور، ولوح برونزي عليه كتابة بخط المسند تظهر من خلالها اسم المدينة (س م ه ر م)، كما تذكر إله حضرموت القومي (سين ذا اليم)، وعلى أحد أبواب المدينة عثر على نقوش تذكر اسم ملك حضرموت (إل عز يلط) واسم عاصمته شيرة. (102)

- سقطرى:

تمثل جزيرة سقطرى أحد المراكز التجارية البحرية الهامة منذ عهود قديمة، فقد جاء ذكرها في المصادر الكلاسيكية كمركز تجاري هام يتبع ملك حضرموت (إل عز يلط)، أطلق عليه (أجارثاخيس Agathachides) اسم جزيرة اسمعانة، ويتضح أن الاسم (سقطرى Socotra) مشتق من التسمية (نخيا سوختر Dvipa Sukhatra) في اللغة السنسكريتية (103). أما صاحب كتاب (الظواف The Periphus) فقد أطلق عليها اسم (ديزكوريدا Discorida). (104)

تعد جزيرة سقطرى من أكبر الجزر في البحر العربي والبحر الأحمر، فهي تقع على مسافة (650 كم) من الساحل البحر العربي، و (800 كم) جنوب شرق عدن، يبلغ طولها (115 كم) وعرضها (35 كم)، ويلازم من قربها من الساحل الأفريقي، إلا أنه ليس لها علاقة انثروبولوجية بأفريقيا (105).

لقد كسبت جزيرة (سقطرى) أهميتها التجارية من: موقعها الاستراتيجي الذي يمثل حلقة وصل بين الهند واليمن القديم وشرق أفريقيا، فهي بمثابة محطة استراحة تتوقف عندها السفن قبل أن تنطلق إلى الهند، ومن أهمية ما تنتجه من ملح مرغوبة حيث يزرع بها أنواع من البخور، يرى (Groom) أن في سقطرى وحدها يزرع ثمانية أنواع من البخور (106). وفيها أفضل أنواع الصبر الذي لربط اسمه باسم الجزيرة (الصبر المسقطري)، ويستوفر فيها الصمغ وأغصان طيبة نادرة كشجرة دم الأخوين، ونبتات أخرى لا تنمو إلا في هذه الجزيرة تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وفي صباغة الملابس.

وبالرغم من أن صاحب كتاب (الطواف The Periplus) لم يتحدث عن تصدير سقطرى لأي نوع من تلك السلع، لكنه ذكر تبعيتها لملك حضرموت، مما يجعلنا نستنتج أن سلعاها كانت تصدر - دون أدنى شك - من الميناء الحضرمي (قنا)، مثل ما كان يحصل لبخور (ظفار) - (ساكن) والنبهة أيضا لملك حضرموت - حيث كان ينتقل إلى ميناء (قنا) للتصدير⁽¹⁰⁷⁾

وعن سكان سقطرى يحدثنا الكلاسيكيون على أنهم خليط من الإغريق، والرومان، والهنود الذين يتحدثون لهجات متداخلة، ولا غريبة في ذلك فالموقع الجغرافي للجزيرة أكسبها طبعاً دولياً، حيث اختلط بها التجار من كل أنحاء العالم القديم،⁽¹⁰⁸⁾ وفي هذا الأمر يقول (أجاثاخيديس Agathachides): "إن التجار كانوا يقدون في هذه الجزر من جميع الأنحاء، ومنها: (باتالا Patala) - عند مصب نهر الهند - ولاية فارس (Parsis) وكرمان ... أما صاحب (الطواف The Periplus) فيقول: "بالقرب من (سيجروس Cygros) (رأس لرتك) هناك جزيرة تدعى (ديزكورد Dioscorida) - يقصد بذلك (سقطرى) - وهي واسعة جداً إلا أنها محروية بها مستنقعات، وأنهار، ومجاميع كبيرة من الشمس، والشماليين، وأعداد ضخمة من السحالي التي تؤكل لحومها، وتذوب دهونها لتستخدم بدلاً من زيت الزيتون .. وهذه الجزيرة لا تنتج الفستق، ولا الفاكهة، ولا حتى القمح والكرام .. أما سكانها فيعدهم قليل يحشون على الشاطئ باتجاه الشمال ... وهم عبارة عن لاجئ، وخليط من العرب، والهنود والإغريق الذين هاجروا إليها للتسليم بأصناف تجارية هناك. بهذه الجزيرة تتوفر السلاحف البحرية والبرية، ولحداً السلاحف البيضاء التي توجد بأعداد كبيرة وهي المفصلة لصن تروسها المربوطة. وفيها أيضاً السلاحف الصغيرة التي هي أكثر عدداً من الأنثى الذكر، كما أن لها تروساً كثيفة ذات نوعية غير جيدة ولا يمكن تغليظها من الجذب السطحي بسبب صلابتها الشديدة، إلا أن تلك التروس ذات قيمة اقتصادية بحيث تقطع إلى أجزاء، ثم تصنع على شكل توابيت وحب للمجهرات، كما يصنع منها صحن لصناعة (الكعك)، ويمض الأنوث. ومن منتجات الجزيرة (Cinabar) التي يعرف بالهنيء، يجمع من الأشجار على شكل حب ..⁽¹⁰⁹⁾

كل ملجاء عن جزيرة سقطرى يؤكد أهميتها التجارية منذ عهود موغلة في القدم، وقد شهدت سقطرى منذ منتصف القرن العشرين العديد من البعثات الأثرية، والأثروبولوجية⁽¹¹⁰⁾ والتي مازالت تعمل جاهدة في دراسة الجوانب الغامضة من تاريخ الجزيرة .

به - الممالك البحرية:

من المعلوم أن الطبيعة التضاريسية للمراتي، وجهات هبوب الرياح هما العاملان الرئيسيان اللذان يحددان اتجاهات الممالك البحرية، ففي فصل الصيف تهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، لتفعل السفن باتجاه الهند وشرق آسيا، أما في فصل الشتاء

والربيع فتهب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية لتتفجع بالسفن من الهند باتجاه شواطئ اليمن القديم ومنها تتجه إلى أفريقيا.

ولمعرفة تلك المسالك نعود مرة أخرى لكتاب (الطواف The Periplus) — مصدرنا الرئيسي عن الحياة التجارية في اليمن القديم — الذي نقل لنا صورة مشوقة لحركة السفن بين الموانئ اليمنية بعضها مع بعض، وبين الموانئ اليمنية والموانئ القريبة والبعيدة من العالم في زمن المؤلف (القرن الثالث الميلادي) قريبا، ومن تلك الدراسة يمكن أن نميز نوعين من المسالك البحرية: انظر خريطة رقم (4).

(1) مسالك بحرية قصيرة.

(2) مسالك بحرية طويلة.

(1) المسالك البحرية القصيرة:

لا تتجاوز هذه المسالك السواحل الداخلية : سواحل السهل الساحلي الجنوبي والغربي لليمن القديم، والسواحل القريبة .. فهناك مسالك تربط بين الموانئ اليمنية ؛ كالطريق التي تربط بين (موزع) ميناء ملك حمير، وبين (موثا) ميناء ملك حضرموت، حيث تقوم السفن برحلات منتظمة لإجراء عملية التبادل التجاري بينهما. فموظفو ملك حمير ينقلون من (موزع) كل ما لديهم من: ملابس وقمشة، وجيوب القمح، وزيت المسسم، ليستبدلوه باللبان والمر ... تلك السلع كانت تبدو على شكل اكوام ممتدة ومتراصة على طول ساحل (موثا)،⁽¹¹¹⁾ وهي طريق أخرى تربط بين ميناء (موثا) ويأحورس (أرتك) بالمهرة،⁽¹¹²⁾ وهناك طريق تربط بين ميناء (قا) وجزر (زنوبيا) كوريا موريا، و (سيرنوس)⁽¹¹³⁾ حيث تمسك السفن هذه الطريق بشكل منتظم، وتبرز طريق رابعة تربط بين ميناء (عدن) و (اوزيليس Ocelis)⁽¹¹⁴⁾ عند باب المندب (سيله حاليا) حيث توجد طريق أخرى تتجه إلى ميناء (موزع)،⁽¹¹⁵⁾ وهناك طريق خامسة أيضا تربط بين ميناء (قا) و (عنان) حيث تذهب السفن محملة باللبان والمر، وتعود محملة بالبضائع الممتقة ومن أهمها (اللؤلؤ)⁽¹¹⁶⁾. ولا نستبعد وجود طريق بحرية تربط بين جزيرة (سقطرى) - التابعة لملك حضرموت - والميناء الحضرمي الشهير (قا) لنقل البضائع السقطرية الهامة.

خريطة رقم (4) المسلك البحرية



(2) - المسالك البحرية الطويلة:

هناك العديد من المسالك البحرية الطويلة التي تربط بين الموانئ اليمنية بالموانئ العالمية، ولتبرز تلك المسالك هي التي تمر بمخلاصة السواحل ويتجنبه الرياح، وهناك نوع آخر من هذه المسالك تضرر صلب البحار والمحيطات وهذا النوع يتطلب خبرة كبيرة بالملاحة، ومعرفة أكيدة بأسرار الرياح والطبيعة التضاريسية للموانئ والموانئ البحرية.

رسم لنا صاحب كتاب (الطواف) صورة حية للحركة البحرية النشطة التي تجوب عمار المحيط، منطلقاً من الموانئ اليمنية وموجهة إلى سواحل الهند الغربية (برجراج)، وإلى (باربيكل) وهو ميناء يقع عند مصب نهر (الاندوس) في الهند، وكيف تلك الرحلات تنطلق بشكل منتظم وفقاً لقوة دفع هبوب الرياح الموسمية، كما تصل السفن اليمنية أيضاً بالسواحل الفارسية⁽¹¹⁷⁾ حيث تنطلق من ميناء (قا) مروراً به (عنان) حتى تصل إلى السواحل المجاورة لبلاد فارس،⁽¹¹⁸⁾ ثم تعود السفن حينها من نفس الطريق.

ويجدر التنويه هنا على أن السفن من ميناء (قا) ثم (عنان) و (اوزليس) (Ocelis) بالقرب من باب الهند، ومن ثم تصل إلى غيلاء (موزع). والوصول إلى الموانئ المصرية. تلك السفن التي تحمل على قلة قليلة من البحار والملاحين ومنها إلى خليج السويس، حتى تصل إلى ميناء (بريكنس) (Berenice) بصحرى وملك السفن المصرية الطريق لنفسها إذا كان مقصدها اليمن. لأنها إذا كان مقصدها ساحل (مالابار) أو (موزيس) ملكت المحيط مباشرة. إلا أنها توقف عند جزيرة (سقطرى) قبل البدء برحلتها إلى الهند⁽¹¹⁹⁾.

وهناك طريق منتظمة دائماً تربط بين ميناء (موزع) والسواحل الأفريقية واللات (رابطه Rhapta) التي كانت خاضعة لأطماع المعمرين، التي كان يحكمها بقطنى حق قديم كان للسلوك اليمن في تلك الأراضي، هذا ما قاله مؤلف كتاب (الطواف) The Periphus ويضيف: وإلى ربطة كفت ثمرات من ذات الحجم كبيرة، يستخدم عليها أرباب غسل متن أصل عربي تمكنوا من إجادته لغتهم، وتكون معرفة أكيدة بطبيعة متواحل بحرهم.⁽¹²⁰⁾ كما يورد إليها اليتيين الرماح والحرف التي تصنع في (موزع) خصوصاً من أجل أغراض التجارة... أما في سواحل المنطقة (يقصد ربطة) فهي ثياب المعاج، وكروان وحيد القرن، وتروان السكاك التي يحتاج إليها الهنود كثيراً، وكميات قليلة من زيت الفخيل.⁽¹²¹⁾ وقد سميت بعض السواحل الأفريقية بالسواحل الأوماني تأكيداً على الوجود اليمني القديم في المنطقة.

هناك اتصال بين الموانئ اليمنية والسواحل الشرقية لغربية لبحر الأحمر، يديره صاحب كتاب (الطواف) (The Periphus) إلى تلك بقوله: على طول الشريط الساحلي الشرقي للبحر الأحمر حيث يوجد مرفأ يسمى (القرية البيضاء) والذي تنطلق منه

طريق تؤدي إلى (البتراء) الخاضعة للسلطة النبطية Nabataean (سلطة الأنباط)، ذلك
لأنه كان بمثابة موقعا تجارية للسفن الصغيرة القادمة من بلاد العرب (اليمن القديم)،
وليه أيضا كان يقيم القائد العسكري الروماني¹ من أجل جباية وتحصيل ريع الغلات
التجارية المستوردة بقوة السلاح والاعتماد العسكري⁽¹²²⁾
ظل المسيحيون يقومون بنشاطهم التجاري، ولم ينته ذلك النشاط إلا بتدهور الحضارة
اليمنية بشكل عام، وبالرغم من ذلك هناك من المؤرخين من يذهب إلى أن الحميريين
ملكوا أفضل لسطول على شاطئ المحيط الهندي في القرون التي سبقت الإسلام⁽¹²⁴⁾.
رأبها: العلاقات الدولية بين اليمن والعالم القديم :

لقد اكتسبت الطرق التجارية البرية منها والبحرية - والتي ربطت بين اليمن القديم
بحضارات العالم - أهمية تجارية وحضرية، خاصة ذلك الاتصال الذي لم يقتصر
على حجم البضائع وقيمتها الاقتصادية بل وبما يتمخض عن ذلك الاتصال من تبادل
حضاري وثقافي.

فلا يمكن لأية حضارة أن تنمو وتتطور ما لم تتفاعل وتتواصل مع الحضارات
المحيطة لها، فاليمن القديم تأثر بحضارات العالم، وأثر فيها، وهذه الظاهرة حتمية،
فرضتها الظروف الطبيعية : كالموقع الاستراتيجي الحيوي الهام الذي يحتله اليمن،
وتحكمه بالطرق البرية .. حيث كان جنوب شبه الجزيرة العربية معبداً للتجارة،
والجنود، والمهاجرين، والمغامرين حاملين معهم ثقافات مختلفة، وإن لم يقع اليمن
القديم تحت سلطة تلك الثقافات القديمة مباشرة، إلا أنه لم يسل من تأثيرها، كما
احتفظت الحضارات الأخرى بتأثير اليمن القديم كنيل مادي - لا يقلل الشك - على
ذلك الانتقاء والتواصل الحضاري.

1- العلاقة مع شرق أفريقيا:

لقد كان الاتصال بين الساحل الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية والساحل
الأفريقي المقابل اتصالاً حتمياً فرضه التكوين الجيولوجي للمنطقة، فالمسافة بين الشاطئتين
قصيرة لا تتعدى (24) كم، ومسافة كهذه يمكن اجتيازها بالقوارب البدائية، ولا يستبعد
أن تكون هناك صلات بحرية منذ أن بدأ الإنسان في اليمن القديم بصنع قوارب الصيد
البدائية، فالهضبة الإريتيرية كانت منذ القديم موقعا تجارية نشطة، وموردا لا ينضب
لكثير من السلع المرغوبة: كالأخشاب، والتوابل، والجلود، وريش النعام ...

وقد اكتتبت المعطيات الأثرية والنقشية على الوجود المبني في الهضبة الإريتيرية
منذ الألف الأول قبل الميلاد، وأن تلك القبائل قد أخضعت لسكان الأصليين منذ
منتصف القرن السادس قبل الميلاد تقريبا، مكونة مستوطنات تابعة للدولة المركزية في
مبأ .. وفي العقد الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد، أخذت تلك المستوطنات في
الاستقلال عن الدولة المركزية اليمنية، وإلى تلك الفترة أيضا تعود النقوش الحبشية
التي كتبت بالأحرف واللهجة السبئية، والتي أصبحت اللغة الرسمية للبلاد⁽¹²⁵⁾.

وهناك دلائل تبرز من على ذلك الوجود، فكثير من أسماء المواقع في شمال الحبشة هي أسماء مواقع ولوبية في اليمن، كما نجد رسوم الوعول على جبل (يحا) و (هاولتي)، ونجد صورا للزور منقورا على جبل (مطرة) ... كل تلك الرسوم لم تكن سوى رسوم للجله السبني (المقة) نراها على العديد من القطع الأثرية، كما أن المباخر التي وجدت في (عدي جلامو) عام 1954م لا تختلف عن المبخرة اليمنية⁽¹²⁶⁾ وعن النشاط التجاري لليمنيين على الساحل الأفريقي، يحدثنا مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) عن التجار العرب في كل مكان حتى منطقة (ربطة Rahabta)،⁽¹²⁷⁾ وقد وصل إبحارهم في إفريقيا إلى (سفالة) (موزنيق) ومرأى جنوب إفريقيا.⁽¹²⁸⁾

2- العلاقة مع الهند:

للهند مع اليمن القديم علاقة تجارية لا نعرف بدلتها، فقد كان لها منتجات ومصنوعات يحتاج إليها : المصريون، والآشوريون، والفينيقيون، واليونانيون، والرومانيون .. وكان اليمنيون قديما ينقلون تلك السلع على سفن شراعية بمساعدة الرياح الموسمية التي عرفوا أسرارها. وفي عهد مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) - القرن الثالث الميلادي تقريبا - وصل اليمنيون بسفنهم إلى الشواطئ الغربية للهند، وما يؤكد ذلك عثر البعثة الأمريكية في ميناء (سمهرم) - (خوروري) حاليا على تمثال لراقصة هندية يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي حسب رأي (البرايت Albright).

وفي موقع (العقلة) بالقرب من (شبو) عثر على نقش (Ja 931) يذكر أسماء شخصيات أجنبية شاركت ملك حضرموت (إل عزيلط) لاحتالات تتويجه ملكا على حضرموت، ومن بين تلك الشخصيات شخصان من الهند هما: (دهرم) و(ننره) لعلمهما كفا ممثلين لبلادهم، أو بحارين حظيا بفرصة المشاركة في ذلك التتويج.

3- العلاقة مع وادي النيل:

لقد كان البحر الأحمر منذ أقدم العصور، الطريق التي حملت إلى العالم القديم أول مبادئ الاتصال الفكري والتجاري .. وكان المصريون - فيما وصل إلى علمنا - أول من شق عباب البحر الأحمر طلبا للسلع المقتضة التي من بينها البخور، وكانت أول بعثة مصرية اتصلت ببلاد (بونت Punt) لجلب البخور والسلع النفيسة؛ إنما يعود تاريخها إلى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد - في عهد الملك (سلحورع) - ومن بين تلك الرحلات : رحلة توجهت إلى أرض (بونت) في عهد (متوحوب الثالث) حوالي (2100 ق.م).⁽¹³⁰⁾ وكانت رحلة لملكة (حتشبسوت) من أشهر الرحلات في التاريخ القديم، فقد خلدت تلك الرحلة على جدران المعبد المصري الكبير - في (دير البحري) على مقربة من طيبة - بمجموعة من الرسوم الجصية الجدارية الملونة والبارزة، تحكي ذكرى رحلة الأسطول المصري الذي بعثته لملكة إلى (أرض الإله) لو أرض (بونت) وعاد ذلك الأسطول محملا بالبخور وبشجر من الطوب، والماج⁽¹³¹⁾.

فالمسؤول الذي حيز العلماء ومزاول مطروحا هو: ما إذا كانت بلاد (بونت) التي أرسلت إليها الأسر الفرعونية لسلطيلها تقع على الساحل الأفريقي أم على الساحل الغربي؟ فهناك من العلماء من يرى أن بلاد (بونت) جزء من أثيوبيا، ويرى بعضهم الآخر أن المقصود بهذه البلاد: بلاد العرب (اليمن القديم)، وفريق آخر يرى أنها تشمل المنطقة المحيطة بمضيق باب المندب من شبه الجزيرة العربية، والقرارة الأفريقية، حيث الطقس الملائم لنمو أشجار البخور وأنواع أخرى من الصمغيات.

أيضا كل الموقع الصحيح لبلاد (بونت) فإن الذي لا شك فيه هو عدم التبادل التجاري بين موقفي البحر الأحمر وبلاد وادي النيل.

لما تقدم دليل مادي على الاتصال التجاري بين اليمن القديم ومصر: هو ذلك العدد الوفير من النقوش وغيرها من المخربشات التي عثر عليها في مصر، نذكر منها ما يلي:

نقش: (RES 3427)

عثر عليه في (سبقره) بالقرب من الجيزة بمصر، (132) نحتت نصوصه على ثلاث خشبي لتاجر معيني، يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد تقريبا، ويدعى صاحب النقش (زيد بن زيد) كان يستورد الطيب للمعابد المصرية ويقول النقش:

1. ن ف ق ن / ك ز ي د أ ل / ب ن ز ي د / ذ ص ي ر ن / ذ و ب / ذ م ع ر ب /
أ م ر ر ن / و ق ل ي م ت ن / ك أ ب ي ت ت / أ ل أ ل ت / م ص ر ب ي و م
هـ ي / ت ل م ي ث / ب ن ت ل م ي ث /

2. ع ل و ي ف ق ر ز ي د أ ل / ب و ر خ هـ / ح ت ح ر و ي ف ن ن و / ك
ب / ب ن / ك ل / أ ب ي ت ت هـ / أ ل أ ل ت / م ص ر ت م خ هـ م م / ك
م و / ب و م / ك ص ي ح م / و ي م ع ل ي ن م

3. ب أ هـ م ع د م ن ب ي ت / أ ل هـ ن / أ ث ر ح ف / ب و ر خ هـ / ك ي
ح ك / غ ر ف / ث ن ي / و ع ش ر ي / ك ت ل م ي ث / م ل ك ن / و ر ث د /
ز ي د ل م ن م / و ن ف ق م / أ ث ر ح ف / و أ ل أ ل ت / و م م / ب
م ح ر م هـ م /

يحتوي النص على كلمات فرعونية لختلف الباحثون وعلماء الماميات في تفسيرها. إلا أن مضمون النقش يحدثنا عن قصة تاجر معيني كان يجلب أنواعا من المر والبخور (السطر الأول والثاني) [أ م ر ر ن / و ق ل ي م ت ن] لبيوت الآلهة المصرية، كان تلك في عهد الملك (بطليموس بن بطليموس) حوالي عام (264 ق.م)، وكان قد أعترف بما في ذمته من دين، فراح يوفيه التو، ويذكر النقش - أيضا - أن هذا الرجل إنما دفن على نفقة معابد الآلهة المصرية تقديرا للجهود المحمودة التي كان قد قام بها، ويبدو من النقش أنه دفن وفقا للطقوس (الأولريسية) (133).

2- كما عثر في مصر على ثلاث مغرشات كتبها تجار يمنيون إحدى هذه المغرشات عثر عليها في الضفة اليمنى للنيل، وهو (RES 3571) وأخرى بمنطقة (الغو)،⁽¹³⁴⁾ والثالثة بولادي (حمامات) في صحراء سيناء (Ry 360).

3- وفي اليمن عثر على عدد من النقوش تتحدث عن التجارة مع مصر، وغزة، وأثر (سوريا) منها:-

أ- نقش: (RES 2771)

وجد في قلعة (يهر) على الجانب الشرقي من (قرناو) معين، يعود هذا النقش إلى عهد الملك المعيني (إي يقع ريم) وابنه (هوف عثت) حوالي عام 365 ق.م، حسب تقديرات (Van Wissman).

جاء في السطر (1-3) من النص: 'عم يدع، وعم كرب وحيم، ويحم آل أبناء عم صانق من قبيلة (صيم) أصنقاء (الملك) إي يقع ريم وابنه هوف عثت ملكي معين، أمحدوا للإله عثر ذي قبضم المحفد المسمى (يهر) والذي شيدوه حتى قمته من الحجر والخشب، من الضرائب التي كان قد وعد بها عم يدع للإله عثر ذي قبضم من الملزومات التي قد أوفاهما من بولكير الثمر والغلال التي جمعت من العشر، في الوقت الذي كان يقوم فيه بالتجارة مع مصر وغزة وأثر (سوريا)⁽¹³⁵⁾'

ب- نقش: (RES 2930)

عثر عليه على أحد أبراج سور برهش، وهو يذكر مصر وأثر (سوريا) وعبر نهرن (ربما المقصود بها الأردن).

ج- نقش: MAFRAY-Ma'in 13

نقش على سور معين، يذكر الملك المعيني (هوفن يثع) يعود إلى عام 380 ق.م حسب تقديرات (Van Wissman) يقول النص: 'عم يمع لحي عثت وهب وإي يقع نبط (من تجار معين) يشكرون الإله ود، لأنه من عليهم بالتوفيق في تجارتهم التي أقاموها مع (ددان) الملا، ومصر، وصينا، ويشكرون الإله عثر ذوقبض والملك (هوفن يثع) ملك معين⁽¹³⁶⁾'

د- نقش: (RES 3022)

يعد هذا النص الذي عثر عليه على سور برهش من أهم النقوش المتعلقة بالتجارة، والتي تتحدث عن العلاقات الخارجية بشكل مباشر، فقد جاء في هذا النص ذكر لمصر ولدول أخرى كان المعينيون يتاجرون معها، وورد فيه أيضاً ذكر لحدث سياسي خطير: هو الغزو الفارسي لمصر.⁽¹³⁷⁾ وقد اعتبر هذا النص مصدراً هاماً للكونولوجيا المعينية، فالفترة التي كتب فيها هذا النص لم تكن برهش خاضعة للسيطرة السبئية بعد .. كان ذلك في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد.

محتوى النقش:

نعم صفاق بن حم عثت وسعد من أغني تجار معين، بل من قادة القوافل المعينية في عهد الملك المعيني (اب يدع يشع)؛ قاما برحلة تجارية إلى مصر وأثّر (سوريا) وعبر نهرن (الأردن)، ويشير النص إلى أنهما قاما ببناء البوابة الرئيسية وجزء كبير من السور الجنوبي لمدينة بركش، وكرّما ذلك العمل للاله عثر ذي قبضم، وقد أوتضى الإله ببناء السور بدلا من دفع الولجيات اللازمة نقداً. ويشير النقش أيضا إلى حدث هام حصل أثناء رحلتهم الأخيرة في أول الأمر كان (عم صنق وسعد) مهندسين بشارة يشلها عليهما السينيون والخلانيون في صرواح، وعندما غار هؤلاء على قوافلهم اضطرا إلى ترك أرضهما (معين)، وتجهها إلى منطقة (رجمت) عاصمة قبيلة امير في نجران، عندما أقذرا في الوقت المناسب، وذلك بفضل الآلهة. في تلك الفترة كانت منطقة الشرق الأوسط - عوما - تعيش حالة من الصراع السياسي، بالذات تلك المعارك الدائرة بين مصر وبلاد فارس، قد شامت قوافلهم الهجوم الذي شنه الميديون (م د ي) - المقصود بهم الفرس - على مصر⁽¹³⁸⁾.

لمستج الباحثون: لأن المقصود بذلك الهجوم هو غزوة (ارتكسركيس الثالث اوخوس Artaxerxes III Okhos) ملك الفرس (358-338 ق.م) على مصر عام (343 ق.م)⁽¹³⁹⁾. ويعتقد فريق آخر أنها وقعة (راقية) التي كانت بين بطليموس الرابع وقطيوخوس السلوقي سنة 16 ق.م⁽¹⁴⁰⁾، ولقد ساعد الحدث على تحديد فترة حكم الملك المعيني (اب يدع يشع)⁽¹⁴¹⁾.

- آثار مصرية في اليمن:

إلى جانب النقوش عثر المنقبون عن الآثار على عدد من القطع الأثرية المصرية الأصل وأخرى يمنية الصنع تحمل الأثر المصري، من بين تلك القطع المصرية⁽¹⁴²⁾:

1. جعل (جعفران) يحمل اسم الملك (امنحوتب الثالث)، وتشير صناعته إلى الأسرة الثامنة عشرة، أي حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.
2. جعل (جعفران) نقش عليه صقر وقرص الشمس، وتشير طريقة صناعته إلى القرن السادس قبل الميلاد.
3. لوحة صغيرة من حجر (الاستيقيت) صور على أحد وجهيها رجل واقف يتقدمه صل ثعبان من الكوبرا، وعلى الوجه الآخر صقر يعلو رأسه قرص، وعلى الجانب نقشت كلمة (... من ...)، يرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد.
4. تميمة زرقاء مطلية تتخذ شكل الإله (بس) يرجع تاريخها إلى ما بين الأسرة السادسة والعشرين والأمره التاسعة والعشرين، القرن الرابع قبل الميلاد.
5. خرزة مستطيلة من زجاج أخضر غير منقوشة، لكنها مزخرفة ببعض الخطوط.
6. خرزة زرقاء عسلى شكل زهرة كانت جزء من عقد، يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرنين السادس والثالث قبل الميلاد.

4- العلاقة مع شمال شبه الجزيرة العربية:

أقدم إشارة للاتصال البري بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية، هي تلك التي جاءت في كتاب العهد القديم،⁽¹⁴⁴⁾ التي تصف زيارة ملكة مينا إلى الملك سليمان بن داوود، وأكد القسرا تلك الزيارة، في (سورة التمل)، يبدأ أن هذه الإشارة لا تعني - بالتأكيد - أنها أول اتصال بري تم في ذلك العهد (القرن الماشر قبل الميلاد)، بل ربما سبق ذلك بفترة طويلة، فمن المحتمل أن تكون شبه الجزيرة العربية قد انفتحت على أجزائها منذ عهود موعلة في القدم، فعندما ننظر إلى الخريطة التضاريسية لشبه الجزيرة فإننا لا نرى أي عائق طبيعي يمكن أن يحول دون الحركة الداخلية، فالحدود السياسية لم تكن معروفة بعد لذا فالجماعات البشرية كانت تنتشر أينما استطاعت، وكلما فرضت عليها الحياة ذلك، بحثا عن الأرض الخصبة ومناهل المياه، وقد سرت تلك الطبيعة الاتصال التلقائي الذي تحقق بشكل واسع بعد أن توطنت دعائم الدولة المركزية في اليمن في نهاية (القرن الثالث الميلادي).

ومن الإشارات الأخرى التي تحدثت عن العلاقة بين ملوك - آشور وملوك العرب - ومنهم ملوك سبأ - ما جاء في الكتابات الآشورية منذ عهد الملك الآشوري (سرجون الثاني 417 ق. م) يومن ثم في عهد واه (سخراب 586 ق. م) وقد اكتت النقوش تلك الأسماء لملوك سبأ⁽¹⁴⁵⁾

لقد كانت القوافل الوسيلة الأساسية التي ربطت بين جنوب وشمال شبه الجزيرة منذ العهد الآشوري، مارة بسلسلة من الواحات في الحجاز إلى منطقة ددان (العلا) شمال وادي (القرى) يومنه إلى بلاد الشام... وعلى طول تلك الطريق لاس اليمنيين لهم مراكز تجارية لكننتها النقوش، ونخص بالذكر نقوش المستوطنة اليمنية التي قامها التجار اليمنيون في ددان (العلا)، التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، واستمرت حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد.

وقد تم العثور على عدد من النقوش اليمنية - سبق وأن تحدثنا عنها - تذكر الصلات التجارية بين اليمن وأشور (سوريا؟) وغزة، ومنطقة (نهر) الح: بين النهرين، وربما المقصود بتلك المنطقة (الأردن؟)، صيدا عصور، ويشرب... (RES 2771, RES 2773, RES 3022).

كما أشارت بعض الدراسات إلى العلاقة بين الخزفة اليمنية في سوريا واليمن القديم، وأن هناك توافقا في ذلك النوع من الفنون⁽¹⁴⁶⁾، كما أن هناك نماذج من المبخر ذات النذور من الطيب، هي على شكل مكعب مع تزيين هندسي، انتشرت في الشرق الأوسط كله منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد، عثر على عدد من تلك المبخر في مواقع أثرية بفلسطين وسوريا⁽¹⁴⁷⁾

كما يرى بعض علماء الآثار أن الجزء الأكبر من الأوعية الزجاجية في اليمن القديم مستورد من الشام ومصر، وعثر أيضا على نماذج متنوعة من الفخار في مناطق متفرقة من اليمن ... وبعد دراسة تلك القطع اتضح أنها صنعت مطبعا كمود

تتطلبها الحاجة، لكنها لا تظلو من التأثير الخارجي، وظهر ذلك واضحا من بعض الأشكال الفنية والتملاذج الخزفية، التي يرجعها بعض المختصين إلى بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين في فترات زمنية متقاربة، يعود بعضها إلى عصر البرونز، أو بداية لواخر هذا العصر... كما عثر في مقابر حريضة على مجموعة من الخز شبيهة بالخز السوري في القرن السابع والخامس قبل الميلاد⁽¹⁴⁸⁾.

5 - علاقة اليمن القديم بالحضارة اليونانية والهلنستية والرومانية:

أ - الكثير اليوناني:

تؤكد المعطيات الأثرية والنقشية المكتشفة في اليمن، وفي بعض الجزر اليونانية: على وجود صلات تجارية وحضارية بين اليمن القديم والحضارة اليونانية، فقد ترك لنا التجار اليونانيون أثرا يؤكد وصولهم إلى تلك البقاع، وبالأذات إلى جزيرة (ديلوس) في بحر - إحدى الجزر اليونانية - إذ عثر على منبرج تحت عليه نقش بخط الممسند - وبالأذات باللهجة المعينية - بدا من نصه أنه إهداء للإله (ود) إله معين للرئيس، وكان هذا الإهداء قد دون باللغتين: المعينية والإغريقية نقش (RES 3570)⁽¹⁴⁹⁾.

محتوى النقش:

1- ح ن أ / و ز ي د ل / ذ ي / ع ذ ب

2- ن ص ب / م ذ ب ح / و د م / و ل أ ل ت

3- م ع ن ب د ل س ...

وتكون ترجمة النص على نحو ما هو آت:

(حنا / وزيد إل / من عشيرة خنن، تقرنا بمنبرج للإله (ود) إله المعينين بجزيرة ديلوس اليونانية).

كما عثر في نفس الجزيرة على نقش لآخر لتاجر حضرمي (RES 3952) نحت على بلاطة من المرمر، يظهر من نصه إهداء لإله حضرموت (مين ذي اليم) لمن شخص يدعى (غ ل ب م) ابن (غ ل ..).

أما في اليمن فقد عثر على عدد من القطع الأثرية: كالمملات، والتمثال، ولتحف الفنية، والفخار - ذات الأثر الأغريقي، وأبرز تلك الأثر: المملات البرونزية الصغيرة ذات الطابع الأثيني؛ التي عثر عليها في منطقة (بريرة) على وادي جردن، (انظر خريطة رقم 2) 1. بعد دراسة وفحص تلك المملات تبين أنها ضربت في اليمن، لكن على الطريقة اليونانية، حتى ظهر الأثر اليوناني بارزا عليها. ويعود تاريخ تلك القطع إلى القرن الرابع قبل الميلاد.. وفي المواقع ذاتها عثر على تمثال لمحارب ييلوبونيزي يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، كما عثر أيضا على قطع من الفخار الأثيني يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد⁽¹⁵⁰⁾.

ب - التأثير الهلنستي والروماني:

امتزجت الفنون اليونانية القديمة بالسمات من الفنون العالمية، ومنها بصمات من اللاتين: الروماني والهلنستي اللذين وجد العلماء والمختصون صعوبة في وضع حد لافصل بينهما، فهناك كثير من التماثيل والرموز الفنية التي عثر عليها في اليمن منها: التمثال البرولاري - للملك الحميري (نمار علي) - الذي أمتاز بضخامة غير معهودة في التماثيل اليمنية، إذ بلغ طوله حوالي (240) سم كما .. عثر على كتابتين منقوشتين في فخذ التمثال من الداخل ومن الخارج ففي الداخل سجل اسم الشخص الذي قام بصنعه وهو اسم روماني (سوفورس)، لم الاسم الذي سجل في الخارج فهو شخص يمني يدعى (الهيعث) ويحتمل أن يكون هذا الشخص هو الذي قام بتركيب التمثال لذا فمن المرجح أن التمثال جلب بعد صنعه في بلاد الرومان، وأعيد تركيبه في اليمن على أيدي مهارة يمينيين. انظر شكل رقم (1).



شكل رقم 1 تمثال برونز يحمل لمسات
من الفن الهلنستي (متحف صنعاء)

كما يرى بعض علماء الآثار أن بعض
الأشكال الفنية والرموز الموجودة في جنوب
شبه الجزيرة العربية مقبلة من زخارف الشرق
الروماني منذ القرن الأول الميلادي، كالأبراج
والأشكال البيضاوية.. وقد أوردوا بعض النماذج
مثل : الأبراج الفلكية الحميرية التي عثر عليها
في (بيت الأمشول)، التي تحمل أشكالا لطبور
وأغنام تعود إلى منتصف القرن الخامس
الميلادي، كذلك القطع التي تحمل غصينات
وحیوانات (أسود، ثيران...) عثر عليها في
(ظفار) العاصمة الحميرية، يعود تاريخها إلى
القرن الخامس الميلادي. (151)

أما الفن الهلنستي فيبدو واضحاً على كثير
من القطع منها: ذلك الإثاء الذي عثرت عليه
البعثة الأثرية في (وادي ضراء) يحمل أشرطة

مزينة بالحيوانات لمشاهد
صيد، وملابس الصيادين تحمل
لمسات من الفن الهلنستي (152)
(نظر شكل رقم 2).

وفي شبوة تم اكتشاف
أجزاء من تماثيل من
البرونز لأشخاص وحيوانات
(أحصنة وأسود...) كذلك
عثر على يد من العاج،
ولوحة معدنية تحمل صورة
فهد، وقطع صغيرة من
العاج على شكل علبة
وكرات زجاجية (153).



(شكل 2) مغرفة من الذهب والفضة (وادي ضراء)

وفي خرائب تمنع (بيت يفش) عثر على تمثالين لأسدين من البرونز، يمتطي كلا منهما طفل (انظر شكل رقم 3) .. وقد أكد العلماء الاثاريون أنه نموذج من الفن الهلنستي المتأخر،⁽¹⁵⁴⁾ وفي قاعدتهما عثر على كتابة بخط المسند، تدل على اسمين، وبعد فحص التمثالين اتضح أنهما يعودان إلى الفترة التي شهدت فيها المنطقة تأثيرات هلنستية، بالذات في حوالي القرن الأول قبل الميلاد⁽¹⁵⁵⁾.



(شكل 3) تمثالين لأسدين من البرونز يمتطي كلا منهما طفل (تنقيبات تمنع)

أما في وادي ضراء فقد عثر على علبة فضية صغيرة غطاؤها يحمل وجه آلهة الأغريقية؛ حيث يعد ذلك الشكل خاصة هلنستية أو رومانية. وإلى جانب ذلك عثر على قطع من الفخار ذات أصل إيطالي، آتية من إقليم (لاتيوم)، وقطع من جزيرة (أتوس)⁽¹⁵⁶⁾.

ج - التأثير الفارسي:

إضافة إلى النماذج المتنوعة التي أوردنا ذكرها كشفت البعثات الأثرية : على بعض القطع، والأختام التي تحمل لمسات الفن الأخميني في القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، عثر عليها في وادي (عمد) بالذات في قبور (حريضة)⁽¹⁵⁷⁾. وأما في وادي (ضراء) فقد عثر على كأس من النحاس مزين بمشهد صيد يري (بريتون Breton) بأن هذا المشهد شبيه ببعض القطع الساسانية المصنوعة من المعدن، وقد استنتج ذلك من خلال الشبه : في حرية الحركة، وفي الرسم، والتناسق، وتركيب الحيوانات ونوعية النباتات مع الفن الساساني؛ الذي يعود تاريخه إلى القرنين الرابع والخامس الميلادي⁽¹⁵⁸⁾.

إلى أي مدى تأثرت الحضارة اليمينية بالحضارات القديمة؟

صاحبه من سبقه نعتت لأثرية كشفت حتى الآن كمًا كبيرًا من اللقي الأثرية
 لمسوعة التي تستدعي الإعجاب، منها : مواد جنائزية ونثرية، مواد منزلية،
 نوت ريشة، سلحة، وختام... وقد أكدت الدراسات المقدمة من علماء الآثار
 على أن أغلب تلك القطع صنعت محليًا، ومع أن بعضها يحمل تداعل الفن
 المعنى للفن الأجنبية؛ إلا أنه يحتوى في الغالب على كتابة بخط المسند، اللهم
 لا استثنى عددًا قليلًا للغاية من تلك اللقي ذات الطابع الأجنبي الصرف.

إن تداعل الفن اليميني القديم بالفنون الأجنبية ؛ دليل قاطع على التواصل
 الحضاري بين الشعوب الحضارية للعالم القديم، فذلك التداعل الفني يظل - على كل
 حال - محصورًا في عدد قليل من اللقي الأثرية، وهذا يسهل للباحث حصر التأثير
 الأجنبي، وإبراز خاصية الفن اليميني القديم.

ففي جملة الآثار المكتشفة حتى الآن، نستطيع أن نحدد ماهية الفن اليميني القديم



شكل (4) نموذج من الفن اليميني

الصرف، سواء أكان
 ذلك في جانب الفن
 الهندسي والمنشآت
 الزراعية، أم في
 مجال الفنون الأخرى:
 كالقطع الأثرية منها
 والتماثيل؛ والأدوات
 المنزلية الفخارية،
 والمعدنية والزجاجية،
 والمواد الجنائزية
 والنثرية، العملات،
 الأخشاب، أدوات
 الزينة، وديكور
 المنازل....

فعند تفحص تلك النماذج تبرز أمامنا قطع رائعة ؛ تدل على مهارة اليمينيين،
 وقدرتهم الفنية في تشكيل المعادن، صياغة الحلي، أدوات الزينة، تطعيم المصنوعات
 الذهبية.. وقدرتهم على التصميم الهندسي بأسلوب علمي رصين! إن استغلال المعادن
 واستخدامها في أدواتهم اليومية ليس ظاهرة جديدة، فقد ظلت هذه الحرفة سائدة حتى
 العصر الإسلامي، وكما هو معروف فإن أجمل وأقوى السيوف هي السيوف
 اليمانية؛ التي طالما كثر تمجيدها والتغني بها في الشعر العربي القديم: قبيل الإسلام
 وبعده.. كما أن دراسة الحسن الهمداني (القرن العاشر الميلادي) للمعادن واستخراجها
 ومعالجتها، والأحجار الكريمة في كتابه (الجوهرتين ...) (159) تؤكد ما ذهبنا إليه.

لما الأشكال المصاحبة لبعض تلك القطع: كالقصينات، الأمواج، الأشكال
 العزولسية والبيضاوية التي رجع بعض العلماء لها فكتبت من أشكال شائعة في
 الحضارة الهلنستية والرومانية⁽¹⁶⁰⁾ مثل تلك تصميمات الأشكال نجدنا شائعة كذلك في
 فنون اليمن القديم التي استمرت ولفترت طويلة، كما نراها على المباني (الألواح
 الحجرية المعمارية)، فوجودها لا يدل إطلاقاً على أن تلك الألواح استوردت من خارج
 اليمن، كما أن من يزور اليمن اليوم يلاحظ اهتمام السكان بزخرفة منازلهم على نمط
 تلك الموروث الحضاري الذي تحول للدولة من خلال مؤسساتها المختلفة للحفاظ
 عليه، وهي ظاهرة تلتفت النظر رغم استخدام الإسمنت ومواد البناء الحديثة، ويمكن
 القول: إن للبيئة الطبيعية - التي كان يعيش فيها الإنسان - انعكاساً على إبداعه للفن،
 فقد خلقت لديه نوعاً من الإحياء تجسد في سلك الأشكال المختلفة كالأشكال الكروية
 المتنوعة التي اشتهر بها اليمن (انظر شكل رقم 4)، لذلك فإن العلماء المستشرقين -
 الذين يرون أن تلك لأشكال مستوحاة من تأثيرات خارجية - إنما يفتقدون إلى معرفة
 لكيفية طبيعة البلاد، فقد ذهب بعضهم إلى أن الحضارة اليمنية (العربية الجنوبية) تعود
 إلى القرن الخامس قبل الميلاد، مع رفض تام لأي تاريخ يسبق ذلك، وأن الممالك
 اليمنية قد اقتبست من اليونان - في القرن الخامس - الأسلوب الهنسي لخطها الفخم،
 وكذا كان سلك النقود في طابعه الأثيني، كما يرجعون أصول المواد النحاسية للعربية
 الجنوبية، وعلى وجه الخصوص العمارة والنحت، إلى تأثيرات إغريقية أو إغريقية -
 شرقية⁽¹⁶¹⁾.

لا نستطيع الخوض في تفاصيل تلك الفرضية، فالرد عليها يحتاج إلى دراسة
 مستقلة، لكن ينبغي الإشارة إلى أن الفترة التي قمت فيها تلك الفرضيات لم تكن
 للدراسات اليمنية القديمة قد وصلت إلى مستوى من النضج، ولم تبدأ التنقيبات في
 جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل منهجي بعد، فمنذ منتصف هذا القرن قمت للبعثات
 الأثرية التي زارت اليمن كثيراً من المعطيات العلمية القيمة التي تغير في ضوئها كثير
 من المفاهيم التي تستند إلى الفرضيات القائمة على الاحتمالات الظنية للخطأ.. فعلى
 سبيل المثال: تلك الفرضية التي ترجع أبجدية اليمن القديم إلى

تأثيرات الأبجدية الإغريقية مع بداية القرن الخامس قبل الميلاد أصبحت
 فرضية غير مقبولة، ولا صحيحة البتة، وذلك لسببين وجوهين هما:

الأول: أنه قد توافر لدينا كتابة تمثل أقدم تنكارية معروفة، كتبت في دونت على جرة
 كبيرة عثر عليها في أنقاض (هجر بن حمود) أسفل جذع خضبي.. وبعد تحليل لطبيعة
 هذا الجذع بالإشعاع (الكربوني 14) اتضح بأن لعدة تنويهاً إنما يرجع - تقريباً - إلى
 (852 - 60 ق. م)، وعلى هذا فإن الاستيطان الأول في هذا الموضع إنما يعود إلى
 القرن العاشر قبل الميلاد،⁽¹⁶²⁾ في أكبر الظن وأغلب الاحتمال الذي لا مرأى فيه.

الثاني: أن مما يؤكد منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية إنما يعود إلى أبعد مما تصورته تلك الفرضية، هو تلك الدراسة التي قام بها عالم الآثار (يولي برونيت) (Ueli Brunnet) عن (جيومور فلوجيا منطقة مارب) حيث تمكن من الوصول إلى مواقع جذوع النخيل التي يرجع عمرها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد،⁽¹⁶³⁾ فكان هذا مما يدعم ثبوت الاستيطان السكاني في المنطقة عنها منذ أقدم من هذه الحقبة، فليس - إذن - الحقيقة من العام المفترض خطأ لنقل الحروف اليمنية القديمة من هذا التاريخ المثبت بالدراسة الميدانية المتأنية القائمة على التحليل الدقيق والمنهج العلمي الحديث؟!

أما الافتراض القائل بأن أصل الفن العربي الجنوبي - وخاصة النحت - يعود لتأثيرات إغريقية أو إغريقية شرقية ؛ من خلال عرضنا، فيما سبق، لبعض النماذج الأثرية ذات التأثيرات الأجنبية - أن الفن اليمني القديم إنما هو كغيره من فنون الحضارات العالمية مركب من عناصر: محلية صرفة، وأجنبية، ولسنا - عندئذ - بحاجة هنا إلى التذكير بالموقع الإستراتيجي لجنوب شبه الجزيرة، والنشاط الحضاري العظيم الذي كان لعرب الجنوب في التجارة العالمية .. فالحضارة في حد ذاتها لا يمكن أن تكون منعزلة، بل أن نتائجها خليط من الخصائص في فنها وعاداتها وتقليديها، فكل حضارة تستمد من سابقاتها وتكون رافداً لحضارات لاحقة، وكثير من الأدلة تؤكد هذا القول. إذاً فإن من الخطأ الاعتماد على جانب واحد لمعرفة أصل أي حضارة، فالجانب الفني - رغم أهميته - شيء جزئي إذا ما درسنا الجوانب الحضارية الأخرى. ففي اليمن لم يتم الكشف عن لق أثرية فصب، بل تم اكتشاف مدن متكاملة بأسوارها، وينظماها الاقتصادي، وبملاحها الثقافية والطوقسية الخاصة، وفي حقيقة الأمر أن تلك التأثيرات - التي نعتبرها ظاهرة طبيعية - توضح بالليل للملموس التواصل الحميم الذي كان قائماً بين جنوب شبه الجزيرة العربية وحضارات العالم القديم

خامساً: النظم التجارية والقوانين المنظمة لها:

إن تطور التجارة في أي مجتمع كان ترافقه - دون شك - الحاجة إلى نظم تجارية تحدد قوائم الأسعار والضرائب على الصادرات والواردات .. ولابد من أنه قد كان لقائماء اليمنيين قوانين دخلسية ودولية تنظم الحياة التجارية، ألا أننا لم نعثر على مصادر نقشية كافية تحدثنا بشكل تفصيلي عن تلك النظم: كالقيمة السلبية، والضرائب وأنواعها .. باستثناء "قانون قنبان التجاري" وإلا ما حدثنا به من إشارات طفيفة بعض المصادر الكلاسيكية - المعاصرة للزدهار التجاري في اليمن القديم - عن الضرائب وأسعار السلع. وأهم النظم التجارية هي تلك الخاصة بالضرائب، فهناك نوعان من الضرائب:

النوع الأول: الضرائب التي تفرض على البضائع سواء أكانت مارة، أم مصدرة، أم مستوردة .. وتحدد قيمتها حسب نوع السلعة.

لنوع الثاني. ضرائب المراكز والثغور: حدثنا (بليني Pliny) عن الضرائب التي كانت تفرض على سلعة البخور منذ انطلاقها من مناطق الإنتاج حتى تصل إلى المناطق المستوردة لها ؛ فكتب في ذلك يقول: "في شبة يأخذ الكهنة الضريبة كيلا لا وزنا لألهتهم (سابن) - ويقصد بذلك (سين) - ويحظر بيع البخور قبل ذلك الإجراء، ومن هذا العشر تخصص النفقات العامة لتقديم واجب الكرم الإلهي إلى جميع أولئك الغرباء الذين يقومون برحلة خاصة ... ومن شبة تنطلق التجارة إلى قنبا حيث يدفع للملك ضريبة، على كل الطيوب المارة بمنطقة نفوذ، كما كانت حصص من الطيوب تعطى: لرجال الدين، ولأمناء الملك، ولحرسه، ولحاشيته، وخدمه، ولحراس اللبوابات .. مما يرفع كثيرا من ثمن هذه الطيوب قبل أن تصل إلى نهاية طريقها على شواطئ البحر المتوسط ..". ثم يضيف: "وتستغرق" رحلة من تمنع إلى غزة حوالي 65 محطة، وكل محطة فيها موافق للجمال؛ يدفع خلالها لصحاب القوافل ثمن للحصول على الماء، والعلف والحشائش للجمال، وأجر المبيت، لو يدفعون رسوما مقابل السماح بالمرور أو الحماية" (164).

من خلال ما قاله (بليني) عن تكلفة (البخور) نستطيع الاستنتاج بأن سعر السلع التجارية تتأثر بشكل مباشر بتلك الضرائب المفروضة عليها على طول الطريق، وما تكلفه من تكاليف أخرى، ولم تصل إلى شواطئ البحر الأبيض إلا وقد تضاعف سعر السلعة، وللأسف ليس لدينا إحصائيات دقيقة عن كمية البضائع التي تمر عبر الأراضي اليمنية، ولا عن مبالغ الضريبة التي تدفع عليها.

عن سعر السلع يقول (ن. قروم N.Groom): "نُ سعر البلبان والعمر (البخور) مكلف جدا، والسبب في ذلك يعود إلى المسافة البرية الهائلة التي تقطعها القوافل؛ عبر عدد من الدويلات والمناطق القبائلية، ولم يتملّ يمينيون سوى جزء بسيط، فتلك الثروة لاتصل كلها إلى أيديهم .. وإنّ المستوى الرفيع الذي وصلوا إليه لم يأت من التجارة فحسب؛ بل كان نتاجا لإبداعاتهم، وعلمهم الذؤوب .. فاهتمهم بالزراعة وبمنشآت الري ذات التنظيم العالي كان السبب في تلك السمعة التي وصلوا إليها" (165).

إن أراد (قروم Groom) بهذا القول الرد على (بليني Pliny) في قوله السالف الذكر، أن ثراء اليمنيين لم يأت من التجارة فقط، وإنما جاء أيضا من مئبرتهم في الأعمال الزراعية من خلال إنشائهم لشبكات ري متطورة .

- نموذج من التشريعات التجارية:

- القانون القنباي (RES 4337 A and B):

يتمبر قانون قنباي التجاري، نموذجاً هاما للقوانين المنظمة للعلاقات التجارية، وأسلوب جمع الضرائب، والرسوم المفروضة على التجار الثابتين والمتجولين في أرض قنبا والمارين بها ... وقد سنّ ذلك القانون الملك القنباي (شهر هلال بن يدع لب) الذي يعود عهده إلى القرن الثاني ق. م.

في السوق القديم لمدينة (تمنع) العاصمة القتبانية - (مجر كحلان) - أقام القبانون ممثلة حجرية صغيرة، نقشوا على جوانبها الأربعة نقوش خاصة بذلك القانون التجاري الداخلي لقتبان، إلا أن عوامل التعرية طمست نصوص النقوش المسجلة على الجهة الشرقية للمسلة ... لقد وضعت تلك المسلة بالسوق الرئيسية للعاصمة القتبانية (تمنع)، التي أطلق عليها في النقوش اسم (سوق شمر) ويحمل هذا النقش رقم (RES 4337 A and B) في مدونة النقوش السامية، وقد اعتمدنا على قراءة (الفرد بيستون Beeston) ويوسف عبدالله لهذا النقش. (166)

محتوى النص:-

هكذا قضى وشرع (شمر هلال بن يدع لب) ملك قتبان وأهل قتبان بتمنع وبرم ووادي حوكم وولد عم وحاكم تمنع وحاكم ولدعم.

المادة الأولى:

إن من يشتغل بالتجارة في تمنع وبرم مهما كانت بضاعته يجب أن يدفع ضريبة السوق في تمنع، وإن يكون مالكا لكان في سوق شمر.

المادة الثانية:

إن من يأتي إلى قتبان ببضاعة ... يجب أن يملك دكانا حتى يحق له أن يزاول البيع والشراء في سوق شمر، ليا كانت قبيلته.

المادة الثالثة:

إن من يفتح دكانا يكون من حقه أن يشترك في التجارة مع غيره من التجار من أصحاب الدكاكين، ولا يجوز لمال السواق أن يتدخل في ذلك.

المادة الرابعة:

عندما يملن عاقل سوق (شمر) عن حاجته إلى باعة متجولين بين القبائل انظروا لانشغاله ببيع بضاعته في دكان بسوق (شمر) يجوز حينئذ لأهل قتبان أن يتجروا لحسابهم الخاص بين القبائل.

المادة الخامسة:

يفرض عاقل السوق، في حالة عدم تبليغه عن أي تاجر يمارس غش الآخرين خمسين قطعة ذهبية، كما يفرض كل لجنبي يحاول أن يتجر في بلاد قتبان ما لم يكن لديه دكان. وتنفذ كل الغرامات للملك.

المادة السادسة:

لا تسري ضريبة بيع الحبوب في عمليات البيع والشراء بين أهل قتبان، إلا أن أداء هذه الضريبة واجبة على غيرهم، وتنفذ هذه الضريبة - بالعملة القتبانية - إضافة إلى للضريبة الأساسية دفعة واحدة.

المادة السابعة:

يجب على كل قتباني أو معيني أو أي مقيم آخر في تمنع إذا أجر بيته أو محل إقامته كدكان للمتاجرة أن يدفع ضريبة السوق إلى الملك من البضاعة التي بحوزة

لتاجر، وفي حالة كون بضاعة التاجر لا تفي بقيمة الضريبة المقررة، يجب على صاحب البئب أن يستوفي الضريبة من ماله الخاص.

المادة الثامنة:

تُحظر التجارة - لبا كان نوعها - في السوق على دفعي الضرائب بقصد التعامل مع غير قتياني، أو سغلي من (ذي سغل)، حرصا على حقوق أهل قتيان المعادلة، وطبقا لما شرّعه ملك قتيان ... كل الأنشطة التجارية التي يقوم بها القتيانيون أنفسهم - كذا للكاهين - يجب أن تتم بترخيص من عاقل سوق قتيان وبموجب قوانين (أنبي) الإله القتياني.

المادة التاسعة:

يجب على كل من يتاجر بالجملة في تمنع أن يهده إلى باعة تجزئة عند تسويق بضاعته في أرض قتيان.

المادة العاشرة:

تُحظر التجارة في السوق ليلا حتى الصباح، ومن عمل ذلك فليمتنع الناس عن الشراء حتى مطلع الفجر.

المادة الحادية عشر:

لملك قتيان حق الإشراف على كل بضاعة تمر في أرضه.

المادة الثانية عشر:

فليدعم كل ملك أت (قادم) هذا القانون ...

من هذا القانون يمكن أن نستخلص ما هو أت:-

نلاحظ أن المادة الأولى تركّز على التجارة وتحصّرها في سوق شمر، وتضع ليودا صارمة على المتاجرة مع المجتمعات القبائلية في الأرض القبتية، فبمجرد أن يكون للتاجر وبضاعته داخل أسوار تمنع يكون من السهل مراقبة تلك التجارة، ويتم لتأكد من أن التاجر قد دفع كل التزاماته من الضرائب والعشور، وبالطبع فإن مثل تلك المراقبة يكون من الصعب تطبيقها إداريا فيما لو ترك التجار يتجولون بين القرى.

في الوقت الذي تفرض فيه المادة الأولى القاعدة التشريعية على سكان قتيان وما جاورها ترى المادة الثانية تطبق على التجار القدامين من أماكن أخرى، فهؤلاء عليهم الاستئلام بالمرور عبر بوابة تمنع، وبذلك لم يكن يمتنع عنهم تجنّب دفع ضريبة لسوق المطلوبة، ولم تكن هذه الحال ملزمة بالنسبة للمقيمين في تمنع، فالمعاملة لتجارية تتم مع القتيانيين وغير القبتيين، إلا أن القبتيين امتيازات كثيرة، وفرصا مشجعة .. فالجميع يدفعون الضريبة الأساسية المعروفة، أما الضرائب الإضافية تفرض على غير القتيانيين، كضريبة الحبوب مثلا، وفي هذا دليل واضح على حماية الدولة للتجارة المحلية.

تعالج المادة الثالثة حقوق التجار، فيعد أن يلتزموا بالمادتين الأولى والثانية، وفسموا لأنفسهم مكانا في السوق الرسمي يكون من حقهم عندئذ ممارسة نشاطهم

تتجاري من دون تدخل السلطات، وكان مسؤول سوق (شمر) هو الذي يمثل تلك السلطات. ومن هذه المادة يظهر بأن الموظف نفسه كان تاجراً في تمنع، ويمكننا أن نتصور أنه كان يشغل منصباً شبيهاً بمنصب رئيس فئة التجار.

وتفرض المادة الرابعة القيود على التجار المتجولين بين المجتمعات القروية، خارج الحدود المباشرة لتمنع وبرم، ويظهر أن هذا النوع من التجارة كان حكرًا على شيخ سوق شمر، لكنه إذا لم يفضل ممارسة هذا الامتياز، ولحب أن يبقى بجانب تجارته في تمنع؛ عندئذٍ يمكن للتجار القتبانيين أن يقوموا بتلك المهمة شريطة حصولهم على تصريح بممارسة تلك التجارة للخارجية. ولم يكن بأي حال من الأحوال مسموحاً للتجار من غير القتبانيين الاشتراك في مثل تلك المتاجرة، وهذه النقطة تؤكدنا العقوبة المذكورة في بداية نص المادة الخامسة؛ التي تفرض العقوبات على المخروقات التالية:-

1. محاولة غير القتبانيين الاتجار مع المجتمعات القروية مخالفة للمادة الرابعة.

2. الشغل في التجارة.

وتبين المادة السابعة طبيعة الضريبة، فبينما يدفع جميع التجار للضريبة الأساسية فإنّ الاتجار ببعض البضائع يكلف ضريبة إضافية سميت بـ (امتياز الحبوب)، وهذه التسمية توحي بأنّ الاتجار بالحبوب هو المعني، ويعفى القتبانيون من دفع الضريبة سواء أكان هذا القتباني أو ذلك هو المشتري أم البائع. كذلك كان من الممكن لمن يدفعون هذه للضريبة أن يستبدلوا بدفع مبلغ معين فوق الضريبة الأساسية، وبذلك يتخلصون من دفع ضريبة (امتياز الحبوب) في كل صفقة تجارية.

المادة السابعة خاصة بالتجار الذين يستخدمون بيوتهم للمتاجرة، وفي مثل هذه الحالة يجب دفع ضريبة السوق، إما مما يمتلكه أو من البضاعة التي في حوزته، وتوحي زيادة الضريبة في بعض الحالات بقيمة بضاعة التاجر، وبأنّ هذه للضريبة لم تكن حسب قيمة الرسم للجمركي، وإنما هي نوع من ضريبة للرأس. ونلاحظ في هذه المادة أيضاً وجود جاليات معينة أخرى من غير القتبانيين كانت تعيش في تمنع وتمتلك للبيوت، وأنّ الجالية المعنية كانت من الأهمية بحيث تذكر في هذا القانون.

وتحدد المادة الثامنة: استخدام سوق تمنع للصفقات التجارية التي يكون أحد أطرافها واحد من القتبانيين على الأقل، ويشير الجزء الأخير من المادة بأنّ هذا النظام لم يكن جديداً، وإنما كان تأكيداً لقاعدة سبق وأن رسمتها تشريعات قديمة.

وتهدف المادة التاسعة إلى حماية التاجر الصغير من أن يخرج غنوة من حلبة التجار الكبار، ومن هذا النص نستشف أيضاً بأنّ منع الجميع من البيع بالجملة والبيع بالتجزئة في آن معاً: معناه تدخل الدولة لصالح توزيع الأعمال بين الموظفين، ومن أجل الحد من الاستغلال .. وتمنع المادة العاشرة الاتجار في الليل، ولهذا المنع أهدافه المالية والإدارية .. وذلك من أجل تسهيل مراقبة الصفقات والمبادلات التجارية في وضوح النهار، وبذلك يمكن تجميع الضرائب المستحقة.

وقد شمل القانون العديد من المصطلحات التجارية المتصلة بالبيع، والشراء، والغشود، والأوامر التي كان الملوك يصدرونها لجباية الضرائب، وما يترتب على مخالفتها لو السهرب منها من عقوبات، لو لتنظيم المعاملات التجارية في جوانبها المختلفة.

ملسما: نظام الدفع في المعاملات التجارية:

لم يعرف إنسان عصور قبل الميلاد أي وسيلة من وسائل المعاملات التجارية، لاحتاجته الغذائية كان يحصل عليها من الطبيعة المحيطة به، وعندما عرف الزراعة وتربى الحيوان شعر بحاجة ماسة إلى الاستقرار، فتجمع حول المناطق الجغرافية الملائمة للاستيطان البشري، كضفاف الأنهار، والأودية، وعلى الشواطئ الساحلية، وحول مداخل المياه ... فكانت تلك الموضع مراكز حيوية للبدايات الأولى لنشوء المجتمعات الصغيرة، ومع مرور الزمن تكثرت تلك المجتمعات، وتولدت حاجة الإنسان لأخيه الإنسان كضرورة ملحة فرضتها الطبيعة، فقد نعمت تلك الطبيعة على كل إقليم جغرافي بمورد لا يتوافر في الإقليم الآخر، من هنا جاءت الحاجة إلى التبادل الملمي (المقايضة).

فكانت المقايضة تمثل خير وسيلة للتعامل التجاري بين الأفراد والمجتمعات، كل يأخذ حسب حاجته من السلع بعد أن يستبدلها بسلعة أخرى متوافرة لديه. إلا أن هذه الوسيلة من التعامل ولقتها كثير من المعوقات نظرا لعدم توافق الرغبات والأمزجة، فكان لابد من إيجاد سلعة وسطية مرغوبة لدى الأطراف المتبادلة، لطلق عليها (السلعة الوسطية)، وقد اختلفت تلك السلعة من بلد إلى آخر، فكانت السلعة الوسطية عند مجتمعات بلاد الرافدين: (الشعير) و (الفضة)، وعند الصينيين (الحمل)، وعند اليونانيين حيوان (الثور) (167).

ومع تطور نظام المقايضة وازدياد الطلب على السلع أصبحت (المقايضة) بالسلعة الوسطية، تواجه صعوبات كبيرة خاصة عند نقلها من مكان إلى آخر، وعند الاحتفاظ بها، مما دفع الإنسان إلى التفكير في وسيلة أخرى، فجاء تفكيره في العملة المعدنية.

1- العملة المعدنية:

لأن استعمال العملة عند شعوب الحضارات القديمة بدأ منذ أن عرف الإنسان صهر المعادن وتشكيلها، وقد ساعد في نجاح هذه الوسيلة ما تتميز به من خصائص في ذاتها عديدة منها:-

(أ) سهولة صهرها وتشكيلها بأحجام مناسبة.

(ب) سهولة نقلها من مكان إلى آخر نظرا لصغر حجمها.

(ج) إمكانية الاحتفاظ بها دون أن تتعرض لأي تلف.

لهذه المميزات أصبحت العملة المعدنية هي الوسيلة التجارية المعتمدة لدى شعوب الحضارات القديمة، فقد جاءت لضرورة حتمية للحالة الاقتصادية التي كان يعيشها المجتمع، وللتجارة الدولية التي كان يساهم فيها.

فقد عرف الأثوريون القطع النقدية ذات الأشكال والأوزان المحددة، فشاغ استخدامها منذ القرن الثامن قبل الميلاد، أما المدن الليدية.⁽¹⁶⁸⁾ فقد طورت ما كان عند الأثوريين من قطع معدنية بولاقام حكامها دلا لسك العملات منذ القرن السابع قبل الميلاد (685 ق.م)، حيث نقشوا على مسكوكاتهم صورة لأسد فاغر فاه، كما عرفت جزيرة (ليجينا) الواقعة بالقرب من أثينا المسكوكات منذ القرن السابع قبل الميلاد (665 ق.م)، وحملت صورة (السلحاء)⁽¹⁶⁹⁾.

لما أثينا فقد بدلت بسك عملتها في حوالي (615 ق.م)، ونقشت عليها صورة تمثل أنية فخارية كرمز للنشاط التجاري، حيث كانت تصدر الزيت الذي كان يعبأ في الأنية للفخارية (أمفورا)، وكانت تلك الأنية دائرية بغوه طويلة ومقبضين على الجانبين. وبعد الانتعاش التجاري الذي حققته أثينا، نجد عملاتها تحمل شعارات جديدة منها رأس الآلهة "أثينا" مع غصن للزيتون، وتحمل الحروف الثلاثة من اسم المدينة (أثينا) EOA⁽¹⁷⁰⁾.

لما اليمن القديم فقد شكّل - بحكم موقعه الاستراتيجي، ومساهمته في التجارة العالمية، وتنوع سلعه - سوقا للتعامل التجاري مع حضارات العالم القديم، وقد ظهر ذلك جليا في الحركة الدائبة للتصدير والاستيراد لعهود طويلة .. ولمواجهة مثل هذا الانتعاش التجاري كان لابد من توفير نقد مقبول وموثوق يتم التعامل به .. وأقدم العملات التي عثر عليها في اليمن يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهي عملات أثينية .. ثم قامت الدول اليمنية بسك عملات محلية: نحاسية وفضية، تحمل التأثير الأثيني وبالذات (الدرهما الرباعية)⁽¹⁷¹⁾.

إن دراسة تلك العملات له أهمية عظيمة: فمن خلالها نستطيع أن نتتبع تاريخ الدول والشعوب وتاريخ تطورها الاقتصادي، كما نتعرف من خلالها على مراكز السلطة والصلات التجارية التي كانت قائمة بين تلك الشعوب والحضارات المعاصرة لها .. فالعملات تحمل معها للتاريخ والدلالات السياسية. أما من الناحية الفنية فيمكننا تتبع تطور الفنون عبر مراحلها التاريخية المختلفة.

كما يجب الإشارة إلى أن وسيلة التعامل بالعملات المعدنية ومعرفة انتشارها لم يقض نهائيا على نظام المقايضة، بل نجد أن التعامل بالمقايضة ظهر مجددا وبالذات في القرن الثالث الميلادي عندما شهد تطورا على المستوى الدولي، وكان لابد من توفير القوائم للتجارية المنظمة له، أما السبب في ذلك فيعود غالبا إلى النقص في العملات المعدنية، كما حدث للتجارة الرومانية عندما أخذت في الذبول والاضمحلال، وانخفضت قيمة عملتها حينها لجأت إلى أسلوب المقايضة⁽¹⁷²⁾.

في تلك الفترة يحدثنا كتب (الطواف Periplus) عن أسلوب المقايضة الذي كان متبعاً بين ملوك (حمير) وملوك حضرموت، فيقول: "... إن موظفي ملك (حمير) يستبدلون ما لديهم من: ملابس، ولقمشة، وحبوب القمح، وزيت السمسم بلبان البخور

الذي كان يتوافر بشكل أكوام ممتدة على طول منطقة مترامية الأطراف؛ خالية من الحراسة بميناء (موشا)، كما لو كان المكان متروكا لحماية الآلهة .. حيث لا يمكن بالعلن ولا بالسر، ولا بالاختلاس تعبئة وشحن السفن دون أخذ إذن من الملك، أما إذا حدث ونزلت كميات القمح بدون إذن الملك؛ فإنه لا يمكن للسفن مغادرة المرفأ (173).

- وصف لنماذج من العملات التي عثر عليها في اليمن:

1 - عملات إغريقية:

انظر شكل رقم (5) :-

(أ) درخم أثيني نمط قديم من الفضة:

الوجه الأول: يحمل رأس الآلهة " أثينا " وعليها خوذة متوجة بشعار على اليمين.

الوجه الثاني: يحمل مربعا نشاهد داخله بومة واقفة على اليمين، خلفها غصن زيتون وهلال وفي اليمين من ذلك نجد الأحرف (AQE) وهي الحروف الأولى من اسم الدولة الأثينية، الوزن 16.90 جرام، ويعود تاريخ هذه العملة إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

(ب) درخم أثيني نمط جديد:-

أحد الوجوه يحمل صورة بومة مواجهة لإمفوار (قنينة من الفخار)، وهما معا محاطون بإكليل زهور إلى اليسار وفي اليمين نجد الأحرف الأولى للدولة الأثينية (AQE)، الوزن 16.18 جرام، ويعود تاريخ هذه العملة إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد.

شكل رقم (5)



ب



أ

2- عملات يونانية قديمة من الفضة ذات تأثير أثيني:

أقدم العملات التي عثر عليها في اليمن عملات فضية تحمل الطابع الأثيني القديم - كما أشرنا سالفاً - سكنت في القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً (174) فالرسومات المنقوشة على وجهي العملة، من وحي العملات الإغريقية، إلا أن ما يميزها أنها أصغر حجماً، وتحمل اسماً أو نعتاً، أو رمزاً كتب بخط المسند، أما قبل ذلك فقد عثر على عملات أثينية قديمة، يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد (175). انظر شكل رقم (6)

(أ) :- (سبا):
الوجه الأول: يحمل صورة الربة " لثينا " وعليها خوذة على اليمين، وعلى الخد علامة الحرف (ن).

الوجه الثاني: يحمل صورة بومة واقفة، وعلى اليمين شعار الدولة الأثينية (AQE)، وهلال القمر مع غصن الزيتون، ونجد لحرف للكلمة (ح م ر)، وفي الأسفل نجد الاسم (ش ح ر) على شكل مونجرام، جميعا ولقعين داخل مربع، الوزن 5.40 كجم، يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

(ب) :- (سبا):
أحد الوجوه يحمل صورة بومة واقفة، ولثنا غصن زيتون، وهلال في الخلفية، وإلى اليمين الأحرف (AQE)، والحروف الأولى من (ح م ر) على شكل مونجرام، الوزن 5.40 كجم، يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

(ج) :- (قنبان):
أحد الوجوه يحمل صورة بومة واقفة على اليمين وعلى اليسار، الأحرف (ي ن ف) وفي الأعلى نقوش بالخط للحباتي للاسم (ش هـ ر / هـ ل ل)، وعلى اليمين رمز الدولة الأثينية (AQE) ورموز أخرى الوزن 5.40 كجم يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

(د) :- (قنبان):
الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل.

الوجه الثاني: منقوش عليه رأس رجل ملتج، شعره ملفوف إلى الخلف، وفي الجزء الأيسر الأحرف (ش+؟) على شكل "مونجرام"، وفي الأسفل اسم دار للضرب (ح ر ب)، الوزن 1.69 كجم، القرن الأول قبل الميلاد والأول بعده.

(هـ) :- (قنبان):
الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل عربي محاط بإكليل زهور، للشعر على شكل خصلات.

الوجه الثاني: منقوش عليه بومة واقفة على يمين الأمفورة (قنبنة فخارية) بدون مقبض، ورمز للدولة الأثينية (AQE)، إلى اليسار "مونجرام" لحرف من خط المسند متشابهة وهي الأحرف (ي ن ف)، إلى الأعلى نقوش بالحباتية لاسم (ش هـ ر / هـ ل ل)، الوزن 5.50 كجم، القرن الأول بعد الميلاد.

(و) :- (سبا):
الوجه الثاني: رسم عليه بومة واقفة محاطة ببروتز، وفي اليسار "مونجرام" للاسم (ي ن ف) بالمسند، الوزن 5.37 كجم، القرن الأول قبل الميلاد.

(ز):-- (مبا):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل عربي ؛ ذو شعر مصفف على شكل خصلات، وجملته هذا المنقوش واقع داخل إطار منقط يقطعه في الأعلى صورتا القمر والهلل، وفي اليسار نجد رموزا لأشياء أخرى.

الوجه الثاني: مرسوم عليه "مونجرام" مع قرون الظبي داخل إطار منقط يقطعها في الأعلى القمر والهلل، وإلى اليسار هناك "منجرام" لكلمة (م ر م)، وإلى اليمين رمز الإله (المقة)، الوزن 03,00 جرام لواخر للقرن الأول الميلادي.

(ح):-- (حمير)

الوجه الأول: نقش عليه رأس رجل عربي، شعره مصفف على شكل خصلات، وهو واقع داخل هيكل مرسوم لثعبان.

الوجه الثاني: منقوش عليه رأس رجل مشابه للوجه الأول ولكنه أصغر، وإلى اليسار نجد "منجرام" للاسم (ي ن ف) وإلى اليمين رمز لنسيه ما، وإلى الأعلى اسم الملك الحميري (ع م د/ب ي ن)، تحت اسم دار الضرب (ري د ن) ريدان في الأسفل، للوزن 1.40 جرام، القرن الثالث الميلادي.

(شكل 6) عملات بعلية قديمة ذات تأثير أثيني



ب



ا



د



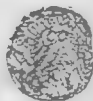
ج



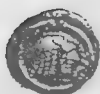
و



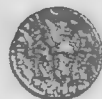
هـ



ح



ز



3: عملات يمنية ذات طابع محلي صرف:
لعملات حضرمية برونزية: (176) (انظر شكل 7):-

(أ):

الوجه الأول: نقش عليه رجل مثجه صوب اليمين، وإلى اليسار كتب الحرف (م)، وإلى اليمين الأحرف (س ي ن) للمكونة لاسم الإله الوطني لدولة حضرموت، لكل ولعمون داخل إطار.

الوجه الثاني: منقوش عليه نسر ولف ناسر جناحيه باتجاه اليمين، ولمام للنسر نجد كلمه (ي ش هـ)، إلى اليسار نجد كلمة (ش ق ر) وهي اسم القصر الملكي لحضرموت في شبوة، وتاريخ هذه يعود إلى القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، وهي عملة كبيرة الحجم يبلغ قطرها 5.1 سم. وهناك نماذج من هذا النوع في المتحف البريطاني تحت رقم (MN23).

(ب):

الوجه الأول: نقش عليه كلمة (ش ق ر) داخل إطار مربع.

الوجه الثاني: نقش عليه ثور (رمز إلهي)، وفي الأعلى نجد (س ي ن) للمكونة لاسم الإله (سين) المعروف، وفي الجنب نجد كلمة (ش ق ر) وهي اسم القصر الملكي المشهور، القطر اسم، 2 سم.

(ج):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس شخص متوج وقع داخل دائرة، وهو مستكير نحو اليمين.

الوجه الثاني: رسم عليه خط على جانبيه سعتين، يعلوه قرص وهلال، لعل المقصود به رأس ثور، وعلى الجهة اليمنى نجد كلمة (ش ق ر)، وعلى الجهة اليسرى رمز (مونجرام) لكلمة (س ي ن).

(د):

الوجه الأول: نقش عليه رأس ثور وأحرف كلمة (س ي ن)، فلما الحرف (س) فوق بين قرني الثور، وللحرف (ي) من يمينه وللحرف (ن) من يساره.
الوجه الثاني: نقش عليه أحرف كلمة (ش ق ر) وسطا.

(هـ):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل متوج 1 مستكير نحو اليمين.

الوجه الثاني: نقش عليه ثور، وفي الأعلى نجد كلمة (ش ق ر).

(و):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس بشري 1 مستكيراً نحو اليمين، وفي اليسار هناك مونجرام 2 للأحرف (ي ن).

الوجه الثاني: نقش عليه ثور في الأعلى نجد كلمة (ش ق ر)، وعلى يمينه مونجرام لكلمة (س ي ن)، وكل ذلك منتظم داخل إطار دائري.

(ز):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس رجل متوَّج مستدير بوجهه نحو اليمين.

الوجه الثاني: رأس ثور وعلى اليمين نجد كلمة (ش ق ر) داخل إطار دائري.

عملات يمنية ذات طابع محلي

أ- عملات حضرمية برونزية (شكل 7)



ب

1



د



ج



و



هـ

ب - عملات قتيانية (177)

في القرن الثاني قبل الميلاد سك دنانير في بلاد فاصلة حمل اسم دار الضرب (ح ر ب)، وأظهر ما سورها من أنها تحمل رأس رجل عربي على دنانير حبر للعملة، وهناك عملات قتيانية أخرى سك في عهد ملك من ملك قتيان هذا (سمر هلال) و (ورو إل غيلان) تحمل تلك العملات شكل أمير حبره منير حمل . ومن العملات القتيانية ما كانت ملامحه تقوم على نحو ما هو مكتوب على سبيل المثال:-
شكل (1):-

الوجه الأول: نقش عليه رأس رجل مجعد الشعر حوته بصر من الخط.
الوجه الثاني: نقش عليه رأس رجل ملتح، وشعره منقوش بنى خلف وفي يسار هناك الحرف (ش)، وعلى اليمين "مونجرام" لحرفين متشككين، أما في الأسفل فرى الكلمة (ح ر ب) اسم القصر الملكي لقتبان، ويرجح أن هذه العملة يعود إلى القرن الأول قبل أو بعد الميلاد.

وكان العثور على هذه العملة قد تم في موقع البرية وادي جردن بولاية حصر موت .
ج - عملات فضية وبرونزية سبئية - حميرية:-

تحمل العملات السبئية - الحميرية اسم دار الضرب (ري د ن ا ي رين) وهو القصر الملكي بـ (ظفار) العاصمة الحميرية، ويعود تاريخ تلك العملات إلى عهود ملوك سبأ وذو ريدان، إبان القرن الثاني ونهاية القرن الثالث الميلادي، وعلى هذا فهي تحمل أسماء عدد من ملوك سبأ وذو ريدان. تاهيك عمداً سميت به من سببه أو تماثل، وما تحمله من "مونجرام" للتعنت (وتر)، (نظر شكل 8) كما توصلت تلك أشكال نماذجها على نحو ما هو آت:-

(أ):

الوجه الأول: منقوش عليه رأس لرجل شعره مصفف على شكل خصلات داخل إطار، وهناك على الجهة اليسرى يوجد "مونجرام" متكرر للتعنت.

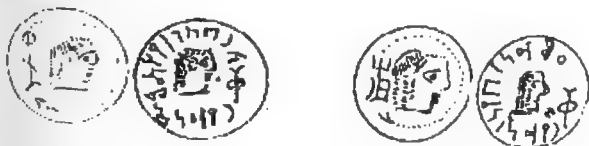
الوجه الثاني: منقوش عليه رأس رجل عربي مشابه للرأس الأول إلا أنه أصغر منه، وإلى اليسار هناك "مونجرام" للحروف (ي ن ف)، وإلى الأعلى نرى اسم الملك (ع م د ن / ب ي ن) عمد بين، وفي الأسفل نجد اسم دار الضرب (ري د ن)، وتاريخ هذه العملة إنما يعود إلى القرن الثالث الميلادي.

(ب): الوجه الأول: يحمل رأس رجل بضفائر محاط بإطار من النقط، وفي الجهة اليسرى "مونجرام" لكلمة (وتر) اللقب الملكي الشائع عند اليمنيين الأقدمين.
الوجه الثاني: يحمل رأس رجل شبيه بالرأس المسكوك على الوجه الأول، إلا أنه أصغر منه بعض الشيء، وهناك في الأعلى نصادف اسم الملك الحميري (كرب إل يهنعم)، وفي الأسفل نجد كلمة (ري د ن).

(ج): الوجه الأول: يحمل رأس رجل محاط بدائرة من النقط، وفي الجهة اليسرى "مونجرام".
الوجه الثاني: يحمل رأس رجل بضفائر، وفي الأعلى نرى اسم الملك الحميري (ثاران يعب)، وفي الأسفل نجد الاسم (ري د ن).

(د): الوجه الأول: يحمل رأس رجل محاط بنقط، وهناك "منجرام" في الجهة اليسرى.
الوجه الثاني: يحمل أيضاً رأس رجل، وإلى الأعلى منه نرى اسم الملك الحميري (شمر يهنعم)، وهناك في الأسفل تراعيك كلمة (ري د ن). وتاريخ هذه العملة إنما يرجع إلى القرن الثالث لميلاد يسوع عليه السلام.
ومن مظاهر تنوع أو اختلاف النقود اليمنية القديمة، أن هناك عملات حميرية تحمل الاسم (ريدان) فقط، إذ هي تخلو من ذكر لاسم هذا الملك الحميري أو ذاك، وفي بعض الأحيان نصادف فقط نعت الملك مجرداً، مثل: (يعب)، أو (يهنعم)، أو ما إلى ذلك.

(شكل 8) عملات سبئية حميرية



ب

ا



(41)

(3)

4- عملات ذهبية رومانية وأخرى أفسوسية:-

في عام (1986) عثر على مجموعة كبيرة من العملات الذهبية، في موقع يدعى (المضاربة) يقع على بعد حوالي (60كم) شمال غرب مدينة (عدن)، بلغ عدد تلك قطع النقدية ألف ومائة وأربعة وتسعون قطعة (1194) ذهبية، منها ثلاثمائة وستة عشرون (326) رومانية، والباقي لكسومية.

فالعملات الأفسوسية يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من حكم النجاشي (عيزانا Ezana)، (320-360) حتى عهد النجاشي (كالب Kaleb) (517-543). والملاحظ أن تلك العملات في أغلبها تحمل أسماء عدد من ملوك الحبشة.

لما العملات الرومانية فيعود تاريخها إلى عهد الإمبراطور (كونستنس الثاني Constanc II)، المعاصر لـنجاشي الحبشة (عيزانا) وأخرى ضربت في عهد الإمبراطور (ثيودوس الثاني Theodose II) (430-439) .. إن وجود مثل ذلك الكم من العملات الأفسوسية والرومانية، لدليل قاطع على عمق الصلات التجارية، التي كانت قائمة بين اليمن وأفسوس من جانب، واليمن وروما من جانب آخر. (178)

من خلال استعراضنا لنماذج من العملات اليمنية القديمة الفضية والبرونزية والذهبية، نستطيع أن نرسم صورة تقريبية للحالة التجارية لليمن القديم، والوضع الاقتصادي، بشكل عام، فنتائج تلك الدراسة تمثل دون شك مصدرا هاما من مصادر التاريخ والفن عند قدماء اليمنيين.

ومن الملاحظ أن العملات اليمنية الأكثر قما هي تلك التي تحمل لتأثير الأثيني القديم، ولا غرابة في ذلك؛ لأن النقد الإغريقي كان بمثابة العملة الدولية قديمًا، فانتشارها الواسع وقبولها لدى كثير من شعوب الحضارات القديمة جعلها تتبوأ مركز الصدارة الأول بين عملات العالم؛ لأنها تحمل في ذاتها قيمتها الاقتصادية المعتمدة عالميًا؛ كونها مسبوكه من الذهب الخالص أو الفضة، لهذا كانت تلك العملات - بالرغم من التأثير الأثيني الواضح عليها - قد سكّت مطايا في القصور الملكية للعواصم اليمنية، فكان الملوك اليمنيون يحرسون على تسجيل: أسمائهم، وألقابهم، ودار الضرب (القصر الملكي) مكتوبة بحروف المسمند، وأحيانًا كانت تنقش على شكل 'منجرام' جميل، كما أنهم لم يفعلوا وضع الرمز الإلهي عليها كرمز إلى القصر: (النسر أو الثور أو الهللك ...)، ولم يكن انتشار تلك العملات محصورًا في مناطقها؛ بل عثر على عملات حميرية في حضرموت، وأخرى مبنية في حيدر، وهذا دليل على تداولها محليًا، حيث استخدمت للتجارة الخارجية أكثر من استخدامها في التبادل (المحلي) .. وإلى جانب تلك العملات عثر على عملات لأجنبية: أغريقية، ورومانية، وكسومية .. وهذا - دليل لا يقبل الشك - على اتساع العلاقات الاقتصادية الدولية، والنشاط التجاري الفعّال الذي أسهمت فيه عالميًا دويلات اليمن القديم.

وكان منك العملات قد توقف في اليمين القديم بحوالي علم 300م تقريبا، فمنذ هذا التاريخ لم يمر على أي أثر للعملة اليمينية القديمة، ويعود ذلك إلى الاضمحلال العام الذي أصيبت به التجارة الدولية، وتناقص حركة البيع والشراء، فكانت مرحلة عاشت فيها الإمبراطورية الرومانية حالة من الضعف والهوان في تجارتها الدولية، وانخفضت قيمة عملتها، وعانت أسواقها للكساد والشلل الاقتصادي عموما .. فالضعف إذن إنما ساد العالم بشكل عام لذلك، ولم يأت القرن الرابع الميلادي إلا والتجارة اليمينية هي الأخرى تعاني من الانهيار ونكوص حركة الاقتصاد الوطني.

سابعاً: المنشآت التجارية (الأسواق):

هناك مجموعة من المنشآت للتجارة: كالأسواق، والوكالات، والحانات التي تخدم التجارة .. لكن مصادرنا الموثقة لتلك المنشآت في اليمين القديم شحيحة للغاية، إذ هي لا تتجاوز بعض الإشارات عن الأسواق التجارية ونشاطها القديم.

الأسواق: تعد الأسواق - دون شك - من أقدم أشكال النظم التجارية وأعرقها، فهناك أسواق محلية ثابتة تتم فيها التجارة طيلة العام، وتنتشر أساساً في المدن والقرى والمستوطنات على السواء، حيث الاستقرار والإقامة، وهناك الأسواق الموسمية التي تنشط في موسم معينة معروفة لدى التجار وعامة الناس، فإذا ما انتهى الموسم رفعت تلك السوق ليندأ موسم آخر في سوق أخرى، ونوع من الأسواق هو الأسواق السنوية، التي اشتهرت بها بعض المدن، وتكون مرافقة - في الغالب - بمواسم دينية كالْحج مثلا.

يرتاد الناس تلك الأسواق في مختلف مواسمها، وقد يأتون إليها من أماكن بعيدة طلباً لو ترويحاً، فلم تعد تلك الأسواق تجارية فحسب، بل غدت منتديات أدبية واجتماعية وثقافية فعالة .. وقد استغل كثير من المبشرين تلك الأسواق لنشر ديانتهم بين القبائل والوافدين إليها.

ولا ريب في أن هناك جملة من العوامل التي ساهمت - بشكل فعال - في إنشاء مثل تلك الأسواق عند قدماء اليمينيين، منها:-

1- أسواق أقيمت على الطرق التجارية البرية: على طول تلك الطرق أقيمت العديد من المحطات الأولية التي تحولت مع مرور الزمن إلى مراكز حضرية هامة، ومن ثم إلى عواصم الدويلات، وقد رافق ازدهارها التجاري لتنعش لأسواقها للدخالية الدائمة، مثل سوق شبوة، وسوق تمنع (شمر)، وسوق مارب، وسوق صنعاء، وأسواق برقش، ومعين، ونجران، وظفار (حمير).

وقد حرصت الحكومات في اليمين القديم على توفير الحماية والأمن لتلك الأسواق، فصنوا القوانين والتشريعات لضبطها، والإشراف عليها، ومعاقبة كل من يخل بنظامها .. وكان قانون سوق تمنع المعماة (شمر) هو خير دليل على ذلك ... فالأمن شرط أساسي من شروط انتظام أمور التجارة في تلك الأسواق (179).

2- الموانئ: تمثل الموانئ أسواقاً حيوية للغاية، فدائماً ما تدب فيها حركة تجارية كبيرة أثناء رسو السفن - القادمة من مناطق بعيدة - على أرصفتها وهي محمّلة بالسلع النفيسة المتنوعة ... وقد وصف لنا تقرير (لطواف The Periplus) تلك الموانئ الأسواق وما كان لها من لتعاش تجاري عظيم في القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي تقريباً (180).

وعن ميناء موزع يقول: "هناك مكان يدعى (موزا Muza) عبارة عن سوق تجارية أقيمت بمقتضى قانون محلي ... فالمكان مزدهر بملاك السفن العربية، وتجار البحار في شغل شاغل بشؤونهم التجارية فهم يقومون في تلك السوق بالتبادل التجاري مع أهل القرن الأفريقي عبر البحر، ويرسلون بسفنهم إلى (بارجازا Baruggaza) ... ويضيف" أمّا السلع التجارية المستوردة إليها (يقصد موزع) فتشمل: الملابس الأرجوانية ذات الأكماس البسيطة والمنسقة والمحبوكة والمنسوجة، والعباءات، والبطانيات بكميات قليلة ... وكثير من صنوف شاش الأخشاب الملون، والعطور، والمراهم بكميات كبيرة، وأيضاً بعض أنواع القمح والخمور بكميات قليلة، والحبوب والأحصنة، والبغال، والأواني المصنوعة من الذهب والفضة اللامعة، وبعض الملابس المنسوجة، والأواني النحاسية للملك. أما صادراتهم فهي: المر النقي، والميعة: بخور المعينيين والفتبانين (181).

وعن سوق (عدن) يقول: "منطقة (Eudaeman) قرية تقع على الساحل، تابعة لملك حمير (كرب إل)، تشتهر بصناعة الحلويات والقشدة، التي تمتاز بحسن جودتها عن بقية الأماكن ويضيف: "لقد كانت (Eudaeman) يقصد (عدن) مزدهرة تشبه الإسكندرية في الوقت الحاضر (يقصد القرن الأول الميلادي). (182)

وعن سوق (قنا) يقول: "وهناك سوق تجارية أخرى على محاذة لشلطي تدعى (قنا Cana) تابعة لمملكة (إيلازوس Eleazus) - يقصد إل عز يلط - مدينة اللبان والبخور ... وهذا المكان يتمتع بالتجارة مع الجهات المقابلة والبعيدة، ومع موانئ البحر الأحمر، مع كل من: (بارجازا Barugaza) و(سيتيا Scythia)، و (عمان Ommana)، ومع كل للشواطئ المجاورة لإيران (183).

وفي المصادر الإسلامية ورد حديث مطوّل عن بعض الأسواق في اليمن، وبلاذات في العهد الإسلامي، والتي هي - بدون شك - امتداد للأسواق القديمة، ولبرز هذه الأسواق:

1- سوق الشَّحَر (المهرة): (184)

يحدثنا (ابن حبيب) عن سوق الشَّحَر بأنّها سوق موسمية، موعد قيامها منتصف شهر شعبان، تنصف بوعورة مسالكها، ولا تخلو من المخاطر، فالقاصد إليها يحتاج إلى حراسة تحميه من اللصوص في سوق لم تكن لتفرض على بضائعها آية عسور

لأنها بارض بلا مملكة. ⁽¹⁸⁵⁾ وكان لشهر ما يباع فيها: اليز، والأدم، والنذر، والمر، والصبر، والخرز، والبرود، والخن ⁽¹⁸⁶⁾.

2- سوق عدن:

بعد أن ينفض الناس من سوق الشحر يتجهون إلى سوق عدن، التي تبدأ من أول رمضان وحتى العاشر منه. أشهر سلعها: العطور الفاخرة؛ التي كان لها شهرة في الهند والسند، وكذلك البرود والأدم. وتنتاز سوق عدن بالأمن، فالتجار يطمئنون إلى تجارتهم فيها؛ لأنها تقع في أرض مملكة حيث تتقاض منها عشورا مقابل حمايتها لها، فكان القادمون بالأمر فيها يتسلمون العشر من التجار. ⁽¹⁸⁷⁾

3- سوق صنعاء:-

بعد أن ينفض الناس من سوق عدن، في العاشر من رمضان، يتابعون رحلتهم فيصلون إلى صنعاء، وفيها يقيمون موسمه الذي يبدأ من منتصف شهر رمضان وحتى آخره. ⁽¹⁸⁸⁾ وأهم السلع التي كانت تباع في سوق صنعاء: الأدم، البرود، الزعفران، الأصباغ، الخرز، القطن... ⁽¹⁸⁹⁾.

4- سوق الرابية بحضرموت:-

كان موضع هذه السوق في رابية حضرموت، ولذلك عرفت بسوق الرابية، وكان موسم نشاطها يجري في الوقت عينه الذي يجري فيه مهرجان سوق عكاظ، وذلك من ناصفة شهر ذي القعدة حتى نهايته .. وسبب تزلزل انعقادها للسوقين في آن واحد معاً كان رواد سوق الرابية قلة قليلة، فلم يكن ليرتادها عندئذ إلا من كان يقيم بأرضها، لو يعيش حولها وبلازتها ... ولم تكن هذه السوق لتتعم بالأمن والاطمئنان للكافين؛ لأنها ليست أرضاً لأية مملكة، ولا هي من حمى مطلة بعينها. ⁽¹⁹⁰⁾.

ثامناً: الأطماع الدولية وعوامل تهيل التجارة اليمنية:

شكلت التجارة العالمية لليمن للتقديم؛ دافعاً للكُتّاب الكلاسيكيين إلى رسم صورة برزقة امتزجت فيها الحقيقة بالخيال..! فقد أشاروا إلى الغنى الخارق وحياة الرفاهية التي كان يعيشها السبينيون، ذلك الغنى الناتج عن الأثمان الغالية لسلعتي اللبان والمر (السبخور)، التي كانوا يتقاضونها من أسواق البحر الأبيض المتوسط، فذلك سترلبو قد كتب يقول: "إن السبنيين قد جمعوا ثروات طائلة من المتاجرة بالطيوب، فافتتوا أواني مطبخية من الذهب والفضة، ومزهريات وأكواب كبيرة ذات إغطية.. وكانت مساكنهم في غاية الفخامة والروعة، وأبوابها وجدرانها وسقوفها مطعمة بالفضيفساء الذهبية والفضضية والعاجية، والمزينة بالأحجار الكريمة" ⁽¹⁹¹⁾ ويؤكد ذلك (بيليني) بقوله: "السبخور للسلعة الثمينة التي أنت عولدها الجملة إلى رخاء مكان شعوب تلك الحضارات" - يقصد بذلك حضارة اليمن للتقديم - ثم يضيف قائلاً: "دعونا نضع في الحساب العدد الكبير من الجنائز التي تشيّد كل عام في جميع أنحاء العالم، وكذلك تلك الأكوامم الزكية للراحة التي تحرق على شرف أجساد الموتى .. إن ذلك يعد من رفاهية

الإنسان التي ينهاى بها عند الموت. ويشير إلى أن "الموطن الرئيس لتلك السلعة هي بلاد العرب السعيدة" (192).

وفي فقرة أخرى من كتابه يتحدث مفصلاً: ومن الغريبة أن نقول: إن نصف هذه القبائل (العربية) التي تفوق الحصر تستغل بالتجارة لو تعيش على النهب وقطع الطرق.. والعرب أغنى أُمم العالم المتعلق للثروة من روما وبارثيا (فارس) إليهم، وتكديسها بين أيديهم، فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر، ومن غلاتهم، ولا يشترون شيئاً مقابل ذلك" (193).

تلك الصورة البرّقة، وذلك المسخط الواضح - الذي عبّر عنه (بلييني) في كتابته - إنما ولدا - أحلاماً وطموحات شغلت بال أبرر قادة الإمبراطوريات الكبرى لذلك، فقد كان (الإسكندر المقدوني) أول من حاول، تجسيد تلك الأحلام وتحقيق تلك الطموحات، فبعد احتلاله لمصر في العشرينات من القرن الرابع قبل الميلاد؛ لرمّل بعثة استكشافية انطلقت من البحر الأحمر لتطوف حول شبه الجزيرة العربية، وتبعها بعثات أخرى من مصب نهر الفرات والخليج العربي حتى مصر، ولكن تلك البعثات لم تحقق أهدافها المرجوة، إذ عابت قبل أن تكور حول (عُمان) حينما مات الإسكندر، ومات مشروعه الكبير..! وفي ذلك الحدث يقول المسعودي: "إنّ التجارة الشرقية كانت من أهم حوافز الإسكندر على غزواته التاريخية..." ثم يضيف: "في هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف (بسقطري) إليها ينسب الصّير السقطري، ولا يوجد إلا فيها، ولا يحمل إلا منها. وكان (أسطاطاليس بن نقوماض) قد كتب إلى الإسكندر - حين سار إلى الهند - في أمر هذه الجزيرة بوصيه بها، ولأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين - أكثرهم من مدينة (أرسطاطاليس) - في مرلكب وصلوا حتى بحر القازم فغلبوا على من كان بها من الهنود، وملكوا الجزيرة" (194).

لقد فشل مشروع الإسكندر، ولم يكن لخلفائه ما كان لزعيمهم من عزم يفتكروا المشروع ولم يتحمسوا له (195). وعلى الرغم من عدم نجاح تلك البعثات إلا أنها - ولأول مرة - جعلت عالم البحر الأبيض يحصل على معلومات دقيقة عن جنوب شبه الجزيرة العربية.

لما خلفاء الإسكندر: (البطالمة Ptolemies) حكام مصر فقد حاولوا تخلاّ المزيد من الخطوات في هذا الاتجاه، ففي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد (269 ق. م) قام (بطليموس الثاني فيلادلفوس) بشق (قناة بطليموس) كما كلف أحد المقربين منه يُدعى (أريستون Ariston) بوضع دراسة للساحل الغربي حتى عدن (196).

لقد وفق البطالمة - بفضل جهودهم الدؤوبة - حينما تمكنوا من مدّ نشاطهم إلى البحر الأحمر، ووصلوا إلى الشواطئ الشمالية للصومال وعدن، وشحنوا سفنهم بالبضائع الهندية التي جلبها التجار اليمنيون والهنود، وشيئاً فشيئاً أخذت القرصنة في

البحر الأحمر تبرز بما دح البطالمة بتنظيم نوع خاص من سفن الحراسة ووضع حد للقرصنة. بعدها أصبحوا يحتكرون لبحر الأحمر . (197)

لم يتأثر اليمينيون وحدهم بسيطرة البطالمة على لبحر الأحمر بل تأثر بها الأنباط أيضاً.. فقد حرموا من موانئ ررقهم التي كانوا يحصلون عليها من الاتجار بالبحر، بعد أن وصلت سفن البطالمة التجارية والحربية - التي تعرسها - إلى موانئ البحر الأحمر الشهيرة، فستري ما تحتاج إليه وتبيع ما تحمله من سلع . (198)

في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد (115 - 166 ق.م) وجهت ضربة للسيطرة اليمنية على الملاحة البحرية في المحيط الهندي، بعد أن تمكن البحار اليوناني (هيبالوس) من اكتشاف وسيلة لتنظيم رحلات بحرية مباشرة إلى الهند تنطلق من البحر الأحمر عند باب المندب، حين تكون الرياح الجنوبية الغربية مواتية للهبوب، وتعود مع هبوب الرياح الشمالية - لشرقية..! ومنذ ذلك الحين أخذ الإغريق يقومون برحلات منتظمة إلى الهند، ووصلوا إلى شواطئ حضرموت.. وبعد احتلال روما لمصر وسوريا في القرن الأول قبل الميلاد قامت باتخاذ الخطوات اللازمة لفرض سيطرتها على التجارة الشرقية، ونشطت الملاحة البحرية، وفرض الرومان الضرائب، وأنشئوا العديد من المراكز للمراقبة على طول الطرق التجارية الواقعة تحت نفوذهم للبحرية منها والبحرية . (199)

لم يكتف الرومان بتلك النجاحات التي حققوها على مستوى الملاحة البحرية، بل كانت لطماعهم أكبر من ذلك، فهم مازلوا يدفعون بالأموال للبضائع التي يحصلون عليها، بالذات منتجات اليمن القديم (المز واللبان) وكان لابد من لتفكير في وسيلة للسيطرة على أرض اللبان، ولحتكار الطريق البرية التي بقيت تحت قبضة اليمينيين، قبل أن يسبقهم إلى ذلك منافسهم التاريخي (فارسي)، وكلف (أوغسطس) إمبراطور روما حاكم مصر (جاليس) بتنفيذ حملة للسيطرة على أرض جنوب شبه الجزيرة العربية، كان ذلك في عام 24 ق.م، فكان أن انطلق جنود الحملة من الشواطئ المصرية، قادمين عبر أرض الأنباط، حيث اجتازوا أرض شبه الجزيرة العربية مشياً على الأقدام، وهي أرض صحراوية وعرة، أي أنهم قطعوا خلال هذه الرحلة البرية حوالي (1500 كم) إلى أن وصلوا إلى أرض الدولة السبئية وبالذات مارب، حيث حاصروها لعدة أيام، ألا أن تلك الحملة باءت بالفشل الذريع، فعادت الحملة أدرجها بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في المعدات والأرواح.. إلى هزيمة كهذه ليست هينة على سمعة إمبراطورية عظمى كالإمبراطورية الرومانية. فكل ما استفاد منه الرومان لذلك بعض المعلومات عن موقع أرض اللبان . (200)

في عام (225م) حلت الأسرة الساسانية في إيران، وفي عام (330م) أصبحت القسطنطينية عاصمة للإمبراطورية الرومانية بدلاً من روما .. فكان لتلك المتغيرات الدولية انعكاساتها الخطيرة ؛ إذ زادت حدة الصراع بين الإمبراطوريتين: الفارسية والبيزنطية، وتراجع الصراع الديني بين المزدريين والمسيحيين، في الوقت نفسه

كان اليمينيون يشكلون وحدة سياسية لكل اليمن القديم، وعلى الجانب الآخر من البحر الأحمر كانت أكسوم في الحبشة تزداد قوة ونفوذاً (201).

عاود البيزنطيون التفكير بحلم أجدادهم القديم وهو السيطرة على البحر الأحمر ومنافذته، وبمسط لبيدهم على جنوب شبه الجزيرة العربية (أرض اللبان)، وكان مما استفادوه ممن سبقهم من الرومان في هذا المعنى: أن القوة العسكرية ليست مجدية في كلِّ المواقف، فلم يكن أمامهم حينئذٍ إلا اللجوء إلى الأسلوب الدبلوماسي لتحقيق تلك الغاية، فدخلت بيزنطة في تحالفات مع الأحباش الذين اعتنقوا الديانة المسيحية منذ عام (330م)، (202) وأصبحوا أخوة في الدين، فالمصلحة واحدة، خاصة إذا استرجعنا ذاكرتنا قليلاً نجد أن لطماع الأحباش في اليمن ليست وليدة القرن السادس الميلادي؛ بل لها تاريخ طويل منذ القرون الأولى للميلاد.

كما أن محاولات الرومان الدبلوماسية لم تنهض في كسب ود الحميريين، وإذا تم لها ذلك تكون قد فوّتت الفرصة على الفرس الذين كانوا يسعون لتحقيق تلك الغاية عندها .. وقد أشار مؤلف كتاب (الطواف The Periplus) إلى المحاولات الرومانية بقوله: 'هناك العاصمة (ظفار Saphar) التي يقطنها الملك (كرب إ Charibael) الذي كان حاكماً على كل القبائل الحميرية (Howerites)، وعلى كل من كان يجاورهم من القبائل السبئية، ومن خلال الرسل والعشاي والمبعوثين كان صديقاً للإمبراطور (203).

في عام (354م) تقريباً أرسل الإمبراطور (قسطنطين) لول بعثة تبشيرية مسيحية - برئاسة (ثيوفيلوس Theophilus) - إلى اليمن، وكانت البدلية لنشر الديانة النصرانية، فانتشرت الكنائس في كثير من المدن اليمنية .. أما الأحباش فلم يلبسوا من تكرار محاولتهم بالتوغل في الأراضي اليمنية مع أي فرصة سانحة، فعدلوا إلى اليمن من جديد بحجة التبشير بالديانة النصرانية وحمايتها، فكان هذا هو الهدف لشكلي، أما الهدف الجوهري فكان تحقيق الحلم الحبشي القديم بلحلال اليمن، وحماية مصالح حلفائهم الروم أمام خصومهم الفرس (204).

وفي عام (525م) سيز (الأصبها) ملك أكسوم - بعد استعدادات كبيرة ودعم ملدي بيزنطي كبير - حملته التبشيرية على اليمن، انطلقت من (إدوليس) عبر البحر الأحمر، وقد حاول اليمينيون مقاومة ذلك الغزو، لكن عدم التكاتف بين القوتين كان السبب المباشر لهزيمة ملك حمير، في الوقت ذاته نجده يفشل في جمع كلمة اليمينيين، فهزم وتمكن الأحباش من السيطرة على اليمن، بذلك انقصر الذي حقوه، وعندئذٍ تحقق هدف بيزنطة: فأصبح البحر الأحمر ومنافذه والطريق البرية الغربية تحت نفوذهم، بذلك يكون قد تحقق لهم نصر كبير على عدوهم التاريخي (الفرس) .. ولم ينته الصراع الفارسي - البيزنطي عند ذلك الحد؛ فبعد ثلاثين عاماً من حكم الأحباش لليمن: تدهورت الأوضاع الاقتصادية في اليمن وتقهطت التجارة .. وكان الفرس يراقبون الأحداث من بعد ويترقبون الفرصة المواتية للسيطرة على اليمن، حتى تحقق

لهم ذلك، عندما لجأ أحد زعماء اليمين (سيف بن ذي يزن) إلى الفرس لطلب النجدة منهم ضد الأحباش⁽²⁰⁵⁾.

وجدد الفرس في ذلك الطلب فرصة ثمينة ليمتدني لهم للتخلص من نفوذ أعدائهم الروم في جنوب شبه الجزيرة العربية، وبمساعدة الفرس استطاع اليمينيون بقيادة (سيف بن ذي يزن) من القضاء على الأحباش، وتولى ابن ذي يزن زمام أمور اليمين مدة قصيرة، وبعدها قتل من دون أن يعرف من كان القاتل هل هم الأحباش؟ أم الفرس؟ بعد موت (سيف) عززت الحامية الفارسية وجودها في اليمين .. فما أن تنفس اليمينيون الصعداء من حكم الأحباش حتى وجدوا أنفسهم - هذه المرة - خاضعين للنفوذ الفارسي .. ظل الوضع كذلك حتى بزغ فجر الإسلام،⁽²⁰⁶⁾ وقضى على أعظم إمبراطوريتين سيطرتا على العالم للقديم قرونا طويلة.

ومن نافلة القول أن بواخر الضعف في تجارة اليمين القديم فقد بدلت تظهر منذ القرن الرابع الميلادي، عندما قلَّ الطلب على اللبان والمر، بعد انتشار الديانة المسيحية واعتناق الإمبراطورية الرومانية لها. فلم يعد يستخدم البخور في الاحتفالات الدينية، ولا في مراسم الدفن كما كان في العهد القديم. وقد رافق ذلك التغيير مظاهر جمّة من التدهور الاقتصادي؛ عاقت منها الإمبراطورية الرومانية: كالتضخم الحاد الذي شلَّ اقتصادها، وأضعفها، وسبَّب في زعزعة أمن وسلامة طريق القوافل⁽²⁰⁷⁾.

ففي شبه الجزيرة العربية، أصيبت الطريق البرية بشلل حاد في حركتها وحيويتها منذ مطلع الميلاد بسبب في ضعف الممالك اللبنيّة الواقعة على الأودية الشرقية، إلا أن التجارة البحرية استمرت في انتعاشها .. ولقد كان لضعف وتضاؤل حركة القوافل التجارية والمسافرين على الطريق البرية، وسيطرة البطالمة على البحر الأحمر: انعكاسات سلبية على الممالك العربية في شمال شبه الجزيرة العربية أيضا، حيث تدهورت الدويلات اللبنيّة التي ظلت قائمة حتى القرن الرابع الميلادي⁽²⁰⁸⁾.

ولم يأت القرن السادس الميلادي إلا وقد عمَّ العالم آنذاك متغيرات جوهرية: فقد تمكن الأحباش - عام 525 م - من السيطرة على اليمين بدعم عسكري من بيزنطة .. وبسقوط الدولة المركزية اللبنيّة: تهازل النظام التجاري، وعاش اليمين - في ظل الحكم الحبشي - حالة من التمزق والتشتت لم يشهد للتاريخ لها مثيلا من ذي قبل.

وفي ظل الصراع الفارسي - البيزنطي، تمكّنت الدولة الساسانية عام 572 م - من السيطرة على البحرين وعمان واليمن، بعد أن ساندت اليمانيين في التخلص من الأحباش، فمُت نفوذها إلى كل الموانئ الواقعة جنوب شبه الجزيرة العربية: كعدن، وصحار، ودبا.⁽²⁰⁹⁾

وكما أشرنا آنفا، بأن هناك ثلاث طرق رئيسة للتجارة العالمية، الطريق الشرقية عبر القنرات، والتي تعطلت بسبب الصراع الساساني - البيزنطي، طريق البحر الأحمر والتي لم تعد تستخدم لخطورة الإبحار بسبب الشعاب المرجانية، وخلو

المواطئ من الموانئ الصالحة للرسو على جانبيه، ولم يبق سوى الطريق البرية الغربية كطريق وحيدة مأمونة لنقل البضائع المطلوبة . (210)

لنْ اُرسِياد تلك الطريق البحرية أدى إلى بروز بعض المدن وسط شبه الجزيرة العربية، والقائمة في واحات كانت بمثابة مراكز دينية يتوجّه إليها التجار للحج سنوياً، ويرافق الحج إقامة الأسواق الموسمية النشطة، من بين تلك المدن : مكة ويثرب (المدينة المنورة) فبرزت مكة - كمركز ديني وتجاري - وسوقاً خطيرة منافسة للمراكز اليمنية، فكان لنْ أرسل حكام اليمن - بزعماء ملوك حمير - حملات عسكرية لإخضاع تلك القبائل العربية (نقش 509 Ry)، إلا لنْ أضر تلك الحملات كان مؤقتاً، وكان آخرها حملة (أبرهة) - الحاكم الحبشي في اليمن - على مكة، فهاجمت تلك الحملة بالفشل الذريع، بعدها أشد ساعد تجار مكة (القريشيين)، وتعاضلت مساهمتهم في التجارة البرية، فقدموا نمطاً جديداً في مجال التجارة العالمية منذ القرن السادس الميلادي، حيث كانوا يقومون برحلتين خلال العام: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام .. وكانت قوافلهم تنقل السلع الواردة من آسيا وأفريقيا، وكمية محدودة من البخور اليمني، فارتبطت تلك القوافل بموسم الحج بمكة . (211)

ولقد علل بعض الباحثين انهيار النظام التجاري في اليمن القديم بسبب الغزو الحبشي لليمن في الربع الأول من القرن السادس الميلادي . (212)

وهناك رأي آخر يقول: "في الوقت الذي شهدت فيه اليمن انهياراً حضارتها ودخلها تحت نير الاحتلال الحبشي، كانت مكة قد بدأت تكون مجتمعاً حضارياً عربياً مهماً في الجزيرة العربية، حيث تمكنت من استغلال فرصة لقتال لاقم بين الفرس والروم، وتعطل طرق التجارة، وضعف الدولة الحميرية في لولخر عهدها، فقامت بالخدمات التجارية التي كانت المميز الأساسي لاقتصاد الجزيرة العربية" (213).

ويمكن لنا أن نجم تلك العوامل السابقة التي أدت إلى الانهيار التجاري لليمن في النقاط التالية:

1. توقف الطلاب على منتجات اليمن القديم : اللبان والمر
2. الاحتراب بين اليمنيين، وتفكك جبهتهم الداخلية، وتمزق شملهم .. فكان ذلك سبباً أساسياً في ضعف كواتهم السياسي، وتدهور نشاطهم الاقتصادي، وانصرامهم الحضاري تدريجياً.
3. للغزو الحبشي لليمن، واحتلالهم له فكان بذلك لنْ انتهت الدولة المركزية اليمنية، ووضع نهاية لحضارة اليمن عموماً.
4. تدهور زراعة اللبان تدهوراً عظيماً في الأملكن الأساسية لإنتاج مادة اللبان، فيتأين تلك المرحلة أخذت شجرة اللبان عنها بالاختفاء شيئاً فشيئاً، إذ لم يعد لها - لنذاك - قيمة تذكر بسبب الرعي المستمر لنباتها، وما أصابها من التلف المرعب الناجم

أساساً عن إهمالها واستخدامها للطهي والطباخة، بسبب ما آل إليه الطقس من تغير سلبي تدريجياً، خلال القرنين: الخامس والسادس الميلاديين (214)

5- المنافسة التجارية للصاعدة لمكة إزاء التجارة اليمنية فانهيار الحضارة اليمنية هيأت لـ (مكة) دون شك ظروفًا خارجية ودخلية مواتية، وفرصة سانحة للقيام بنشاط تجاري كبير وجليل على المستويين: الإقليمي لشبه الجزيرة العربية، والعالمي .. في آن معا، وكان ذلك في وقت لم تعد هناك طريق أمنة، وسالكة إلى دول البحر المتوسط غير أراضيها، لذلك سيطر للتجار المكيون من قريش على زمام التجارة الدولية، وهمنوا على أمورها عموماً ... فما كان لمكة - عندئذٍ - إلا أن تكون اللوريت الوحيد للشرعي للنظام التجاري في اليمن القديم.

1. للكتاب المقدس، العهد القديم، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1992م، سفر الخروج، الفصل الثلاثون، وسفر نشيد الانشيد، الفصل الثالث.
2. لوغير: مشكلة شغلت الجغرافيين والمؤرخين أكثر من ألف سنة، وما زالت دون حل قاطع، فمنهم من يرى أنها الهند، وآخرون يرون أنها في إفريقيا وغرب آخر يعتقد أنها في جنوب شبه الجزيرة العربية، دون تحديد، لو في ظفار عمان (سافرا)، راجع حوراني، جورج فضل: "العرب والملاح في المحيط الهندي في العصور القديمة ولوائل العصور الوسطى"، ترجمه وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر، راجعه د. يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة، نيويورك، 1964م، ص (116).
3. الذهب المقدم لسليمان والذي يزن أربعة أطنان غير معقول إلا إذا اعتبرنا بأن الذهب المقدم إلى سليمان ليس ذهباً، بل هو نوع من الطيب اليمني الذي يسمى في النقوش (ذ ه ب)، وقد سمي بذلك الاسم ربما بسبب لونه الذهبي، وهذا يعني أن هدية ملكة سبا لسليمان حمولة بعض الجمال من اللبان وأنواع من الطيوب.
4. حوراني، المرجع السابق، ص (116).
5. في التراث الآثوري نجد الاعتقاد السائد بأن ملكة سبا إحدى ملكات بلادهم، ولا غربة في ذلك الاعتقاد، فالأكسوميين ينحدرون من السلالات السبئية.
6. للكتاب المقدس، سفر الملوك الثالث، الفصل العشر.
7. القرآن الكريم سورة النمل.
8. أرض (بونت Punt) لم يعرف لها تحديداً جغرافياً حتى الآن، فمن الطعام من يرى أنها الصومال، وفريق يرى أنها بلاد العرب، وآخرون يرون أنها تشمل المنطقة المحيطة بمضيق باب المندب من شبه الجزيرة العربية، وقلعة الأفريقية، حيث الظروف المناخية الملائمة لنمو أشجار البخور، وأنواع أخرى من الصمغيات.
9. - Groom . Nigel St. J : Frankincense and Myrrh A Study of The Arabian Incense Trade (Arab Background Series) London and New York (1981) , p (22) .
- نظر أيضاً حوراني: "المرجع السابق، ص (29 - 31).
10. - Beek G.W Van: South Arabian History and Archaeology extrait par and the Ancient near East, ed,by .G .Ernest wright , London the Bible (1961) , pp. (229-230)
11. الجرو، اسمهان سعيد: "موجز لتاريخ الميسلي لجنوب شبه الجزيرة العربية، (اليمن القديم)"، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، لريد، الأردن، 1996م ص (47-50).
12. لمعرفة المزيد عن هذه النصوص النقشية، راجع موضوع العلاقات الدولية في هذا البحث.
13. الهمداني، الحسن بن أحمد: "صفة جزيرة العرب" تحقيق، محمد بن علي الاكوع الحوالي، الرياض (1394هـ-1974م) ص، (168)، انظر أيضاً: المسعودي، أبو الحسن

- علي بن الحسين: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، ج2، تحقيق، شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، (1966)، ص (128-129).
14. لمعرفة المزيد عن شجرة اللبان وأماكن تولدها راجع الفصل السادس من كتاب:
- Groom, N : op. - cit , pp. (96-120).
- البخور: يطلق على المواد التي تحرق ، ويصدر منها رائحة عطرية، وهي في الغالب عبارة عن مواد صمغية منها اللبان، والمر، والصبر ... ويتم حرق بعضها بصورة مباشرة، كاللبان والمر، ويدخل الصبر في إنتاج مواد مركبة لها رائحة زكية.
15. غريباً ستارك: "البوابات الجنوبية لبلاد العرب"، ترجمة: علي محمد باحثون مجلة (اليمن) مركز البحوث والدراسات، جامعة عدن، العدد الثاني، 1990 ص (127-164).
16. المرجع نفسه، ص (133-134).
17. Pliny : Natural History , with an english translation , by . H . Rakhman (The loob classical) cambridge , London , Book XII , 84 .
18. حمور، عرفان: "لسوق العرب دلل لشورى، بيروت، 1979، ص (187).
19. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الفصل الثلاثون.
20. Pirenne , J : Prospection historique dans la region du royaume de Awsan , dans , Raydan , 3 , Louvan , 1980 , p. (222)
21. يعتبر المر من المواد الطبيعية الفعالة، يستخدم حتى يومنا هذا لعلاج بعض الأمراض النسائية، ويقوم مقام المضادات الحيوية.
22. نعيم زكي فهمي: "طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1973)، ص (234).
23. مختاب فكتور: "ميلات قريش رحلة الشتاء والصيف" كمبيوتر نشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، (1992)، ص (201-203).
24. Pliny , op. -cit , BkII , ch4 , 88 .
25. Diodorus Siculus: The library of History ,loeb classical library (trans : OLDFATHER , Heienemann , London , 1935 .
26. Strabo: The Geography of Strabo ,trans Jones H . L ,loeb classical library London , 1930 .
27. شهاب، حسن صالح: "اضواء على تاريخ اليمن البحري"، دار العودة بيروت، (1981)، ص (237).
28. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، بغداد (1971)، ص (240).
29. نعيم زكي: المرجع السابق، ص (227).
30. حسن شهاب، المرجع السابق، ص (144-145).
31. نعيم زكي، المرجع السابق، ص (231).
32. سحاب، المرجع السابق، ص، (188).
33. حمور، المرجع السابق، ص (188).
34. حسن شهاب، المرجع السابق، ص (164).

35. نعم زكي، المرجع السابق، ص (232).
36. المرجع نفسه ص (244).
37. Schoff, wilfed . H: The Periplus of the Erythraen Sea (trans and commentary) Longman, Green, New York, (1912).
38. Ibid, Secs, (31-33).
39. Groom, op.-cit, pp. (36-37).
40. Bowen, Lebaron, and Albright, : Archaeological Discoveries in South Arabia, publication of the American Foundation for the Study of man, Baltimor (1958), pp. (287-295).
41. - Rodinson, Maxime, : Mahomet, 3^{eme} edition, Paris, 1979, p.33.
42. - Groom, op.-cit, p. (175).
43. Ibid, (175).
44. انظر نقش البعثة الفرنسية (Mayft - Ma'in 13) في: Robin, ch: premiere mention de Tyr chez les Mineen d Arabic du Sud, dans, SEMITICA XXXIX, 1990, Hommages a Maurice Szny cer, 11, Paris, 1990, p. 138.
45. - Groom, op.cit, p. (167) انظر ايضا The periplus, Sec, (27).
46. Groom, op.-cit, p (166).
47. Ibid, (165).
48. جرها: مدينة تجارية تقع على الخليج العربي، تحدث عنها الكلاسيكيون كثيراً ولرجح أنها مدينة (الهوف) حالياً، ولقد كان لأهل (جرها) أهمية خاصة في مجال التجارة.
49. علي سور (قلت) عثر على نقش ينكر اسم الباني للسور، والغرض من بنائه، فقد بناه المكرب الحضرمي (شهر إلى يهرعش بن ابيسج) لصد الهجوم الحميري انظر النقش (RES, 2687).
50. السوط: جاءت هذه التسمية في النقوش (سوطم) وبالأذات في نقش (Glaser 1000 RES, 3945) كاسم للهضبة التي تشبها بعض الأودية الجنوبية التي تصب في وادي حضرموت الكبير، ونذكر منها (عرمه) و (نهر) و (رخيه) و (عد) و... كلمة السوط نجدها متداولة عند بعض المؤرخين بدلا من كلمة (الجل) التي تعني الهضبة أيضا.
51. - Pirenne, J: fouille de shabwa, tome I, Paris, 1990, p. (51).
52. Groom, op.-cit, pp. (168-169).
53. البيلوبونيز: اسم يطلق على شبه جزيرة اليونان.
54. - Pirenne, Shabwa, p. (35).
55. لقد كان وادي ميفعة، يمثل خط طبعي يفصل بين مملكتي حضرموت في الشرق، وقبائل في الغرب، وقد دون جغرافيا لكل منهما، ولاسياب سوسية، نجد القوافل تتجه صوب الطريق الغربي (غرب وادي ميفعة) في اتجاه الإقليم القبلي، تجنباً من الاحتكاك بالحضارة، وعندما ظهر الحميريون في هذا الإقليم كانوا بمثابة نذير خطير لدولة

حضرموت حيث نجدهم بينون الأسوار والقلاع في وادي موفعة، ووادي حجر تحسبا لأي هجوم مباغت من قبل الحميريين.

- Pliny , op.-cit , BKXII , Secs, (30-32) .56

. Pirenne , J : Première mission Archéologique Française au Hadramout , dans CRAT , 1975 , p. (269) .57

Pliny , Sec , , (68) .58

- Groom , op.-cit , p. (196) .59

60.مرخة: ولا خصب قامت عليه دولة لوسان التي امتدت على نطاق زراعي اشتهر بزراعة المر ، و من أهم مراكزه التجارية منطقة (مجر لم الناب) ، و (مجر يهر)

61. أنظر أيضا Bowen , op.-cit , p. (37)

62. Philby , H . St . John : The Land of Sheba , dans Geographie Journal , vol XCLL , July , 1938 , p. (54) .

63.نجران: أحد المراكز التجارية الهامة، تقع على وادي يحمل نفس الاسم، والذي يقع بدوره على بعد (250كم) شمال ملرب، جاء نكرها في نقش النمارة (RES 483) كمدينة للملك (شمر)، وينبع وادي نجران من الهضبة الغربية، متجها صوب صحراء الربع الخالي، يفصل نجران عن الجوف، إقليم يعرف باسم الافراط (Ja 660)، لقد كانت نجران في عهد المكرب السبئي (كرب إلى وتر) مركزا هاما لدولة سباء، فهي بمثابة حلقة وصل بين الممالك اليمنية القديمة، وشمال شبه الجزيرة العربية.

64.الهمداني، الحسن بن أحمد: "صفة جزيرة العرب"، تحقيق، محمد بن علي الأكواع الحوالي، الرياض (1394-1974) ، ص (167).

- Bowen , op.-cit , p.37 .65

Ibid , pp. 36-37 .66

- Robin , ch , et de Maigret Alessandro : Yatill , Appelle Au-jourd.67

- Groom , op.-cit , p. 192 .68

Ibid , p. 193 .69

Ibid , p. 193 .70

Ibid , p. 193-71

72.لقد كان الكتاب الكلاسيكيون يعتقدون أن البحر الأحمر والمحيط الهندي، والخليج العربي، بحر واحد فاطلقوا عليه البحر الارتيري (الأحمر) راجع كتاب (The Periplus).

73.حورثي، المرجع السابق، ص (59-60). أنظر أيضا:

- Pirenne , J : Première mission , p. (263)

مختاب، المرجع السابق، ص (266-267).

The Periplus , Sec , 27 .75

76. Pirenne , J : 1 A Ala de scovert de l Arabie Paris , 1958 , p.43

77.حورثي، السابق ، ص (75) ، أنظر أيضا:

- Groom , op.-cit , p. (157)

كرب إلى: يرجح انه الملك الحميري (كرب إلى أيفج) ملك سبا وذي ريدان، تذكر عهده النقوش في حوالي (250م)، يوسف عبدالله: "مدينة السوا".

مجلة دراسات يمنية ، العدد 34 (صنعا) 1988، ص (30).

80.السوا: جاء ذكر مدينة السوا في نقش (Ja 585)، تسمى اليوم حصن القدم ، يقع الحصن لسي عزلة السوا : والسوا ناحية المواسط من قضاء الحجرية، على بعد (34كم) غرب مدينة نيز، نكل الشواهد الأثرية والنقشية في الموقع، على أهمية المدينة، وعلى عظمتها، فهناك آثار لحصن منيع ومعابد ومقابر وخزانات، ولقطع أثرية متنوعة، راجع: يوسف عبد الله، السوا، مرجع سابق، ص (33-35).

81.الإرياني، مطهر علي: "تاريخ اليمن"، نقوش مسندية وتعليقات ط2 مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990) ص (109-122).

82.ظل الميناء في موقعه بمنطقة صيرة التي يطلق عليها أيضا منطقة الخليج الأممي، حتى القرن التاسع عشر وبالأذات في عام (1840) عندما نقل الإنجليز الميناء إلى منطقة المعلا والتواهي لأسباب طوبوغرافية بحثة.

83.حصن شهاب: المرجع السابق، ص (239-240).

84.الإصحاح 27/ الأيتان 22، 23.

85.لوكيليس Ocelis، هي سيلاء عند سترابو، والاسم الحديث لها هو: سيلاء Cella ، فنظر (The Periplus) هامش رقم (3) لفقرة رقم (26).

86.ستادا وحدة قياسية عند الليونان .

87.هامش الفقرة (26) من كتاب (الطواف The periplus) .

88.الصلوي: إبراهيم: قصة أصحاب الأخدود"، الجامعة اللبنانية، بيروت (1979) (رسالة ماجستير لم تنشر).

89.الهمداني، الصفة، ص (94).

90. Ja 74, 756 , 632, Ry 538, 333, CIH 621, 728, 948, IR 13 .

91.عمانه: جاء ذكرها في كتاب (الطواف The periplus) فقرة (27)، وربما المقصود بها صحار أو مسقط ، الحوراني، المرجع السابق، ص (49).

92.الاريني، المرجع السابق، ص (117-122) (نقش رقم 13) .

93. - DOE Brian : Port of Husn al Guran or Site of Qana Bulletin : 3, 93
Centre of Ancient Archaeological Aden , July 1964 , p. (13).

94. ظفار: اسم للإقليم الممتد بين عمان والمهرة على الشريط الساحلي للبحر الأحمر .

95. - Bafaqih, M.A: l unification du Yemen la lutte entre Saba-Himyar, 95
et le Hadramaut , du 1^{eme} Siecle de l ere chretienne , Paris , 1990 , p.

(239) .

29 The Periplus , Sec , 29,96

Ibid , Sec , 29 , 97

- Bafaqih , op.cit , p. 240 .98
- Ibid , p. 241 .99
- The Periplus , Sec , 32.100
- . Albright , F. P: Exploration Dhofar Oman , Antiquity 113, 1955, p. .101
37-39 .
- . Albright , F.P : The Himyarites Temples at khor-Rory Orientalia , .102
XXII, 1953, p. 787 .
103. حوراني، المرجع السابق، ص 62.
- The Periplus , Sec , 30.104
- Bafaqih , op. - cit , p. 241 .105
- Groom , io. - cit , pp.104-105 .106
- Bafaqih , op.-cit , p. 241 .107
108. حوراني، المرجع السابق ص 63.
- The Periplus , Sec , 30.109
110. زارت جزيرة سقطرى بعثة أثرية من جامعة لكسفورد للتقيب عن الآثار عام 1954م،
كما تقوم بعثة فرنسية منذ مطلع الثمانينات من هذا القرن وحتى الآن بالعديد من الدراسات
والابحاث في المجال الانثروبولوجي.
- The Periplus , Sec , 32 .111
- Ibid , Sec , 27 .112
113. جزيرة (سارابز Sarapis)، تقع على بعد (2000) ستاداً من جزر زنبوبيا، (كوريا
موريا) كما جاء في كتاب الطواف فقرة (33)، لعلها جزيرة مصيرة.
- The Periplus , Sec , 32.114
- Ibid , Sec, 31-32.115
- Ibid , Sec , 36.116
- Ibid , Sec , 39.117
- Ibid , Sec , 39 .118
119. حوراني، المرجع السابق، ص 76.
- The Periplus , Sec , 16.120
- Ibid , Sec , 17 .121
- Ibid , Sec , 14 .122
- Ibid , Sec , 19 .123
- Von, Wissmann: Himyar Ancient history , le maseon , 77, 3-4, .124
19- 64, p.- 144
125. الشيبه، عبدالله حسن: "سهام عرب الجلوب في قيلم وتطور لكسوم" مجلة الاكليل،
وزارة الثقافة والاعلام، العدد الرابع المنة السابعة، 1989، صنعاء، 1989، ص (31-34).
126. للمرجع نفسه، ص 34.

127. رهابتا، هي الان (كويليمن Queliman) على الفرع الشمالي من دلتا الزميري، ويرى جلازير أن الاسم عربي الصيغة، قريب من ربط.
128. The Periplus , Secs , 21-27.
129. - Albright , Exploration ... , p.37-39.
130. - Groom , op.-cit , p. 22 .
131. Ibid , p. 22 .
132. بافقيه، محمد عبدالقادر، ألفريد بيستون، كريستان روبان، ومحمود الفول: "مختارات من النقوش اليمنية" للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985، ص 293.
133. عبد الحليم نور الدين: "مقدمة في الآثار اليمنية" منشورات جامعة صنعاء، 1985، ص 190.
134. جواد علي، المفصل، ج 7، ص 35-37.
135. لشر: لم يعرف موقعها على وجه التحديد، ولكن يرجح أن المقصود بها سوريا، انظر:
- Robin , ch : Premiere mention de Tyr , pp. (144-1455)
- Robin, ch: Egypte dance les inscriptions de l Arabe meridien de pre-islamique, dans , Hommages a Jeale clant (volume 4) biblio theque d etude , 106/4 , 1994, pp. 286-301
- De Magret . A , and Robin , ch : les fouilles de Yala , nouvelles donnees sur la chronologie de l Arabie du sud , pre - islamique , Paris , 1989 , pp. 264-266 .
- Robin et De Margret , Yathil , pp. 56-57 . 136
- De Margret et Robin , Yala , pp. 264-266 . 137
138. بافقيه وآخرون، مختارات، ص 290-293.
139. المرجع نفسه .
- Robin , Egypte , pp. 286-301 140
141. فخري، أحمد: "رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة: هنري رياض، ويوسف محمد عبدالله، مراجعته: عبدالحليم نور الدين، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية اليمنية، (مشروع للكتاب 2/21 صنعاء 1988م، ص 160-162.
142. للكتاب المقص، سفر التكوين للثالث، الإصحاح العاشر.
143. للجرو، للمرجع السابق، ص 41.
- Pirenne , J : la rinceau dans l evelution de l art Sud-Arabe , dans , 144 SYRIA , tome XXIV , 1957 , pp. 99-126 .
145. ريكمنز، جاك: "حضارة قبل الاسلام"، ترجمة ، علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد (28) أبريل، مايو، يونيو، 1987م، ص (111-137).
- Caton Thompson : The Tonbs and moon Temple of Hureida (Hadramaut) , Oxford , 1944 , p.20 . 146
147. بافقيه وآخرون، مختارات، ص 296.

148. Pirenne, J : Deuxieme mission Archeologique francais au Hadramaut , december , 1970 , fevrier 1967 , p. 423 .
149. لارن متوصل اليه الباحثان في كتابهما الموسوم بـ:
- Rathjens and von wissmann : Voristamische Altertum , Bd , I Hambrug , 1932 .
- وبين ما اشارت اليه عالمة جاكين بيرن في دراستها:
- Pirenne, J : Chronique d arachaeologie II , 1956 , pp. 37-68 .
- Berton J. F. : Wadi Dwra , Rapport de la mission francais au Yemen , Aden, 1985 .
- Pirenne, J : Shabwa , deux campagnes de fouille 1980-1981 , 152 (Rapport de la mission francais (لم ينشر
154. Albright, W. F. : the chronology of Arcient South Arabia , in the -first campagne of Excaption in Qataban , dans , BASOR light of the 119 , (1950) , pp. 8-15 .
- Berta Segall : Sculpture from Arabia felix the Hellenistie Period , 155 American Journal of Archaeology 59 , (1955) pp. 207-214 .
- Berton, Dura , (rapport) 156
- Caton Thompson , op.-cit , p. 13 . 157
- Breton , Dura (Rapport) 158
159. الهمداني، الحسن بن أحمد: "الجوهريين العتيقين المتعنين من الصفراء والبيضاء، تحقيق (كريستوف تول) لو بيسلا (1968).
- Pirenne, J : le rinceau , pp. 102-105 . 160
- Pirenne, J : la Greca et Savanta a l academie des inscriptions et 161 belles-lettres , Paris X (96) .
- Beek : South Arabia , p. 229 . 162
- Ueli Brunner : Die Erforschung Der Antiken Oase Von Ma rib mit 163 Archaeologische Berichte Aus Dem Yemen , Ban II , Mainz , 1983 .
- Pliny , BK 12 , Sec , 65. 164
- Groom , op.-cit , p. 155. 165
- Beeston , A.F.L : The Mercantile Code of Qataban, part, of 166 Qahtan Studies in old South Arabian Epigraphy , London , (1959) .
- انظر أيضا: يوسف محمد عبدالله: "لورق في تاريخ اليمن وقاره "بحوث ومقالات، وزارة الاعلام والثقافة، صنعاء ، 1985 . ص (60-62).
167. ناهض عبد الرزاق: "المسكوكات وكتابة التاريخ" هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد 1988 . ص 6.
168. المدن اللبديّة: هي المدن الواقعة أراضيها على الساحل الغربي لتركيا.
169. ناهض، المرجع السابق، ص 16.

170. ستيفنسورج - هـ: تحارة العالم القديم والبحر المتوسط، ترجمة: محمد بكير خليل
الفصل الحادي والخمسون من تاريخ العالم، المجلد الثالث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،
دلت ص (147-172).
171. DOE Brian : Southern Arabia , London , 1971 , pp. 118-122 .
172. ستيفنسورج : المرجع السابق، ص (149)، حوراني المرجع السابق، ص، 89 .
173. The Periplus , Sec 32 .
174. Doe : Southern Arabia , p. 119 .
175. Pirenne , J : Shabwa , p. 35.
176. Walkar , J : The Mon-God on Coin of Hadramaut , dans BSOAS , XIV, 1952
pp. 623-626 .
177. Doe : Southern , p. 121 Arabic, p. 121.
- Pirenne , J : le royaume Sud-arabe de Qataban , et a datation , louvain ,
1961
- نظر أيضا ,
178. Walker , J : A New Katabanian Coin from South Arabia ,
Israel Exploration Society Journal , Jerusalem (1963)
178. Stuart Munro-Hay : The al-Madhariba Hoard of Gold Aksumite and late
Roman Coins : , dans , le Numismatic chronicle (1989) , pp. 83-100
179. الافغانسي، سعيد: "سوق العرب في الجاهلية والاسلام"، المطبعة الهاشمية، دمشق،
1937، ص (73).
- The Periplus , Secs, 21-22.180
- Ibid , Sec, 22.181
- Ibid , Sec, 26.182
- Ibid , Sec, 27.183
184. الاسماء، أو لشحر أو المهرة، أسماء تطلق على الاقليم الساحلي الجنوبي، الممتد من
شرق عدن وحتى غرب عمان، ومن المرجح ان كلمة (يمن) في نقوش بقصد بها هذا
الاقليم.
185. ابن حبيب محمد: كتاب المحبر، حيدر آباد، 1942م، ص 266.
186. جواد علي، المفصل، ج7، ص 377.
187. ابن حبيب، المحبر، ص 266.
188. نفسه، ص، 266.
189. جواد علي، المفصل، ج 7، ص 374.
190. ابن حبيب، المحبر، ص 266-267.
191. Strabo : The Geography , BK 16 . ch 4 , Sec 19 .
192. Pliny : Natural History , BK 6 , Sec , 32 .
193. Ibid , BK 12 , Sec , 84 .

- 194.المسعودي، المرجع السابق، ص 128-129.
- 195.جواد علي، المفصل، جـ 7، ص 267-268.
- 196.حوراني، المرجع السابق، ص 57. نقتل أيضا :
- Radonson , op.-cit , p. 34
- 197.حوراني، المرجع السابق، ص 57.
- 198.المرجع نفسه، ص 58.
- Pirenne : a la decouvert ... , p. 26.199
- Strabo : Gaeography , BK 16 , ch 4 , Sec 22-25.200
- 201.حوراني، المرجع السابق، ص 94.
- 202.الصلوي، المرجع السابق، ص 16.
- The periplus , Sec , 23.203
- 204.الصلوي، المرجع السابق، ص 17.
- 205.المرجع نفسه، ص 28-29.
- 206.حوراني، المرجع السابق، ص 104.
- Groom , op.-cit, p. 162.207
- 208.محب، المرجع السابق، ص 198.
209. نفسه، ص 198.
210. نفسه، ص 199.
211. نفسه.
- Rodinson , op.-cit , p 35.212
- 213.الصلوي، المرجع السابق، ص 135.
- Groom , op.-cit, p. 163.214

الفصل الثالث

الفكر الديني عند قدماء اليمنيين

- أولاً : أسماء الآلهة ونعوتها ورموزها
- ثانياً : المعابد : أجزاءها، ومحتوياتها، ومواردها.
- ثالثاً : الكهان وخدام المعبد من الأرقاء.
- رابعاً : الوحي.
- خامساً : شعائر الطقوس الدينية.
- سادساً : معتقدات أخرى.
- سابعاً : العقيدة الدينية وأثرها في تنظيم حياة المجتمع
- ثامناً : البدايات الأولى للتوحيد.

ما الدين؟ وكيف عرفه علماء الأديان؟

هناك من علماء الأديان من عرف الدين بأنه : موقف الإنسان من الطبيعة(1)، تلك الطبيعة التي جهد الإنسان - منذ أن وجد عليها - للتقرب إليها وتقم مقاصدها واكتساب رضاها، فهي تشير في نفسه لحاسيس مختلفة : من رهبة، وقلق، واطمئنان، وخضوع.. وعرفه آخرون بأنه : إيمان بكائنات روحية تكون فوق الطبيعة والبشر، لها تأثير قوي على حياة هذا الكون(2).

ومهما اختلفت التعريفات لحقيقة الدين هنا وهناك، فإن العقيدة الدينية - ولا ريب - قد كانت منذ نشوء الحضارات الإنسانية هي الدافع المعنوي للإنسان في الحياة، والقوة الحيوية التي تصبغ كل مظاهر الثقافة والمعنوية بصيغتها الروحية، وتطبعهما بطابعها الإيماني العام .. ولذلك فقد كانت - وما زالت - روح للقواعد والسلوك في حياة الإنسان : فردًا ومجتمعًا .. وأسس للتنظيم ومصدر للحكم والإدارة، ودائمًا ما تترجم على شكل طقوس وشرائع ؛ تهدف - في كل الأحوال - إلى توازن المجتمع واستقرار بنيانه.

من هذا المنطلق لا يمكن أن نفهم لية حضارة ما لم نمير غور تاريخها الديني، ونذكر عاندها، ونظمها، فمعرفة دينها قوم من الأقول تساعدنا إلى حد كبير في معرفة سلوكهم، وأرائهم، وفلسفتهم الروحية.. وهذا هو ما ينطبق على الحضارة اليمينية، إذ بفضل المعطيات الأثرية والنقشية استطعنا أن نكون صورة عن الديانة الوثنية في جنوب شبه الجزيرة.

عبد اليمينيون قديمًا - كثيرهم من الشعوب السامية - لاهة نجدها لجرلم سماوية ؛ تتمثل في : القمر، والزهرة ، والشمس .. مضيفين عليها أسماء، ونعوت، والقابًا متعددة ومتنوعة، كما كانوا يقيمون لها المعابد، ويعينون عليها فئة من الرجال والنساء تقوم بالإشراف على إدارتها.

لقد كان للعقيدة الدينية أثر بالغ الأهمية في حياة قداماء اليمينيين الروحية والمادية، كما كانت لها بصمات على شتى مجالات الحياة، فهم يرون في الآلهة ما يجعلهم يتجهون لعبادتها والتقرب إليها من خلال قيامهم بطقوس شعائرية مختلفة، فيقدمون لها القرابين، بل يقدمون لها أحيانًا حصونهم، وأبراجهم، ومنزلهم، وأرضهم، وأنفسهم، وحيواناتهم .. رغبة في كسب حظوتها ورضائها، وطلبًا لحمايتها ووقايتها.. فهذا الورع الديني العميق لم يتغلغل في نفوس الأفراد فحسب، بل وفي حياة الشعب بأسره.

كما نلمس اعتقادهم الراسخ بالحياة بعد الموت، وإيمانهم بمعتقدات أخرى : كالصمد مثلاً الذي كان له تأثير على سير حياتهم.

ويتطور الديانة الوثنية تهمدت الطريق أمام اليمانيين قديماً ؛ للتفكير بأسلوب تجريدي، والتجريد بمثابة خطوة أولية نحو التوحيد حيث أطلق على المعبود (رب السماء)، ثم : (الرحمن رب السماء والأرض) .. كل ذلك يعدّ مرحلة جنينية لفكرة وحدانية الله، مما ساعد - لاحقاً - على التقبل السريع للديانات التوحيدية.

لولا : أسماء الآلهة ونعوتها ورموزها :

حفظت لنا النقوش والأثار النثرية وشواهد القبور - (جمع شاهد) - العديد من الأسماء ونعوت الآلهة التي كان الناس يتودنون ويتقربون إليها بالنذور، والقربان، والهبات .. ويقرأ المرء أعدداً هائلة من أسماء ونعوت الآلهة ؛ فيصعب عليه معرفة تسمياتها واشتقاقاتها، فالاسم يدل - أحياناً - على صفة من صفات الآلهة، فيظل يتداول، ومع مرور الزمن يغتو شقاً يتناقله القوم، ويبقى مستعملاً كاسم علم .. والملاحظ أن تلك الآلهة لا تعرف حدوداً جغرافية، بل نجدها مشتركة بين كثير من القبائل، وقد يصل سلطانها إلى مناطق خارج نطاق عبادتها.

ومهما اختلفت نعوت تلك الآلهة ومناطق انتشارها، فإنه بالإمكان إدراجها تحت أحد أجزاء الثالوث الفلكي، وقد نجد - أحياناً - أن بعض أقاليم وقبائل اليمن القديم تشترك في عبادة إله واحد، وإن تباعدت فيما بينها جغرافياً، فبأ و فيشان كانتا تعبدان الإله (المقه)، وقبتان ورحمان ومضحي كانوا يعبدون الآلهة (عم)، أما حاشد وبكيل ويرسم فكانت تعبد الإله (تألب ريام) (3) وميرر اشترك مجموعة من أقاليم وأقوام اليمن القديم في عبادة إله واحد يعود إما للسيادة السياسية، وإما للتحالف للمسلمي للقيام بينهما(4).

لم تقدم لنا المعطيات الأثرية والنقشية أي دليل يشير إلى شكل تلك الآلهة أو للمعبودات، سوى الرموز المعبرة عن تلك الآلهة والتي غالباً ما تكون على شكل صور من حيوانات مقدسة : كالنور، والوعل، والتعبان، والسنمر ...، ومثل تلك للصور الرمزية نجدها مرسومة في بداية لو نهاية النصوص النقشية عادة.

1- (الإله (إ)) :

إله مشترك لكل المجتمع اليمني، (ينطق اسمه هنا بكسر الهمزة وتشديد اللام) ويستدل من كتابة هذا الاسم على أنه أقدم أسماء كافة الآلهة القديمة على الإطلاق ؛ نظراً لقدمه الموعّل بعداً في الظهور فيما بين النهرين -، فأول ذكر ورد له كان في النقوش الأكادية التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد(5).

وقد ورد ذكر إله (إ) في نقش عثر عليه في مدينة (هرم) في الجوف، إلى جانب إلهة أخرى، ذلك هو (نقش، 150 Halevy). أما في نقش (144 Halevy) فنجد (لوس إ) من قبيلة (ريمن)، وكانت وظيفته هي : (رشو إ وعثر) أي :

كاهن الإله (إل) والإله (عثر) ⁽⁶⁾ ، وينعت الإله (إل) بـ (حوكم) أي : الحكيم كما جاء في نقش (Ja 2898) ⁽⁷⁾.

فاسم الإله (إل) يدخل في تركيب عدد كبير من أعلام الناس تيمنا وتقربا، مثل : (يدع إل)، و(شرح إل)، و(كرب إل) ... كذلك نجده في التراث اليهودي والمسيحي. أما المصادر العربية فتذكر أن المقصود بـ (إل) هو (إله) عز وجل ⁽⁸⁾.

2- إله القمر :

الإله الرئيس لقضاء اليمنيين، ولهذا كان ينفرد بالكثرة المطلقة من الأسماء، والألقاب، والنعوت التي تختلف من منطقة إلى أخرى.

وكان القمر يهيم هيمنة مباشرة على سائر نواحي الحياة لديهم، ولعل ذلك يعود إلى الأهمية العظيمة التي كان يحتلها هذا الكوكب كمرشد للقوافل البرية، ومعين لها في الطريق الصحراوية الطويلة، كما أن نوره الناعم يجلب للنفس الراحة والطمأنينة أثناء الليل مخفقا بذلك ويلتد الشمس وحرارتها اللافتة أثناء النهار.

ومن أبرز أسماء إله القمر (المقه) عند المسبئيين، ويسمى (عم) عند القتبانيين، و (ود) عند المعينيين والأوسانيين، وهو الإله (سين) أو (سين) عند الحضرميين. وعرف باسم (كهل) في كندة الدولة العربية التي قامت على طريق التجارة وسط شبه الجزيرة العربية، وعرف باسم (تالب ريام) عند قبائل همدان، كما يطلق على القمر اسم (ورخ) أو (شهر)، ومن الطريف أن يرد هذا الاسم الأخير (شهر) - وهو من ألفاظ العربية الجنوبية أصلا - في لغة القرنين الكريم : مستعملا بالمعنى المألوف عينه عند عرب الجنوب، والذي يدل على (الهلل أو القمر) في العربية الشمالية. وذلك في قوله تعالى من سورة البقرة " ... فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..." (البقرة 2 / 185).

وعلى الرغم من تعدد تلك الأسماء الدالة على ذلك الكوكب النير، واختلاف تسمياته لدى اليمنيين الأقدمين ؛ فإنها في دلالتها على "القمر"، أو على "إله القمر" وطوقسه الدينية وشعائره عبادته عندهم، تظل واحدة في جميع الأقاليم ومناطق الممالك اليمنية.

وبإلى جانب ما كان لكوكب القمر من تلك الهيمنة البارزة في أسفارهم، وفي حلهم وترحالهم ؛ كانت له - كذلك - مكانة رفيعة للغاية في تصريف موقيتهم، وإبراكهم لعدد المنين والحساب .. ولم يكن هذا فقط عند عرب الجنوب ؛ وإنما لدى العرب جميعا في عموم جزيرتهم : شمالها وجنوبها، شرقها وغربها. فعلى منازلها الفلكية كانت تقوم معرفتهم للمواقيت الزمنية، وحساباتهم لمواعيد المناسبات الدينية، والمواسم الزراعية المختلفة، وفصول السنة الأربعة، وتقويماتهم للتواريخ

أياماً وشهوراً... وهذا إنما يدل على إدراكهم المبكر، ووعبهم العميق لجوانب أساسية من علم الفلك الذي كانوا يستلهمونه من منازل القمر المتعددة في إطار المجرة للشمسية، ومجال حركات الفلك الدائبة في الكون، وما تؤديه هذه المنازل من وظائف عظيمة في الطبيعة والحياة، وما يترتب على هذه الوظائف من آثار عميقة الفوائد في تعاقب الليل والنهار، وتواتر سير الزمان متناسقاً في حركات ثلاث مطردة للتعاقب دون انقطاع البتة : (حركة ماضية، وحركة آتية، وحركة تفصل ما بين الماضية والآتية) ... وذلك وفقاً لما أشار إليه التنزيل الكريم بوضوح في قوله تعالى : *"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلَهَةِ ۚ قُلْ : هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحِجَجِ .."* (البقرة 2 / 189) وقوله : *"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ، وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ۚ تُعْتَمِدُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"* (يونس 5 / 10) - وقوله : *"وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ"* (يس 36 / 39).

ولعل ما كان للقمر من هذه المكانة، وتلك الهيمنة ؛ هما مما كان يبعث الأمان والاطمئنان والراحة في نفوسهم .. وهذا هو ما يفسر لنا سر تقديس عرب الجنوب له ؛ إلى حد الاستعقاد به وتنصيبه إليها يعبدونه، ويقيّمون له الطقوس الدينية والاحتفالات والشعائر الرهبانية ؛ فيقدمون له خلالها القرابين الرهبية، والنذور الكثيرة، والهبّات المدرولة الوفيرة⁽⁹⁾.
الإله الملقه :

المعبود القومي لسبأ، وكان يعد من الآلهة للرئيسة الاتحادية، له مكانة مهمة عند لقوام يمنية أخرى كهمدان وغيرها .. ولا نعرف بالضبط اشتقاق الاسم، فقد ورد في المئات من النقوش بكتابات مختلفة : فيكتب في - الغالب - (الملقه)، ونجده يكتب (مقهو) أو (بملقه) أو (المقت).

وكانت تنتشر عبادة الإله (الملقه) حيثما انتشر السبئيون، بل نجد عبادته قد تجاوزت اليمن القديم، فمذ آلاف الأول ق.م، نقل السبئيون معبودهم الرئيس (الملقه) إلى الهضبة الإرتيرية، فأغلب أسماء الآلهة الحبشية تذكر بأسماء آلهة سبئية مثل : (الملقه) و(هوبس) أو (هيس)، و(ذات بعن)، و(ذات حميم) مع وجود آلهة حبشية أخرى، ويرمز له (الملقه) بالوعل، أو الثور أحياناً، وبالهرادة، أو صاعقة البرق (367 . CIH)، أو لقرص النجمي، وأحياناً مفصل اليد⁽¹⁰⁾.

لقد بيّنت النقوش السبئية المتوفرة لدينا الأهمية الدينية التي حظي بها الإله للقومي لسبأ، وما كان له من أثر عظيم في توطيد وترسيخ دعائم الدولة، فهناك ربط وثيق بين الإله والدولة ؛ كما جاء في النقشين : RES 3954 ، (RES 3946) ؛ لذلك نجد السبئيين يتقربون إلى الإله (الملقه) بالقرابين والنذور في

معابدهم المختلفة ١ طلبًا لتحقيق أمنيّاتهم، ويشكرون له انتصاراتهم التي تحققت بفضل رعايته وحمايته، كما كانوا يعتقدون.

لما أُمع معابد الإله (المقه) معبد (أوام) في مارب، كما بنيت له معابد أخرى في العديد من المناطق المسيحية أو تلك المتحالفة معها^(١١)، ومن معابده معبد (معرم)، نقش : (الغول - للمساجد)^(١٢).

الإله (عم) :

المعبود الرسمي للدولة القتبانية، والاسم (عم) من أسماء القرابة ؛ أطلق على هذا الإله كذلك لتقريبه من الناس، فهو بمنزلة العم .. ومن خلال النقوش القتبانية نستطيع أن نتعرف على الأهمية التي احتلها هذا المعبود، فالعاصمة (تمنع) كانت تسمى "مدينة قبائل عم"، وأهل قتبان يسمون بـ "ولاد عم"، وملك قتبان يسمى (كبير أولاد عم).

وكثيراً ما كان الاسم (عم) يدخل في الأعلام المركبة عند القتبانيين. وكان القتبانيون يتقربون إليه بتقديم القرابين له حمداً وشكراً، ويقومون بالمنشآت بعونه، كما أقاموا له المعابد في المناطق القتبانية، وأهم معبد يسمى (البخ) الذي أنشئ جنوب غرب مدينة (تمنع)، وله معبد يسمى (ظرن) في منطقة (لمعادية) جنوب (تمنع) ومعابد أخرى^(١٣).

وكانوا ينعنون الإله (عم) بـ (رعيان). و(سحرم)^(١٤) كما رلحوا يرمزون إليه بشكل هلال وبداخله دائرة - كرمز للتزاوج المقدس بين القمر والشمس في اعتقاد قدماء اليمنيين - ويشار إليه بحرف المسمند (٢) وهو حرف (الهاء) رمز البرق ؛ للدلالة على ارتباط الإله (عم) بالري، كما يرمز إليه أيضاً برؤوس الثيران للدلالة على القوة والتناسل، أما قرونها فهي رمز الهلال^(١٥).

الإله ود :

وهو الإله الأكبر والأساسي في الجوف، وكان هذا الإله (ود) يعبد في لرض (مأذن) شمال صنعاء، وفي لرض سهمان، وكذلك في دولة لوسان. لما في نطاق سبأ فقد عثر على نقش يعود إلى عهد المكارية ؛ وهو يشير إلى الإله (ود)، ناهيك عن أن له معبد صغير في بيت (دغيش)، وفي شعوب شمال صنعاء^(١٦).

جاءت تسمية الإله (ود) من المودة والحب، ويرمز له بحرف المسمند (٢) الهاء، كسابقة، كما يرمز له بشكل ثعبان، أو ثور، أو وعل.

وتشير النقوش المعينية إلى أن المعينيين ينشئون عبادة (ودم أيم) أي (ود الأب) - بشكل خاص - على التعاويذ التي يحملها بعضهم لغرض الحماية،^(١٧) وينفس للطريقة ولنفس الغرض كانت تنقش صور الثعابين. كما يدخل اسم الإله (ود) في الأعلام المركبة.^(١٨) ومن نوعه (القمر) أو (شهران).

ويستدل من النقوش التي وجدت في تلك المعابد بأن أصحابها كانوا يتقربون إليه بقرابين بغية حصولهم على الحماية والسلامة لهم ولتمتلكاتهم العامة والخاصة، وتحقيق ما يرجون منه : كمَنحهم أولاد ذكورا سالمين ..

وتنجم النقوش بإشارات إلى عبادة المعنيين للإله (ود) أينما استوطنوا، فقد عثر على كتابات تذكر الإله (ود) في مدينة العلا (بدان) شمال الحجاز، ووسط شبه الجزيرة العربية، وفي منطقة الجيزة في مصر. وفي جزيرة (ديلوس) اليونانية - في بحر (إيجيه) - عثر على نقش سجل على مذبح اسطواني يتضمن إهداء بالخططين المعيني واليوناني للإله (ود) (RES 3570).

أما الأوسانيون فنجدهم يعبدون نفس الإله، فقد أطلق على ملوكهم ابن (ود)، ومنهم الملك (يهصدق إل فرعم شرح عثت). وكان للإله (ود) في أوسان موضع يسمى (نعمن) أي (نعمان)، تنم فيه للقرابين وتقام فيه الطقوس الدينية الأخرى (19). أما في اليهود الأكثر فلما قد كان الأوسانيون يعبدون إله يسمى (بلو)، "بلو إل لوسن" أي بلو إله لوسان (20).

وقد أشار للقرآن الكريم إلى الإله (ود) ذكرا إياه مع أربعة معبودات أخرى ؛ مما كان يعبدها كثير من العرب قديما في الجاهلية، وتلك هي : (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونمر) .. وذلك في قوله تعالى من سورة (نوح) : "وقالوا ولا تسخرن للهتكم، ولا تخرن ودا، ولا سواعا، ولا يغوث، ويعوق، ونسرا" (نوح 71 / 23). وواضح أن هذه الأسماء بعينها الواردة في الآية إنما تطابق تماما أللهة كانت تعبد لدى قنماء الليمانيين، إذ هي مما ورد ذكرها في النقوش القديمة. وهذا يدلنا على أن عبادتها عند سكان وسط الجزيرة العربية إنما هو من تأثير عرب الجنوب. - الإله (سين لوسيان) :

وهو الإله الرسمي لحضرموت، فلفظ (س ي ن) سبق أن أطلقه الأكاديون والبابليون على معبود هم الذي تخیلوه معنيا بالقمر أيضا، وهذا يعني أن هذا الاسم سامي قديم واسع الانتشار.

وكانت معابد الإله (سين) قد انتشرت في كل المناطق الحضرمية، وكان كل معبد منها يعرف في كل منطقة باسم محلي ؛ ففي (شبوثة) العاصمة الملكية كان يسمى معبد الإله سين (اليم) ؛ فلقب هذا الإله عندئذ بـ (سين نو اليم)، أما في (باطقة) - منطقة بولادي حضرموت - فيسمى معبد الإله سين بـ (حلسم)، ولهذا عرف الإله بـ (سين نو حلسم)، وفي (حريضة) - المنقطة الواقعة على وادي (عمد) أحد الفروع الجنوبية لولادي حضرموت - فيسمى الإله (سين نو مضيم) نسبة لاسم المعبد (21).

وكانت عبادة هذا الإله قد امتدت إلى ظفار (عُمان) التي كانت جزءاً لا يتجزأ من دولة حضرموت، وما يؤكد هذا أنه عثر على آثار لعبادته في موقع (خور روري) الساحلي الذي كان يطلق عليه - وفقاً للنقوش القديمة - اسم (سمهرم).⁽²²⁾
- الإله (تألب ريام) :

إله خاص بقبيلة همدان، كانت عبادته تنتشر في نطلق إقليم اتحاد قبائل سمعي، فتمتة نقوش عدة تتحدث عن هذا الإله (تألب ريام) وأهميته المقمنة بين تلك القبائل ؛ إذ عبد في مدن : حاز، وناعط، وشبام الغرلس، وكناظ، وبيت دغيش، وريام، وأتوه...⁽²³⁾ أما تفسير كلمة (تألب) فتعني للوعل، ومعروف أن للوعل كان من الحيوانات المقمنة عند عرب الجنوب.

ذكرت النقوش أسماء عدد من معابد الإله (تألب ريام) التي ترتبط في الغالب بالمواقع والمدن التي توافرت فيها، مثال : تألب ريام بعل رحبن، أي (سيد رحاب)، (RES 4190)، و ، تألب ريام بعل ترعت ،، أي (سيد ترعت)، (GL 1228) وتألب ريام بعل ذ مرمر (سيد ذي مرمر) (جربيني 50).

كما ذكرت النقوش آلهة أخرى يقرن اسمها باسم الإله (تألب ريام) هي الآلهة (نوشم) ؛ مما يوحي بأنها قرينته⁽²⁴⁾.
(3) إله الزهرة (عثر) :

هو الإله الأكبر الذي عبده كل الشعوب السلمية في جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية، تحت اسم واحد، وإن اختلفت كتابته، فنجدته يكتب (عثر) أو (أثر) في الأقاليم الشمالية، و(عثر) أو (عث) في الأقاليم الجنوبية. ويرى بعض العلماء أن عبادته كانت قد انتقلت من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمالها ؛ استناداً إلى تعليل لغوي ؛ في اليمن القديم ينطق (عثر) بالعين والهاء للذين فقدوا عند البابليين والأموريين، فتحولت (العين) إلى (همزة)، و(الهاء) إلى (الشين)، وبما أن (العين) و(الهاء) هما الأقدم. فإن الصورة الأصلية لذلك اللفظ وجدت في جنوب شبه الجزيرة، ثم انتقلت إلى المناطق الشمالية بيد أننا نجده مذكراً عند عرب الجنوب، ومؤنثاً عند عرب الشمال⁽²⁵⁾.

ومن الملاحظ أن الاسم (عثر) إما كان يرد على السنة عرب الجنوب - في بعض الأحيان - مرخماً على حرفين : (عث)، بحيث كانوا يكتبونه بحرفي العين والهاء فقط، حافظين منه الحرفين الأخيرين، وهما : التاء والراء، وذلك وفقاً لقاعدة الترخيم عند العرب عموماً ؛ لأن في الحذف ترخيماً، وفي الترخيم تخفيف على اللسان، واقتصاد في النطق، واستلطاف وتكدير للمسمى ...⁽²⁶⁾ كما هو مفهوم من قول الشاعر (عقبة بن غيلان) صاحب مئة ؛ حينما وصف منطقها بذلك قتلاً :

لها بشر مثل الحرير ومنطق • رحيب الحواشي لا هراء ولا نزر
 وإنما يرحم أحبا هذا الاسم - أعني : عثر - على (عثر) أو (عث) عند
 اليمينيين القدماء ؛ إذا جاء مركباً مع أحد أسماء الإعلام الشائعة آنذاك، من نحو
 قولهم - على سبيل المثال - : "توعم شرح عثر"، وما إليه من مركبات الإعلام
 التي تعرف وهي على هذا النحو من التركيب بالأسماء المركبة. (27) وغالباً ما كان
 يدخل اسم الإله (عثر) في كثير من أسماء الإعلام المركبة - من نحو : (أوس
 عثر)، و(لحي عثر)، وغيرهما - تبركاً وتيمناً به.
 ونرى في بداية النقوش ونهايتها أنه يرمز إلى الإله (عثر) بحرف (٣)،
 وهو حرف الهاء، ناهيك عما كانوا يرمزون إليه به من : نجمة، أو طفل، (28) أو
 كف إنسان..

وكان من معتقداتهم - كما يبدو من خلال النقوش المختلفة - أن للإله (عثر)
 تأثيراً على الأنواء الجوية ؛ من : رعد، ومطر، وعواصف عموماً، ومن ثم على
 الري والخصوبة، والسمناء الزراعي كذلك .. إذ نرى أحد النقوش - وهو (نقش
 فخري 71) - يروي لنا أن أحد ملوك سبأ راح يهدي نذراً لهذا الإله ؛ لأنه أنعم
 على الأراضي لمملكة في مدينة (مارب) بمطر الربيع. (29)
 وتلك النقوش - إذن - إنما تؤكد هذا الاعتقاد لديهم، وهو ما نستشفه بوضوح
 من أسلوب التضرع لهذا الإله ؛ لكيما يحميهم، ويحمي ممتلكاتهم، وقبورهم ؛
 كما كانوا يدعون باسمه للانتقام من منتهكي القبور، ويقدمون له الترابين حداً
 ووفاء لما كان يتحقق لهم من أمنيات تمتوها، إضافة إلى ما كانوا يوقنون له من
 الأراضي الزراعية، وغيرها من الأوقاف الجزيلة.

وثمة إلهة أخرى كان يرد ذكرها مع (عثر) في الدعاء والتقرب، منها :
 الإلهة (هوبس)، والآلهة (نورو)، وهذه التسمية الأخيرة - لآتي هي بمعنى :
 "الضوء" أو "الفجر" - غالباً ما كانت تظهر بعد الإله (عثر) ؛ إذ لعلها تسمية
 لقرينته، (CIH 459)، ثم تأتي الآلهة (سحر) التي يرد ذكرها أيضاً بعد الإله
 (عثر)، ويرمز لها بالأقمة، و(سحر) هنا يعني : "الفجر"، وهو إنما يشير إلى
 الوقت السابق لبزوغ الفجر مباشرة، أو هو - إن شئت - بمعنى : "شفق الصباح"
 أو "شفق الصباح"، أو هو بمعنى لقي : "غيش الصباح". وكذا كان حال الإله
 "كوكون" أو "كاكوان" الذي يأتي ذكره بعد (عثر)، أما اسمه - كما نرى إنما هو
 قريب من لفظ (كوكب) الذي هو بمعنى : "نجم" إنما يدلنا على أنه كان إلهاً فلكياً .. (30)
 ولإله (عثر) كثير من الألقاب والأوصاف التي كانوا يلقبونه ويصفونه بها، فمن
 لقابه لديهم - على سبيل المثال : - (عثر شرقن) ؛ أي : "الشارق" الذي يطلع
 من الشرق، و(عثر غرين) ؛ أي : "عثر الغروب" ؛ ومعناه : نجمة الغروب (31).

الاستدلال على وحدانية الله جل شأنه : "... فما رأى للشمس بلزغة ؛ قال : هذا ربي، هذا لكبر. فلما ألفت ؛ قال : يا قوم إني برئ مما تشركون ..." (سورة الأنعام 6 / 78)، وغيرها.

وكان نصب "الشمس" لو صنم ألوهيتها عند عرب الجاهلية من المعبودات التي تسمى بها عدد من الأشخاص ممن عرف بـ (عبد شمس)، "وذلك في إطار ما كانوا يتسمون به من أسماء الأعلام المركبة التي نحوها فيها - مع ألهمت المتعددة، ومعبوداتهم المختلفة الأخرى - المنحى عنه، كما يبدو واضحاً من نحو : (عبد يفتوت)، و(عبد يعوق)، و(عبد العزى)، و(عبد اللات)، و(عبد منات) ... وغير ذلك".

لما أهم معبد للألهة (الشمس) في اليمن القديم ؛ فهو المعبد المعروف بمعبد (المسسال) لكائن ضمن أطلال مدينة (وعلان) الأثلية، وبين خرائبها، تلك المدينة التي كانت عاصمة (رحمان) قديماً، كان يطلق عليها (عليت) ؛ أي : العالية⁽³³⁾. وثمة معبد آخر لهذه الآلهة "الشمس" عثر على آثاره في همدان، وخاصة في منطقة (حقة) الواقعة شمال صنعاء.

ولفظ (الشمس) - سواء كان عندهم دالاً على ما هو معروف من جرم الكوكب الضخم الذي يضيء نهاراً ؛ أم على واحد من معبوداتهم المتعددة آنذاك - إنما هو اسم مؤنث عند اليمنيين الأكرمين وعموم عرب شبه الجزيرة، بينما كان يذكّره ساميون الشمال ؛ من الذين كانوا يقطنون أقاليم الهلال الخصيب (الشام وبلاد الرافدين)، ولأنّ الاختلاف - في التعامل مع (الشمس) تذكيراً وتأييلاً - بين الساميين في تلك الموطن، وانعكاسهم للعرب في جزيرتهم ؛ إنما يعود إلى طبيعة البيئة الخاصة بهذا الموطن أو ذلك، وتأثيرات عواملها في هذه اللغة البشرية لو تلك ؛ لأنّ كل لغة من اللغات الإنسانية إنما تخضع لوقائع العوامل البيئية في موطنها، وهي عوامل متنوعة : طبيعية، واجتماعية، وحضارية، وثقافية ... فتستمد اللغة أحكامها التعبيرية، وخصائصها الدلالية من هذه العوامل مجتمعة. وعلى هذا فإنّ ما صاد من الظروف البيئية المتنوعة - التي خضعت لتأثيراتها العربية الجنوبية والشمالية من ناحية، واللغات السامية الأخرى من ناحية أخرى - إنما هي تختلف إلى حدّ كبير فيما كانت عليه في موطن الساميين الشمالي (الهلال الخصيب) ؛ عفاً هي عليه فعلاً في أقاليم شبه الجزيرة العربية عموماً، ولعل تذكير الشمس لدى سامي الشمال - فيما نرى أيضاً، إضافة إلى تأثيرات العوامل البيئية لديهم - إنما كان من تأثير قريبهم بالآريين، ومن ثمّ تأثرهم باللغات الهندية الأوروبية التي عادةً ما تذكر الشمس وتؤنث القمر، على عكس ما هو حاصل في العربيّتين : الجنوبية والشمالية... فالاستعمالات اللغوية، وكل ما يصحب اسم

(الشمس) - في سياق التعبير - من وسائل وعلامات التانيث، لو أدوت تشير إلى نوع المسمى أو جنسه في العربية الجنوبية، إنما تدل بوضوح - كما هو الحال في العربية الشمالية تماماً - على أن الشمس مؤنثة عند اليمينيين القدماء⁽³⁴⁾، ومن تلك الوسائل - علي سبيل المثال : -

أ - لثهم كانوا يشيرون إلى الشمس بلفظ الإشارة (ذات) الدال على التانيث ؛ من نحو قول السبئيين : (ذات حميم)، و(حميم) هنا إنما تعني عندهم : الحرارة الشديدة، أو الحر الشديد، وقول القتيبيين : "ذات بعدن"، أي البعيدة، ذات البعد.
ب - أنهم كانوا يستخدمون للدلالة على تأنيثها لفظ الكنية المؤنث بالوضع (الم / لثم) : من نحو قولهم : "لم لات"، وهذا ما يبرزه لنا نقش كان قد دون على صحيفة من البرونز، حيث يروي هذا النقش : "لن صاحبه قتم قرباناً للإلهة (الم لات) ؛ لتحقيق السلامة لمولاه يزلن"⁽³⁵⁾.

وكانت أسماء (الشمس) ولوصافها عند قدماء اليمينيين قد تعددت تبعاً لتعدد واختلاف المناطق اليمينية لذلك، فالنصوص المعينية تذكرها باسم (نكرح)، ولعله هو الاسم (ننكر شو) عينه الذي كان يطلق على إله "اللوركا" السومري والبابلي؛ وكان السبئيون - كما ذكرنا آنفاً - يصفونها بـ (ذات حميم)، وعلى غرارهم كان القتيبيون يصفونها تارة بـ (ذات بعدن)، وتارة أخرى يسمونها (لث رت)، بمعنى : المتوجهة، أو ذات التوجه.

وفي وقت متأخر من العهود السالفة التالية شرعوا يذكرونها بالاسم المعروف الدال عليها مباشرة، وهو لفظ (الشمس) (Ja 268,354)، الذي عدا فيما بعد اسماً شائعاً ومألوفاً لدى العرب جميعاً وكان ثمة من القائل عند ذلك من اعتبرها معبوداً إلهياً خاصاً به ؛ فقيل بذلك إنها : "شمسهم"، بصيغة الإفراد تارة، أو قيل - بصيغة جمع التكسير - (شموسهم) تارة أخرى ؟! ولعلهم كانوا يعنون بهذا الجمع معنى : (الضياء) المدلول عليه بقوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء ...) (سورة يونس 5 / 10)، أو بمعنى (الشعاع أو الأشعة) الصادرة عن الشمس ؛ لأن الشمس - كعين بذاتها، أو كجرم سماوي لكوكب بعينه - إنما هي واحدة في الكون والوجود لا ثاني لها من جنسها البتة.

وكانوا أيضاً يرمزون إلى الشمس برموز شتى، فمنهم من رمز إليها بالنسر ؛ لمسا له من سيادة وهيمنة، و(قوة وشموخ) .. وكان الحصان كذلك يمثل حيوانها المقدس ؛ فينوب عن الإلهة (الشمس)⁽³⁶⁾، ومن ثم يرمز به إليها.
(5) الإله (ذي سموي) أو ذو سماوي :

ورد اسم الإله (ذي سموي) في العديد من النقوش ومنها النقش CIH (972)، و (RES 3247) .. وفي النصوص المعينية يمكن للمرء أن يرى بوضوح

رمز هذا الإله على شكل "ضربة الباب" ؛ كما هو حاصل في ثلاثة من نقوشها⁽³⁷⁾ وكانت عبادة هذا الإله قد شاعت كثيراً لدى قبيلة (المرم)⁽³⁸⁾ أي : أمير، فعرف لذلك بأنه إلهها ومعبودها الأمل، بيد أنه عبد أيضاً في إقليم الجوف عموماً وخاصة في منطقة (هرم)⁽³⁹⁾.

وقد اجتهد العديد من العلماء المتخصصين في تفسير ما يدل عليه الاسم (ذي سموي) من معنى ؛ فذهبوا إلى أنه يعني : (إله السماء)، لو "أنه يشير إلى الإله (صاحب السماء) ؛ لأن كلمة (ذي ، لو ذو، لو ذا) - وفقاً لسياق استعمالها - تعني : (صاحب) فيما تعنيه في العربية، وعليه يكون التركيب الإضافي في الاسم (ذي سموي) كناية عن الذات الإلهية العليا. حيث إتهم استنتجوا من هذه التسمية - وهي على هذا النحو من التركيب اللغوي - أن عبادة الإله (ذي سموي) عند اليمانيين الأقدمين إنما كانت قد ظهرت مع بداية ابتلاج فكرة التوحيد.

والواقع أن الاسم (ذي سموي)، كان قد عرفه اليمانيون القدماء، واستعملوه بما يدل عليه من معنى "الوحدانية" في فترة متقدمة هي أبعد زمناً في قديمها من زمان ظهور الديانات السماوية التوحيدية، وهذا يؤيده إثباتاً ما توافر لدينا واطلعنا عليه من النصوص النقشية، ومن ذلك :

أ - ما عثر عليه في منطقة همدان من نقوش، تروي نصوصها أن أصحابها إنما راحوا - من خلالها - يتقربون إلى الإله "ذي سموي" ... وكان تكوين هذه النصوص قد تزامن مع تكوين نصوص نثرية أخرى وهبت للإله (تألب ريام) الخاص بهمدان، وذلك في فترة لم تكن عقيدة التوحيد قد ظهرت بعد أو انتشرت في الأصقاع المترامية الأخرى، لو أن ملامح فكرتها - على الأقل - لم تكن قد عرفت في الأفاق البعيدة.

ب - ذلك النقش المدون على لوحة برونزية صغيرة ؛ عثر عليها في موضع (هجر بن حميد) الواقع نطاق دولة قتبان، ومن دراسة وتحليل ما تحويه هذه اللوحة من نص نقشي ؛ اتضح أنها كانت قد صنعت في حوالي القرن الأول الميلادي،⁽⁴⁰⁾ أي قبل أن تظهر الديانات التوحيدية السماوية في اليمن بثلاثة قرون.

ج - ذلك النقش الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي، وتبين من نصه عند العثور عليه أنه كان قد دون في عهد الملك الحميري (شمر بهمد)، إذ ينص النقش عنه على أن كليب بها من عامل شمر بهمد بذئ معافر الأشاعر... شيد وأقام معبد الإله (ذي سموي) إله (أمير) بالبرحة⁽⁴¹⁾ المسماة للصيرت الكائنة تحسب مدينة (السوا)، فليتعهد الإله (ذي سموي) إله (أمير) بالسلامة وللنجاة والحماية لكليب وبهمن وقبيلة دي معافر سادة القصر شبعان⁽⁴²⁾.

وهناك من المؤرخين من يرى أن الإله (ذي سموي) إنما يناظره في الدلالة الإله (بعل شميم) عند عرب الشمال، فيعني هو الآخر لديهم بأنه : "إله السماء" أو "سيد السماء" (44).

وثمة في - المقابل - إله آخر نكر مع الإله (ذي سموي) بضاده في التسمية دلالياً، وذلك هو الإله (ذو أنيت) الذي لعله يعني "إله الظلام" فهذا للمعنى إنما يتناقض تماماً مع ما يوحي به الاسم (سموي) من دلالة على النور والهدى والرفعة والسمو المتفرد ... ؛ لأن الأصل فيما يعنيه الاسم (أنى) في العربية الجنوبية هو : (منتصف الليل) الذي عادة ما تكون فيه عتمة حلكة ؛ يفقد معها للوضوح في الرؤية تماماً .
(6) آلهة محلية (مناطقية) :

أنصب حديثنا أنفاً عن أبرز الآلهة القومية الرئيسية في اليمن القديم، وهذا نتى إلى الحديث عما كان إلى جانبها من آلهة محلية مدنية أخرى، إذ لا ريب في أن ثمة فرقاً بين هذه وتلك - :

فالآلهة الوطنية الرئيسية هي التي كان سلطان عبادتها يتعدى موطنها الأصلية، ومراكزها الأساسية الأولى ؛ ليصل إلى مناطق أخرى عديدة لبعدها منها . وكان من بين تلك الآلهة القومية ما هو مؤنث أيضاً ؛ يدخل في نطاق (الآلهات)، كما مر بنا، وذلك من نحو على سبيل المثال - :
- الإلهة (هويس) أو (هيس) :

غالباً ما يرد اسمها في النصوص النقشية بعد ذكر الإله (عثر) مباشرة، ولعل هذا الأسلوب يدلنا على أنها كانت تمثل قرينته. غير أننا نرى في بعض النصوص من صيغ التوسل في منولها الديني - أن الآلهة الثلاثة : أنما هي بمثابة وحدة إلهية متكاملة، كما يفيد النص النقشي للقاتل : "لما أنعمت به الآلهة وستعم على أنمار، وبني غيمان ... بحق عثر وهويس والمقه ... وبحق ذات حميم ... وبحق ذات بعدن" (45). ومن المناطق التي كانت تعبد فيها الآلهة (هويس) منطقاً : (ريدة) للواقعة شمال صنعاء، و(شباب الغراس) شرق صنعاء (46) ولما لهذه الآلهة من مكانة مرموقة عند السبئيين ؛ راحوا ينقلونها مع إلههم القومي (المقه) إلى الهضبة الأرتيرية (47).

لما الآلهة المحلية أو المناطقية : فهي التي لم تكن عبادتها لتتجاوز نطاق أماكن وجودها أصلاً، إذ كان كل منها إلهاً خاصاً بمنطقة محددة بعينها، أي أن الولد منها كان يستأثر بعبادته معبد معين بعينه، أو أن عبادته كانت تقتصر على أهالي موضع محدد بعينه أو مدينة بعينها. ومن هذه الآلهة المحلية ما يلي :

- الإلهة (سمع) أو (سميع) :

يطالعنا نكر هذا الإله في أكثر من نقش أو نص نقشي، فالنقش (RES 4983/2) راح يوثق لمنطقة عبادته ؛ حيث كان يعبد في وادي (رغوان) من إقليم الجوف، وخاصة في موضع (جنفير بن منخير) على وجه التحديد،⁽⁴⁸⁾ وعلى النحو نفسه راح النقش (إرياني 49) - الموسوم بنقش بيت ضبعان - هو الآخر ينوه بنكره.⁽⁴⁹⁾ أما للنقش (إرياني 14) فقد أورد ذكره مباشرة بعد الإله (علم) أو (عليم) ؛ مقرونين معاً بالهة قومية أخرى مما كان لها شهرة، وشأن عظيم لدى عبادها، وذلك في سياق صيغة من صيغ التوسل والتضرع المألوفة، حيث ينص النقش قائلًا : "بحق عثر وهوبسن والمقه وعليم وسميع ... وبحق ذات بعدان، وبحق شمس الملك تتوف ..."⁽⁵⁰⁾

- الإله (نكرج) "الشمس عند المعننين" :

عثر على ثمار الإله (نكرج) في (درب الصبي) بأنحاء (براقش) من إقليم الجوف، (RES 2980)، وتفيد النقوش أنه كانت تقام لهذا الإله المراسيم القدسية مع الإله (ود) في معبد معيني كائن في منطقة (ددان) للعلا الواقعة شمال الحجاز. (RES 3696)، ناهيك عن أن ذكره كان قد ورد أيضًا مع الإله (أنبي) - الذي سيعقب الحديث عنه مباشرة - وذلك كما هو منصوص عليه في أحد النقوش على النحو الآتي : ... أنبي ونكرحم...⁽⁵¹⁾

- الإله (أنبي) :

عادة ما يذكر هذا الإله في النقوش بلفظ (شيمن) أي : "الراعي" (Ry 3692/1)⁽⁵²⁾ أما ما تعنيه كلمة (أنبي) فهو : الموحى أو المتحدث. وكان القبتانيون قد عبدوا هذا الإله قديمًا-

- الإلهة (حوكم) :

تبرز النقوش القبتانية ما كان هناك من علاقة حميمة بين الآلهة (حوكم) والإله (أنبي) ؛ إلى درجة أنها تكاد تكون هي قرينته فعلاً... وتشير هذه النقوش عيناها إلى أن (حوكم) ، أي الحكمة هي ابنة الإله (عم). ومما يثير الانتباه أنهم كانوا يعتبرون ملك قبتان بأنه الابن الأكبر لـ (حوكم) و(أنبي)، ولذلك كان دائماً ما يطلق عليه ذلك ويدعى به⁽⁵³⁾.

-الإلهة (منضج) أو مناضح :

في العربية الجنوبية نلاحظ أن (منضج) - أو مناضح - هو جمع (منضحت)، وهو اسم لعدة إلهات ذوات صلة بلاري، ولعل هذا يدلنا على أن الآلهة (منضج)

كانت له مصادر المياه والأراضي للزراعة،⁽⁵⁴⁾ وكانت هذه الآلهة خاصة بقبيلة بني بضع⁽⁵⁵⁾.

- الإلهة (توشم) :

ورد ذكر هذه الآلهة في العديد من النصوص النقشية،⁽⁵⁶⁾ إذ كانت تعبد في مناطق : (ريام)، و(صرواح)، و(لثوه)، و(ناعط) .. ناهيك عن أنها كانت قرينة للإله (تالب ريام) إله همدان.

- الإله (قنين) :

ليس لدينا من معلومات عن هذا الإله سوى ما جاء في نقشي : (RES 4648)، و(نلسي 32 ، 49) من أنه كان يعبد في منطقتي : (شباب الغراس)، و(ناعط)⁽⁵⁷⁾.

- الإله (حلف) أو "حلفان" :

من السهل أن ندرك بأن اسم هذا الإله جاء من لفظ الفعل (حلف) بمعنى : قسم اليمين، وما نعرفه عنه أن معبده يقع في مدينة (هرم) من إقليم الجوف⁽⁵⁸⁾.

- الإله (رمن) :

لم نعرف شيئاً عن هذا الإله سوى أن ذكره ورد في نقش عثر عليه في (شبلم كوكبان) (CIH 140)⁽⁵⁹⁾.

- الإله (الوزعان) :

لم يكن ليُعرف هذا الإله إلا برفقة الإله (عتر)، ولعل الاسم (الوزعان)، كان أحد نعوت هذا الأخير. وعلى أية حال فقد كان يبعد في مناطق : (عجيب)، و(عمران)، و(شباب كوكبان)⁽⁶⁰⁾.

- الإله (نسر) :

مررنا فيما سبق أن للقرآن الكريم إشار إلى هذا الإله مع آلهة أخرى كن يعبدها في الجاهلية عرب الجزيرة العربية الأحمون، وهي : (ود، ويغوث، ويعوق، ثم نسر) وكان الإله (نسر) قد عبد لدى عرب الجنوب في منطقة (ناعط)، (CIH 189/1) وكان أيضاً يعبد مع الإله (عتر) في بلاد همدان، (GI 1208)، كما هو منصوص عليه أيضاً في نقش (RES 725/2) على نحو : (... عتر ونسر ...). وإذا كان من مصادر معرفتنا بهذا الإله عند سكان جنوب شبه الجزيرة العربية هي النقوش، فإن معرفتنا به لدى سكان وسطها تكون كذلك من خلال بعض تلك النقوش أيضاً⁽⁶¹⁾.

وكما كان للعديد من الآلهة الأساسية المشهورة الوطنية أو القومية لسماء من مركبات الأعلام - كما مررنا سابقاً - فإن ثمة العديد من الآلهة المحلية (نكوراً أو إنثى) تكون لسموها هي الأخرى من مركبات الأعلام أيضاً منها - على سبيل

المثال لا الحصر - ما يبدأ جزء مركبه لاسي الأول بلفظة (متب) التي هي بمعنى : "نجز لو حقق"، وذلك من نحو : اسم الآلهة (متب طين) التي كانت تعبد في منطقة (هرم) من إقليم الجوف،⁽⁶²⁾ ومما لا شك فيه - كما يبدو واضحا - أن هذه الآلهة هي من الآلهات المحلية التي كان يعزى إليها أنها تحمي الغلال والأراضي الزراعية.

ومما سبق من حديث عن الآلهة في اليمن للتقديم يمكن أن نستخلص أمرين مترابطين :

أولهما : أننا نلاحظ مما كان يطلق على الآلهة من أسماء، وما يضاف عليها من القباب ونعوت لو لوصاف ؛ أن الآلهة عندهم عادة ما تكون في الأساس هي : الأب والعنم، فكانت توصف بالمحب، والسميع، والحكيم ... وهذه الأوصاف إنما كانت تدبر عن مدى الاعتقاد الراسخ بهذه الآلهة لدى اليمنيين الأقدمين، وما كان لها من إجلال وتقديس عظيمين في وجدانهم.

وثانيهما : أن اليمنيين القدماء كانوا يرون أن للآلهة تأثيرا مباشرا على مجريات حياتهم، ولذلك كان المؤمن منهم يتقرب إليها لطلب الحماية والنجاة والشفاء ... فثمة نقش معيني - هو نقش (RES 2975) - يروي لنا أن صاحبه راح فيه يتوسل بكل آلهة معين ويث (براقش)، وكل الآلهة الوطنية والحليفة، وكل آلهة البحر والأرض المزروعة، والشرق والغرب... يتوسل إليهم أن ينجوه من كل شر، وأن يحفظوه من كل مكروه.

ثانياً : المعابد : لأجزاءها، ومحتوياتها، ومولدها :

كان للمعبد - في إطار المؤسسة الدينية - وظيفة قدسية ذات شأن عظيم في بنية المجتمع اليمني القديم، إذ كان لكل منطقة وقبيلة معابدها الخاصة بها .. وكانت منشآت تلك المعابد تبنى داخل المدن وخارج أسوارها. ولا ريب في أن المعبد راح مع الأيام يتطور في بنائه وتصميمه الهندسي، حتى غدا موضعاً مقدساً رسمياً ذا هيبة ورهبة ؛ يؤمه الناس للعبادة، وإقامة الشعائر الدينية، وتقديم الهبات والتقربين للمعبودات..

ولذلك كان قد أطلق على المعبد اليمني قديماً - كما جاء في النقوش - الاسم (حرم) لو (محرم) ؛ الذي هو بمعنى "المقدس" (RES 3266)، (Ry 4176/7).

وقد ورث العرب جميعاً - في جزيرتهم فيما بعد - هذا الاسم من قدماء اليمنيين ؛ حتى غدا - في العصور المتأخرة والمتلاحقة، وفي كنف الإسلام بالذات - وصفاً يلزم أماكن العبادة المشهورة، ويطلق على الرحاب الإسلامية المقدسة، وعلى أربعة أشهر بعينها من السنة الهجرية .. فهذا التنزيل للكرام يطلق على مكة المكرمة وما حولها (حرمًا) ؛ وذلك في قوله تعالى : (... لو لم نمكن لهم حرماً

أسماء : بجسبي البسبه ثمرات كل شجرة رزقا من لنا ولكن تكفروهم لا يطمعون (القصص : 28 / 57)، وقوله تعالى : (لو لم يروا لنا جعلنا حرمًا آمنًا، ويتخلف الناس من حولهم ١٢...) (الأنكبوت : 29 / 67) - ويصف للكعبة المشرفة تارة بـ (البيت الحرام) لو (المحرم) ؛ كما في قوله تعالى : (جعل الله للكعبة البيت الحرام قيامًا للناس، والشهر الحرام، والهدى، والقبلة ؛ فلك تطمئنون أن الله يطمم ما في السموات وما في الأرض إن الله بكل شيء عليم.) (المائدة : 5 / 97)، وقوله تعالى على لسان نبيه (إبراهيم) عليه السلام : (ربنا قبي نسكنت من نريسي بولع خبير ذي زرع عند بيتك المحرم...) (إبراهيم : 14 / 37)، وتارة بوصفها مع الحرم المكي عمومًا بـ (المسجد الحرام) كما هو في قوله تعالى من (سورة البقرة : 144/2) : (قد نرى تقلب وجهك في السماء ؛ فننولئك قبله ترضاه، قول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره...)، وفي الآيات : (149، و150، و191، و196) في السورة عينها، كما نرى ذلك في الآية (2) من سورة المائدة، والآية (34) من سورة الأنفال، والآيات : (7، و19، و28) من سورة التوبة، والآية (1) من سورة الإسراء، والآية (25) من سورة الحج، والآيتين : (25، و27) من سورة الفتح.

ونرى الكتاب الكريم يصف منطقة (المزدلفة) كلها - لكثنته بمكة المكرمة - لو جبل فرج فيها بـ (المشعر الحرام)، وذلك في قوله تعالى : (... فإذا انقضى من عرفات فأتوا الله عند المشعر الحرام ...) (البقرة : 2 / 198). لما الأشهر الهجرية الأربعة، وهي : (محرم، رجب، ذو القعدة، وذو الحجة)، فمرة يطلق عليها وصف (أربعة حرم) في قوله تعالى : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ؛ منها أربعة 'حرم، ذلك للذين القيم ...) (التوبة : 9 / 36)، ومرة ثانية يصفها بـ (الأشهر الحرام) في قوله تعالى : (فإذا تسليخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...) (التوبة : 5 / 9)، وتارة أخرى، يطلق عليها الوصف مفردًا (الشهر الحرام) ؛ ليشملها جميعًا، وذلك في ثلاث آيات ؛ فثنتان منها في سورة البقرة، إحداهما هي قوله تعالى : (الشهر الحرام بالشهر الحرام، والحرمات قصاص...) (الآية 194) وثانيهما هي قوله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام ؛ قتال فيه؟ قل : قتال فيه كبير، وصدد عن سبيل الله، وكفر به ...) (الآية 217)، لما ثلاثة فهي الآية رقم 97 من سورة المائدة ؛ وقد مر بنا ذكرها سلفًا.

ومن الملاحظ أن أحد هذه الأشهر الحرم الأربعة قد ظفر بالوصف عينه (محرم) ؛ ليكون اسمًا له وعلمًا عليه، وذلك هو الشهر الأول من السنة الهجرية،

وهذا مما يدلنا على ما يكون عليه هذا اللفظ من مفهوم جليل ومعاني سامية بما يوحى به من قسمة ورحمة لأحدث لها ؛ سواء أكان ذلك لدى اليمانيين الأقدمين أم عند العرب والمسلمين جميعاً على مدى العصور ومرور الأزمان⁽⁶³⁾.

وعلى أية حال كانت مواضع العبادة في البدائية - عند قدماء اليمانيين - بدائية بسيطة ؛ لم تكن لتتجاوز في طبيعتها الأماكن العادية المكشوفة والبرحة الخالية من البشر والسكنى ؛ حيث كانوا يعتقدون أن للمعبودات إنما تكون مستقرة ساكنة فيها، فهي إما موضع لنبع، أو صخرة، أو شجرة، أو ما شابه ذلك ... فاعتبرت المنطقة الواقعة حول ذلك الموضع برمتها موقعاً مقدماً تقام فيه الصلوات، وتجلب إليه العطايا والهبات .. ثم أخذ شكل موضع العبادة عنه يتطور تدريجياً مما هو عليه من حال بدائية بسيطة وعادية إلى حال أرقى حينما راحوا يشيدون جدراناً تحيط بموقعه المقدس عندهم. وكان هذا الشكل المتطور في بنائه نوعياً هو مما قسم به معبد الإله (المقه) في مدينة مارب. ثم راح بناء المعابد يتطور أكثر فأكثر حتى أصبح أشد تركيماً، وأجمل تشييداً، ولوفر جمالاً، كما استجابت هندسة البناء لمتطلبات الطقوس والشعائر الدينية المختلفة، إذ راحوا يقيمون الأعمدة الفخمة حتى صار المعبد في تصميمه البنائي وشكله الهندسي مربعا أو مستطيلاً، وإذا به يغدو في هيئته الفنية شكلاً معمارياً آخر في نهاية المطاف! ...

(1) أجزاء المعبد :

إن البقايا الأثرية من تلك المعابد، والتي حافظ عليها الزمن ؛ إنما تشير إلى مدى ما وصل إليه من رقي وعظمة الفن المعماري في مجال المنشآت الدينية المهيبة والضخمة لدى عرب الجنوب قديماً، فقد كشفت لنا بعض الآثار عن عدد من المعابد الفخمة والمتكاملة البناء بأسوارها، وأروقتها، وسلاسلها، ومحاربها، ومحافرها، وما لها من اتساع في باحاتها ومساحاتها ... وبالإضافة إلى ذلك تخبرنا النقوش عن جملة من المصطلحات الاسمية الخاصة بأجزاء المعبد وأقسامه للدخالية من نحو: (مختن)، و(صرح أو صرحت)، و(بيت)، و(مسال)، و(محراب)، و(منبج)، و(مطهر) .. فكل من هذه المصطلحات إنما كان يطلق على قسم بعينه من الأقسام المكونة للمعبد ؛ ليعبر عن الوظيفة الدينية التي يؤديها بها ضمنه هذا القسم أو ذلك في سياق ممارسة الشعائر والطقوس المختلفة، وذلك على نحو ما هو لتي : -

أ - (مختن) : هو الموضع الذي كان يمارس فيه نوع من الطقوس الدينية الاسمية في المعبد. و(مختن) على زنة (مقل) لسم مكان في اللسان العربي ؛ هو من الفعل : (ختن يختن ختناً وختناً) الذي اكتسب في مراحل تطوره عدة معان، ومن معانيه المشهورة في 'سلم التطور هو : أن (الختان) عملية تطهيرية ؛ يوجب على

لمسلمين إجراؤها على العضو الذكري للمواليد الأطفال، لو الصبيان قبل البلوغ أو الزواج ؛ لأن الفقه الإسلامي يوصي بأدائها ضمن فروض الطهارة وتطهير الجسد، وهذا مرتبط ارتباطاً جليلاً بشروط النظافة وممارسة شعائر العبادة وطقوسها في أن معنا .. ومن هنا ندرك العلاقة الوثيقة بين ما كان للكلمة من معنى قديم عند عرب الجنوب وما آلت إليه من مفهوم جديد في العربية والفقه الإسلامي .
 ب - (صرح) : وهو جزء مهم وأساسي من المعبد .. ولعله كان موضعاً واسعاً مهيباً يتصدر المعبد من الداخل، يجتمع فيه الناس لتلبية للشعائر الدينية بصورة جماعية ومهيبة، إذ يبدو من اسمه أنه مكان ذو لبهة وجمال ؛ مميز بوسوعه وارتفاعه، وعلو موضعه وارتفاعه عن غيره من أجزاء المعبد ؛ لأنّ الصرح هو المبنى العالي المصروح بالبلاط، والمزود بالزجاج والرخام .. وهو ما تكون عليه القصور والأبنية الترفيئة والأرستقراطية الضخمة والفخمة. ومن هنا ندرك أنّ كلمة (صرح) اكتسبت - في مراحل تطورها - معاني عدة ؛ منها :

1 - القصر أو مساحته. 2 - البناء المكشوف المشمخ في علوه.

وقد وردت الكلمة بهذين المعنيين في القرآن الكريم، فحملت المعنى الأول في قوله تعالى - من سورة النمل - عن ملكة سبا ونبي الله (الملك سليمان بن داود) عليه السلام : (قيل لها : ادخلي للصرح، فلما رآته حسبه لجة، وكشفت عن ساقيها، قال : إنه صرح مجرد من قوارير، قلت : ربي إني ظلمت نفسي، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (النمل : 27 / 44). وحملت المعنى الثاني في قوله تعالى من سورة غافر : (وقال فرعون : يا هامان ابن لي صرحاً ؛ لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات ؛ فأطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه كاذباً ...) (غافر : 36 / 40)، وفي قوله تعالى من سورة القصص كذل : (... فلو قد لي يا هامان على الطين، فاجعل لي صرحاً، لعلي أطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه من الكاذبين) (القصص : 28 / 38)، ولعلنا نلاحظ أنّ ثمة تقارباً كبيراً بين ما يكون عليه هذين المعنيين من دلالة للكلمة عندها، وما كانت عليه في مفهومها الأصلي عند عرب الجنوب القدماء.

ج- (بيت) : ويعني معبداً خاصاً بكنة المعبد، لو أنه مكان إقامة للكنة في المعبد. إذ لعله كان غرفة مهيبة واسعة، ذات نمط خاص ؛ أعدت للكنة المعبد فيه خصيصاً دون غيرهم من القائمين عليه ؛ لكيما يقومون فيها ويستقروا على الدوام، لذلك أطلق عليها (بيتاً) على سبيل المجاز المرسل ؛ من باب تسمية الجزء باسم الكل ؛ لأن المعبد كله هو بيت عبادة، وذلك لما كان عليه ذلك الجزء من أهمية قديمة قصوى رياضية ؛ ولما كان له أيضاً من رهبانية خاصة عظيمة سود رهبانية أجزاء المعبد الأخرى.. ومن هنا يبدو لنا أنّ معنى (بيت) ارتبط في

الأصل ومن لول وهلة - عند العرب عموماً، وفي أنحاء جزيرتهم - بمفهوم الحرمه والقداسة والعبادة ؛ لكونه موضعاً يتجمع فيه الناس لأداء شعائهم المقدسة وطقوس عبادتهم الدينية المختلفة بصورة جماعية، وهذا ما بدنا عليه قوله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً. والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.) (آل عمران : 3 / 96، 97)، ولذلك راحت القبائل العربية منذ عهد سحيقة موعلة في القدم تعظيم الكعبة المشرفة وتقدمها، وتقوم بحمايتها والحفاظ عليها مع مر الأزمان بتجديد بنائها كلما بلي لو تعرض لعبث عوامل الزمن، وهذا ما أثبتته زهير بن أبي سلمى في مقطعه المشهورة بقوله :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله * رجال بنوه من قريش وجرهم
(جرهم) قبيلة يمانية سكنت مكة المكرمة قديماً قبل قريش، كانت تجل الكعبة وتقدمها بالطواف حولها والعبادة فيها، ومن ثم القيام عليها بخدمتها والحفاظ عليها ... ولم يكن لتكون تلك العناية بها، وذلك للتقديس والتعظيم ؛ إلا لكونها البيت الحرام، وموضع الأمن والأمان، وملجأ العبادة وطلب الخير والثواب ؛ مصداقاً لقوله تعالى : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ...) (المائدة : 5 / 97) وقوله تعالى : (وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً، وتقنوا من مقام إبراهيم صلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيته للطائفين، ولعاكفين والركع السجود ...) (البقرة : 2 / 125).

وكما أطلق لفظ (بيت) - كمصطلح يحمل معنى الحرمه والقدسية والعبادة - على قسم من الأقسام المكونة للمعبد اليمني القديم، وعلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ؛ أطلق كذلك على أماكن العبادة بمصر القديمة في عهد نبي الله (موسى) عليه السلام، وهو ما يبرزه لنا قوله تعالى : (وأوحينا إلى موسى وأخيه : أن تبنا لقومكنا بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوثكم قبلة، وقيموا للصلاة، ويشر المؤمنين.) (يونس : 10 / 87)، وأطلق أيضاً - في كنف الدعوة المحمدية - على المساجد (بيوت الله) ؛ فقد قال تعالى : (هي بيوت الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، يصبح له فيها بالغف والأصا.) (النور : 24 / 36).

وقد اكتسب مصطلح (بيت) - عبر مراحل تطوره مع الزمن - دلالات من معاني جديدة أخرى غير ما ذكرناه آنفاً، بيد أن معظمها - إن لم يكن كلها - يشترك مع ما كان لمفهومه في البدلية والأصل عند عرب الجنوب القدماء ؛ من معنى الحرمه، والإجلال، والحماية والحصانة...

د- مسائل : وهو المكان الذي يتلقى فيه المؤمن الوحي من الآلهة في المعبد... يبدو لنا واضحاً من المصطلح (مسأل) أنه كان موضعاً للاستخارة في المعبد، يقف فيه العابد بين يدي معبوده ؛ بتسخيره بدعاءات وتضرعاته ؛ سئالاً لياه أن يفرج عنه كربته، ويحقق له أمانيه ورجائه في الحياة، وأن يقضي له حاجاته وطلباته الملحة في يومه وحاضره ومستقبله .. ولا ريب في أن صيغة (مسأل) - في اللسان العربي - اسم مكان على زنة (مفع) متصرف من الفعل (سأل، سئل) مسألاً مسألاً الذي اكتسب عبر مراحل تطوره في العربية الفصحى معاني عدة مختلفة الدلالات، غير أنه بقي محتفظاً - في إطار هذه المعاني - بجوهر ما كان له من معنى غابر عند اليمانيين الأقدمين، بحيث راح العرب والمسلمون - فيما بعد - يستعملون الفعل (سأل) ومصدره (سؤال) - ضمن استعمالهم المختلفة لهما - بمعنى الدعاء إلى الله جلّت قدرته، وطلب قضاء الحاجة منه أساساً، وهو للمعنى المفهوم من قوله تعالى : (قال : قد لوئيت مؤك يا موسى، ولقد منّا عليك مرة أخرى)، بمعنى (أوتيت مؤك) هنا : أعطيت مطلبك، وتحقق لك مرادك بدعائك لله .. وقوله تعالى : (يسأله من في السموات والأرض : كل يوم هو في شأن ...) (الرحمن : 29 / 55)، فمعنى (يسأله) هنا : يدعو ويتضرع إليه، ويطلب منه .. ومن هذا المعنى ما نلاحظه أيضاً في قوله تعالى : (... وقلوا الله الذي تسألون به والأرواح، إن الله كان عليكم رقيباً). (النساء : 4 / 1)، فمعنى (تسألون) هنا هو : يسأل بعضكم بعضاً طالباً منه قضاء حاجته (64).

ومن الطريف أننا في كثير من الأحيان نسمع الناس يرددون ما يحمل هذا المعنى في قولهم : (السؤال لغير الله منزلة) ، حتى غدا هذا القول - مع الأليم - يجري مجرى الحكمة، أو المثل السائر...

هـ المحراب : وهو أقدم أقسام المعبد الأخرى على الإطلاق، ولخصها بعبادة الإله فيه، ولذلك كان يطلق عليه : هَئِمَسُ الْأَقْدَاسُ. (إبراهيمي 71).

وكان مصطلح (محراب) - بما له من طبيعة قسمية، ومفهوم عقائدي ديني - قد راح يعمّم في الديانات السماوية التوحيدية لدى الشعوب السامية الأثيلة ؛ إذ راحوا يطلقونه على جزء أو قسم بعينه من أماكن عبادتهم، أو على (المصلى) كموضع خاص بتأدية فريضة الصلاة، أو مبنى المصلى عموماً، فضلاً عما له من معنى عام ألا هو : (صدر المبنى من مسجد أو بيت). وكل هذه المعاني التي حملها هذا المصطلح أو ردها التنزيل الكريم، كما سيبيّن لنا إن شاء الله.

وظل للفظ عينه - أعني (محراب) - في اللسان العربي كما هو محافظاً على هيئته الأجرومية، وما يدل عليه معناه في اللغة والاصطلاح من مقصد لغوي علم، ومفهوم ديني خاص، وإن أخذ - كما يبدو يتطور شيئاً ما في ملمحه الدلالي ؛

بحيث غدا له مفهوم أكثر تحديداً ؛ يتلاءم مع طبيعة التطورات النوعية العميقة لمجرى العلاقات الدينية لوحداثية في العصور التالية، وعلى مدى المهود الإسلامية المتعاقبة .. فصار في كنف الإسلام يطلق على جزء بعينه من أجزاء المسجد أو الجامع، وهو للموضع الخاص بالإمام حيث يقف في الصلاة يؤم جماعة المصلين، والمعروف عند العامة من الناس - في الديار اليمانية - بقبة المسجد التي تقع دليماً في صدرته وسطاً⁽⁶⁵⁾.

لما القرن الكريم فيذكر المصطلح في خمسة مواضع منه، ومن تتبعنا لسياقات هذه للمواضع ؛ رأينا أنه لم يخرج فيما يقصد إليه من معنى عن ثلاث دلالات ؛ اثنتان تكادان تتقاربان فيما منه من معنى، بل لعلهما تصلان إلى حد التماثل في ذلك إلا لماماً، أما الثالث فتشترك معهما على قاعدة ما له من مفهوم عام في اللغة، وهو : مقدمة الشيء لو صدره، وذلك على النحو الآتي :

1 - لَنْ المقصود به هو : (غرفة العبادة في بيت المقدس) خصوصاً، وذلك في قوله تعالى عن مريم بنت عمران (... كلما دخل عليها زكريا المحراب ؛ وجد عندها رزقاً ...) (آل عمران : 37 / 3)، وفي قوله تعالى عن زكريا - عليه السلام - من المودة عنها : **إِنَّهُنَّ الْمَلَائِكَةُ وَهُنَّ أُولُو الْأَرْحَامِ فِي الْمِحْرَابِ : لَنْ اللَّهُ يَبْشُرُكُم بِحَبْلِ مِصْبُوحٍ كَلِمَةً مِنْ اللَّهِ، وَسَيِّدًا، وَحُصُورًا، وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** (آل عمران : 39/3).

2 - أنه قصد به الدلالة على مبنى (المصلى) عموماً ؛ بكل أجزائه ولقاسمه بما في تلك الغرفة التي يتم التعمد فيها، التي هي عين المحراب ذاته، وذلك من باب تسمية لكل باسم الجزء ؛ لما يحمله هذا الجزء من أهمية كبرى، وقسمية عظمى .. وقد ورد هذا المعنى العام للمصطلح (محراب) في قوله تعالى _ من معرض قصة زكريا عليه السلام : - **(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ : أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)** (مريم : 19 / 11)، وقوله تعالى - في سياق عرضه لجانب من حكاية نبيه (داود) عليه السلام مع طرفين من الملائكة ظهوراً له بصورة بشر : **(وَأَمَّا آتَاكُمُ النَّبِيُّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَالْمِحْرَابَ : إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ، فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا : لَا تَخَفْ ...)** (ص : 38 / 21، 22).

3 - أنه قصد به : (صدر المسجد أو البيت)، كما هو في قوله تعالى عن تسخير الجن لخدمة نبيه (سليمان بن داود) عليهما السلام : **(يَعْلَمُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ : مُحَارِبٍ، وَتَمَاشِيلٍ، وَجِسَانٍ كَالْجَوَابِ، وَقَوَارِيرَ رَسَائِلَةٍ. اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا، وَقِيلَ لَهُمْ مِنْ عِبَادِي الشُّكْرُ)** (مبا : 34 / 13).⁽⁶⁶⁾

وهنا - في هذا المعنى الثالث - نلاحظ لَنْ المصطلح الجمع (محارِب) نكرة، ليدل - فيما يدل عليه - على ما له في أصله اللغوي من عام، وما يوحي به أيضاً

- في الوقت عينه - من معاني الرهبة، والأبهة، والفخامة والجمال... فضلا عما قد يتبادر إلى الذهن من دلالات أخرى مما اكتسبها عبر مراحل استعمالته المختلفة، وذلك هو ما جعل التعبير به عموماً - عند إطلاقه جمعاً لو مفرداً - عما هو بارز وواقع في الأصل صدرًا من المباني العظيمة والعمارات الضخمة قديماً، لو ليندل به خاصة عما يحتل موضع الصدارة من مبنى مسجد أو بيت ؛ بحيث يكون ذلك الموضع هو الجزء المهيب والبارز، الكائن وسطاً في مقمة هذا المبنى لو ذلك من دور العبادة أو للبيوت - عموماً - من نوات الحرمة والحمى، متقماً بقية الأجزاء سواءً من حيث موقعه الخاص والمميز، لم من حيث أهميته القدسية ومكانته الرفيعة في القلوب ؛ مميزاً عنها بما لفيظ به من وظيفة ربادية اعتبارية جليلة المقام - وذات شأن عظيم في كل الأحوال - تفوق سائر ما خصص لتلك الأجزاء الأخرى من وظائف دينية أو حيوية أخرى، وبما قد يكون له - وفقاً لذلك - من رعاية أكثر، وعناية أعظم، واهتمام أشد .. إذ عادة ما تتطلع الأنظار إلى هذا الجزء بالذات، فتتفكر فيه العقول، وتعتقد عليه النفوس الأمل - اعتقاداً - في تحقيق أمانها، وما ترجوه بدعاءاتها وتضرعاتها من قضاء لحاجتها وطلباتها.

وفي إطار ما سبقناه لنفاً من دلالات، هنا ؛ نلاحظ أن مصطلح (محراب) - مفرداً - أطلق على مبنى (المصلى) عموماً تارة، لو يطلق خاصة على (الغرفة المخصصة للعبادة والصلاة فيها) تارة ثانية، وعلى الموضع الواقع قبلة في صدارة المسجد ومقدمته تارة أخرى.. وعلى هذا يكون من اليسير على المرء أن يدرك العلاقة - القائمة على معنى القداسة - بين هذه الثلاثة الأماكن على وجه التحديد، وما الذي كان يعنيه (قدس الأقداس) في المعبد اليمني القديم، ومن ثم إدراك الصلة - في المفهوم العام - بين هذه الأربعة معاً ؛ وما يعنيه (صدر المبنى) من دور العبادة أو البيوت، والعمارات الضخمة والمهيبة ؛ ليطلق عليها المصطلح (محراب) كما رأينا..

- (المذبح) : وهو الموضع المخصص في المعبد لنبح الأضاحي التي توهب قرابين لهذا الإله المعبود لو ذلك لدى عرب الجنوب الأقدمين.

ولم تكن فكرة تقديم الأضاحي ونبحها قريباً للآلهة قد قصرت .. فصب - على عرب الجنوب القدماء، ومن ثم تخصيص مواضع بعينها لدخل المعابد، لو في ساحاتها ؛ لنحراها تبعاً لذلك، وإنما كانت قد امتدت ممارستها - على النحو عينه - إلى مناطق بعيدة شتى، ولم ننته أخرى ؛ إذ هي شاعت كذلك لدى أصحاب الديانات الوثنية الأتيلة الأخرى في عموم الجزيرة العربية وخارجها، وهذا هو ما نستشفه من تحريم القرن الكريم : لكل لحم ما نذر لغير الله من الأثام، لو ما استهل عند ذبحه ينكر اسم آخر غير اسمه تعالى، وما نبح على النصب الحجرية

التي كانوا يعظمونها ؛ فنحرون الضحايا عندها . وذلك هو من ضمن ما حرم على المؤمنين بالله والمسلمين كافة، مما نصت عليه الآية الثالثة من (المائدة)، وهي السورة الخامسة من سور التنزيل العظيم.

وكذلك مارست الديانات التوحيدية السماوية القديمة هذه الفكرة، فقد عرفها قوم نبي الله (موسى) عليه السلام - من بني إسرائيل، منذ أن طلب منهم هذا النبي تنفيذ أمره تعالى لهم بنبح بقرة، وهو ما يدلنا عليه بوضوح تام قوله تعالى : **(وَأَنذِرْ قَوْمَكَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ الَّتِي نَزَّلْنَا بِهَذِهِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ لِقَاكَ)** : **إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِمْ أَن يَكُونُوا بَقَرَةً**، **قَالُوا : لَنَتَّخِذَنَّ هَذَا قَوْمًا هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمَ** : **أَعِزُّونَ بِاللَّهِ أَنْ لَّيْسَ لَهُم بَقَرَةٌ**، **وَحَتَّىٰ قَوْلَهُ تَعَالَى : (..فَنَبِّحُوهَا، وَمَا كَانُوا بِعَظِيمٍ)** (البقرة : 2 / 67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 71).

وكانت هذه الفكرة عنها قد شاعت - من قبل - أيضاً لدى جماعات الحنفاء من أتباع نبي الله (إبراهيم بن لزر) عليه السلام، سواء كانوا من الذين يقطنون الجزيرة العربية ؛ لم يقطنون أقاليم أخرى خارجها، إذ راح هؤلاء يمارسونها انتهاجاً لمسنته عليه السلام، وذلك منذ أن هم بنبح ابنه (إسماعيل) عليه السلام، وكاد يقدم على ذلك بالفعل الأكيد ؛ تصديقاً لرؤياه في منامه، وإيقاظاً بها ؛ لولا أن فداه الله فوراً بنبح عظيم من عنده قبل أن يتم فعله ذلك .. وذلك ما يدلنا عليه للنص القرآني من قوله تعالى : **(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ : قَالَ : يَا بَنِيَّ إِنِّي كَارِهُ فِيمَ الَّتِي آمَرْتُ لِكُنْجِكَ : فَنَظَرُ مَاذَا تَرَى؟ قَالَ : يَا أَبَتِ، لَعَلَّ مَا تَوَصَّرُ بِهِ مَسْجُونِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادِيَاهُ : أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، إِنَّا كُنَّا نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِنَبْحٍ عَظِيمٍ)** (الصافات : 37 / 102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107)

فكان أن غدت تلك الفكرة من حينها تقليداً متبعاً، وشعاراً مقدساً، وفرضاً واجباً التزام به كافة الحنفاء المسلمين على ملة إبراهيم عليه السلام من بعده، فظل لذلك أثراً عظيماً باقياً على مر العصور اللاحقة التي سبقت البعثة المحمدية، يمارسونه بانتظام وإكبار لمعانيه القدسية العظيمة، يؤدونه في الميقات المحدد من أيام موسم الحج الكبير والمعتدل إلى البيت الحرام، فيقومون بعملية نحر هدية المعلوم له سلفاً، فلم يكن لهم أن يحدوا عن ذلك البيت ؛ اقتداءً بنهج ما كان يؤمن به أسلافهم إبراهيم عليه السلام، وتكريماً دائماً له، وتخليداً لسيرته النبوية العظيمة، ولأفعاله المسامية الجليلة ... وذلك مصداقاً لقوله تعالى : **(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ)** (السورة الأنفة للذكر، الآية : 108).

وما أن جاءت الدعوة للمحمدية ؛ غداة انبلاج فجر الإسلام العظيم في القرن السابع الميلادي ؛ حتى راحت تثبت - على أثر ذلك للهج الإبراهيمي الحنيف -

فريضة ذبح الأضاحي على كافة جموع الحجيج، في يوم النحر المشهود، نون
 مستثناء، وذلك ضمن تأديتهم شعائر الحج الأخرى وفرائضه المعروفة، والمكتوبة
 عليهم وفقا للمبادئ الإسلامية الجديدة، المبينة على أسس وحدانية حنيفية، بحيث يتم
 تقديم تلك الأضاحي من حجاج بيت الله الحرام - في كتف الإسلام وأعرافه - نذرا
 خالصا لوجه الواحد القهار وللدار الآخرة، مبرة من كل ما كان قد لحق بها - قبل
 الإسلام - من مظاهر الشرك الباطلة والخذلية عليها، فصار الحجاج يأكلون شيئا
 من لحومها - وهم حرم في الرحلب المقدسة - ويطعمون منها الفقراء،
 والمحتاجين من السائين، والأغفاء من عزري النفوس المحرومين، وذلك امتثالاً
 لقوله تعالى : (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّطُوعَاتٍ عَلَى مَا
 رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ) ثم ليقتضوا أنفسهم،
 وليدعوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق.) (الحج : 22 / 28 ، 29) وقوله
 تعالى من السورة عينها : (الرَّابِعَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ،
 فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ، فَأَذًا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ
 الْمَعْتَرِ، كَذَلِكَ مَسْحَرَتُهَا لَكُمْ ؛ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا، وَلَا
 دِمَائِهَا، وَلَكِنْ يَبَالُ التَّقْوَى مِنْكُمْ، كَذَلِكَ مَسْحَرَتُهَا لَكُمْ ؛ لَتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ،
 وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ.) (الآيَاتن : 36 : 37).

ولا ريب في أن المصطلح (منبج) عنه - في لفظة ومفهومه العام عند عرب الجنوب القدماء - قد صلح إطلاقه أيضاً - في إطار العربية الفصحى - على

الموضع المخصص بمكة المكرمة لفتح الأضاحي من الهدي أثناء تأدية فريضة الحج، وذلك هو الموضع الواقع تحديداً في جبل (منى)⁽⁶⁷⁾.

و- (المطهر) : وهي بركة ذات ماء نقي، دائماً ما كان بنائها بطلى بالنحاس، لما موقعها فتالباً ما كان يقع وسط المعبد، وكان المتعبدون يلجأون إليها لممارسة الطهارة للقسمة فيها، وإزالة ما يعلق بهم من أدلن ولوساخ، فينظفون من كل ما قد وقع عليهم من أنجاس ؛ ليتمكنوا بعد ذلك - مطمئنين - من أداء شعائهم الدينية وهم على ما يزول من الطهارة المتلى، والنظافة التامة .. ولذلك راحوا يطلقون على بركة المعبد تلك (مطهراً).

ومصطلح (مطهر) في اللسان العربي - كما هو واضح من لفظه - إنما هو اسم مكان على زنة (مفلح) - بكسر الميم وسكون الفاء وفتح العين - مشتق من مادة (ط ه ر).

وكان هذا المصطلح قد نشأ في أجرومية العربية الجنوبية ؛ فشاع فيها كثيراً، وظل كذلك متداولاً في كثير من البيئات اليمنية الحديثة ولهجاتها المحلية.. وهو مما يدل على اعتناء الأقدمين من اليمنيين بالطهارة وتقديسهم لها، وحرصهم الأكيد على النظافة المتلى، وشغفهم الدائم بالغسل والاعتسل ... إذ كانوا يدركون - على ما يبدو - أن النظافة من دواعي الإيمان، ولأنها تقربهم زلفى من معبوداتهم ؛ كما كانت الحال قد دارت بتلك المعبودات، كما يدلنا أيضاً على توافي المياه الغزيرة في تلك الأحقاب الأثيلة.

وقد عمد المتأخرون اليمنيون في العصور الإسلامية المتعاقبة إلى بناء برك في المساجد والجلوع ؛ لإجراء فروض الوضوء فيها قبل أداء الصلاة وفي كل لوقيتها الخمسة المعلومه. ولعل هؤلاء قد راحوا - وهم في رحاب الإسلام - يقتبسون فكرة بنائها في المساجد من إنشاء أسلافهم الأقدمين للمطاهر في معابدهم الوثنية القديمة.

ولكنثرة شيوع فكرة إنشاء المطاهر في معابد قداماء اليمنيين ؛ أخذ أحفادهم على مر العصور يتوارثونها - بصورة أو بأخرى - في أبنية مساكنهم الخاصة إذ لم تعد الفكرة - بل لم تكن من قبل ولا من بعد - مقصورة على دور العبادة وحدها، وإنما راح الناس يخصصون مواضع بعينها للمطاهر في معظم الغرف الداخلية من المنزل السكني الواحد، وما برحت الدور السكنية للمبينة على النمط التقليدي القديم ؛ وذات الخلوات (الغرف) العديدة - في كثير من القرى اليمنية على وجه الخصوص - تحتفظ بالمطاهر على غرارها التقليدي حتى يومنا هذا، وإن كان إنشاؤها فيها قد أخذ منحى آخر متولصفاً في الشكل والتصميم، وبسيطا في الحجم والوسوع ؛ بحيث آلت مع مرور الزمن - على ما يبدو لنا - أشبه ما

تكون بالحمامات المخصصة للاغتسال في العصور اللاحقة القريبة، لو المعهودة مؤخرًا وحديثًا ... ويبدو لنا جليًا - مما سبق من حديث عن أجزاء للمعبد اليمني القديم - أنه كان لكل جزء من تلك الأجزاء وظيفة محددة لممارسة نوع خاص بعينه من أنواع الطقوس الدينية المتعددة لديهم.

ولا غرو في أن أهمية المعبد لم تكن عندهم لتكمن فحسب في كونه مكانًا مقدسًا للعبادة وممارسة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة، وإنما كانت للمعابد تقوم - فضلًا من ذلك - بوظيفة المراكز الإدارية ؛ إذ كانوا يحتفظون فيها بالسجلات الخاصة بالعقارات ومساكن الأراضي، وبمندات تحصيل ضريبة العشر المقدس، وينسخ من المراسيم والعقود العامة والخاصة التي نراها منحوتة للتدوين على جدران المعابد.

ومما يستدعي الإنباه أن ثمة نوعين من المعابد :

1- معابد محلية كانت تشيد داخل المدن أو المناطق.

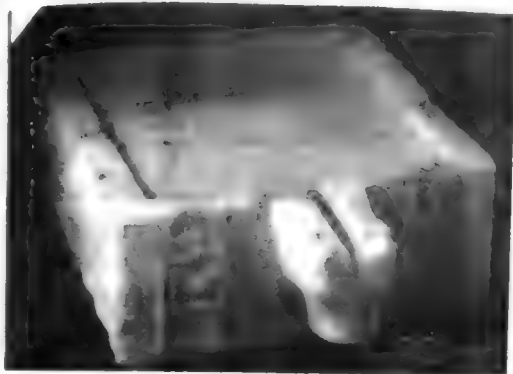
3- ومعابد مركزية كانت تبني خارج المستوطنات ؛ على بعد كيلو متر واحد إلى الشرق من هذه المستوطنة أو تلك، كمعابد : ملرب، والسوداء الكائنة في إقليم الجوف .. أو على بعد كيلو مترين اثنين فيما إذا كان المعبد المركزي هذا أو ذلك واقعًا إلى الغرب من المستوطنة، كما هو حال معابد : (ريبون)، و(هجرة)، و(مشقة)، و(سونة)، وحصن (الكيس)، و(باقطفة) ... في إقليم حضرموت.. والسبب في ذلك إنما يعود إلى أن هذه المعابد كانت مركزية تحادية، فكان لا يرتادها إلا القبائل المستوطنة المنتشرة في المناطق المجاورة للمدن التي تشترك معًا في عبادة إله واحد.

1- محتويات المعبد :

يتبين لنا من خلال ما تم العثور عليه من محتويات المعابد ومقتنياتها ؛ أن الأدوات التي كانت تستخدم لأداء شعائر الطقوس الدينية ؛ إنما هي ذات أنواع مختلفة ؛ من أظهرها ما يلي :

أ- أداة الذبأحة : التي كانت تسمى عندهم (منبخت) ؛ أي : "المنبحة" ؛ على صيغة (مفعلة) - بكسر الميم - اسم لآلة في اللسان العربي، وهي الأداة التي كانت تمعد عليها الأضحية من الأنعام الحيوانية ؛ لإزالة دمها نحرًا أو ذبحًا. وهذه الأداة مصنوعة من الحجر أو المرمر، تتخذ شكل منضدة على صورة ثور، وذات حافة تنتهي بفتحة أو عدة فتحات ؛ لينفذ منها الدم المرق نحو الخارج إلى الموضع المحدد لتجميعه. أما طولها لحيات فيبلغ (40، 66سم) تقريبًا، وعرضها (27، 94 سم) ولما ارتقاها فيبلغ (7، 17سم) تقريبًا أيضًا، (انظر الشكل رقم 9).

ب- مبخاخ متنوعة بديعة الصنع ؛ لحرق البخور، وكانوا يطلقون على المبخاخ اسم (م ق ط ر)، أو (ق ط ر ت)، ولعل الاسمين - وقد اختلف جناسهما اللفظي هنا - إنما هما صيغتا جمع مختلفتين لمفردين مختلفين جناساً، فيكون الأول



شكل 9 منبج منصوع من المرمر

منهما : (مقاطر)

على صيغة

(مفاعل) ومفردة

(قطارة)، اسم

الـة على زنة

(مفعلة) بكسر

الميم وسكون

الفاء وفتح

العين. أما الآخر

فهو جمع مؤنث

سالما (قطارات)

- تشديد الطاء

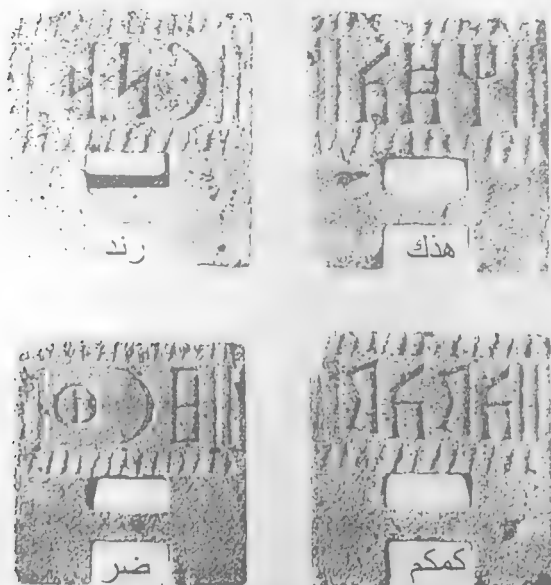
- ومفردة

(قطارة)، أو هو (قطارات) ومفردة (قاطرة) على زنة اسم الفاعل من الماضي الثلاثي. ويبدو من لفظي الاسمين أنه إنما سميت المبخاخ بهما ؛ لأن البخور من كثرة ما يحرق منه فيها إنما يذوب بها وينساح عليها، فيقطر منها - من شدة الحرق - كما يقطر الماء من الأنية أو الغيوم، أو كما يتقاطر الندى من الزهور وأكامها... (انظر شكل رقم 10).



شكل 10 نموذج من المباخر الحجرية

وقد سمّ البخور على عاد وفيرة من هذه المنحدر في معادن مختلفة مما تبيّن
 طائفة في رحي سبي من الأرض اليمنية، وهي لم تتميز بها لها من أشكال
 متنوعة رائعة، منها - على سبيل المثال - : ما هو مربع، وما يحمل عليه نقشاً ؛
 أو زحرفة بيعة، وما يحمل اسم نوع البخور الذي كان يحرق فيها.... (انظر الشكل
 11).



شكل 11 مبخّر حديدية كل واحدة منها تحمل اسم البخور الذي يحرق عليه

التمائيل : وهي من أجمل وأروع ما عثر عليه من مصنفات لعبد ذي مصنوعة إما من البرونز أو الرخام. وهذه التماثيل إنما ترمز على تكاتف حيوية كانت عندهم ذات شأن عظيم التقديس ؛ من نحو : الثور، أو البعل، أو نسرين

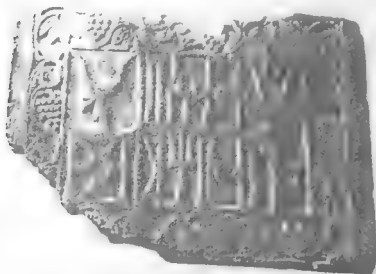


شكل 12 تمثال نحزي من البرونز لشخص يدعى (معد كرب) قدس بناة المقع من معبد بصرواح (القرن السادس ق.م.)

ومن المثير - تبعاً لذلك - أن يعثر المنقبون عن الآثار في اليمن على قواعد مرتفعة مهيبة البناء ؛ تحيط بواجهات المعابد الأمامية، كانت قد جعلت خصيصاً لتتصب عليها هذه التماثيل، (أنظر شكل 12).

ج- النصوص النقشية : وهي - ولا ريب - أهم ما تحويه المعابد القديمة من المقتنيات الأثرية على الإطلاق ؛ لكونها - كما هو معلوم - أعظم المصادر الوثائقية التاريخية شأنًا وقدرًا، وصدقها تصويرًا وإثباتًا للأحداث وحياة الأقدمين في عصورهم الأثيلة، وأوفرها فائدة ووثوقًا لدراسة التاريخ اليمني القديم عموماً ؛ لأنها من صنع الأقدمين ذاتهم، وثبوتياتهم التي لا يعارضها شك، ولا يقاربها تحريف أو تصحيف غيرهم من البشر سواء في زمانهم أم غير زمانهم. ومضامين تلك النقوش إنما تتنوع فيما تحكيه وتذكره،

وأهم ما تذكره : بناء المعبد، واسم بانيه .. (انظر شكل 13) .
وقد السحاشيرين في أكثر من موضع وموضع سبق - سواء في كتابنا هذا أم
في غيره - إلى أنه قد عثر في اليمن على العديد من النصوص النقشية القديمة ؛
إلا أن من تلك النصوص ما عثر عليه مدونا على جدران المعابد الداخلية
والخزجية، وما تتضمنه هذه من كلام مكرس للمعبود أصلا .



شكل 13 نموذج من الخط المنسد مزين إطار بعناقيد العنب

غير أن الغالبية
لعضي. من قوت
سعد - هي صرص
نور قسيه سبوح
نزلته من اجل تحقيق
رغبة، أو أمنية، أو
وعند... ومما يلاحظ
على النقش المهدى من
السفر السرية أنه
سروري ديجر نبي
عصرص الإلهاء، وبه
به ينتهي - مباشرة

وتنوّ - بصيغة دعنية ؛ يطلب فيها صاحبه (المهدي) رزقا وفيرا من المحاصيل
الزرعية للإلهة - كتفيل في حينه - إنما قد جرى اتباعه بعد ميلاد يسوع عليه
السلام، أم قلّ ذلك فم تكن النور إلا أصحابي حيوانية، ومن ثم راح المؤمنون -
يقدّمون نوعا آخر من النذور ؛ يتجسد بتلك التماثيل التي يحمل الواحد منها اسم
مهديه ووظيفته.

وفي القرن الثاني للميلاد توسعت في المعابد دواعي النقوش وأهداف إهدائها،
وما غدا لتلك الانواعي والأهداف من ضرورة ملحة، ذلك أنه بدلا من إبراز
الطريقة العامة لما كان قد تحقق - قبلا - من الحماية خلال عمليات حربية بعينها،
وذكرها بصورة موجزة مقتضبة للغاية وكفى ؛ راحوا منذ ذلك الزمن - أعني
القرن الثاني الميلادي - يصفون الأحداث والمعارك الحربية في النقوش وصفا
شاملا ؛ بتفصيل أكثر، وبطريقة أوسع ؛ فأخذ النص النقشي يذكر : اسم الموضع
الذي دارت فيه رحى المعركة، والقيائل المشاركة فيها، واسم الملك الذي قادها،
وتعدد أنواع الغنائم المستولى عليها فيها .. فضلا عما صار يشمل عليه النص من
قوانين ومراسيم تهدف إلى تنظيم إدارة البلاد، وجباية الضرائب، ولهذا كله فإن هذا

النوع من النصوص يمثل بحق - ودون أدنى شك - المصدر الأساسي الأشمل، والأهم والأعظم من بين مصادر تاريخ اليمن القديم. غير أن الشواهد تدلنا على أن مقتنيات المعابد الأثرية - في عموم اليمن - كانت دائماً عرضة للنهب والعبث المستمرين على مرور الزمن، وعبر المراحل التاريخية المتعاقبة.

(3) موارد المعبد :

مما هو يقين وثابت أنه كان للمعابد موارد دخل مادية وغيره متنوعة : ثابتة دائمة، وغير ثابتة ولا دائمة. وكانت تلك الموارد - على اختلافها - إما لمواال عينية، وإما تمويلات نقدية.. وجميعها كان من شأنه إعانة المعابد على بقائها حيوية نشيطة في تلبية وظائفها الدينية والدنيوية على ما يرام، فمنها : ما كان ينفق على بنائها والتوسع فيها، ومنها : ما كان يصرف لخدمتها ولتقديم عليها من رجال الدين ؛ وغيرهم ممن لوكل إليهم تصريف شؤونها ورعايتها والمحافظة عليها ...

وكانت الموارد الثابتة والدائمة تردها من ممتلكاتها العقارية الواسعة، والعينية للوفيرة الأخرى، التي كانت جميعها قد وهبت لها سلفاً، أو توهب لها نذراً باستمرار ضمن الهبات الهائلة والنذر الكبيرة للمعبدة، فضلاً عما كان يرددها من الضرائب المقررة لها، أو الإتاوات المفروضة لها. أما ما كان غير ثابت ولا دائم من تلك المواد ؛ فهو تلك النذور المادية والقربان العينية المحدودة ؛ مما كان العامة من الناس ينذرونه للآلهة في المعابد، أو لية عطاءات طوعية وغيرية أخرى مما سيأتي توضيحه لاحقاً في هذا للمبحث.

وعلى هذا يمكن تصنيف لأظهر المصادر التي كانت تأتي منها جملة تلك الموارد بجانبها على النحو الآتي :

أ- الهبات المادية المنقولة وغير المنقولة، الممنوحة نذراً للآلهة في المعابد، وهي - كما يبدو من طبيعتها العقارية والعينية الأخرى - أنها بمنزلة الأوقاف التي راحت توقف على دور العبادة والعلم في العصور اللاحقة، وعهودنا المتأخرة والحديثة... ومن أهم تلك الهبات ما كان منها :

أراضي زراعية - من تلك الأراضي الشاسعة المزروعة - بما تحويه من نخيل وأعناب، ومزروعات مختلفة. والملاحظ أن نقوش المكربين تميزت بتقديم الأبنية الدينية كالمعابد، والعسكرية كالمحافظ، والمننية كالمنازل، والأزراعية كمنشآت الري المختلفة كالآبار، وأحواض مياه، وقنوات. إلى جانب تلك التكمينات تمتلك المعابد لقطعان الوافرة من الأنعام، والمواشي الحيوانية المختلفة، من نحو : الأحصنة والثيران : (CIH 306) وغيرهما.

وكان ثمة من الهبات ما هو نوع آخر يختلف عن هذه الثلاثة ؛ هو عبارة عن حصص عينية مقررة من ريع الأراضي الزراعية ومحصولاتها المختلفة، إذ كان هذا النوع على شاكلة تلك الحصص المعلومة الواجب دفعها إلى الحكومة ؛ مما كان مفروضاً على أصحاب الأراضي الزراعية الوفرة العطاء والنماء.

ب- ضريبة العشر : هناك مقادير من الضرائب المقررة للدولة، ونسب منها مما كان مفروضاً على العقارات من الأراضي الواسعة، سواء أكانت تلك الأراضي زراعية مسقية لم يعل. وكان المقدار الواحد من تلك الضرائب يسمى عندهم (عشراً)، وقد ورد هذا الاسم بعينه في عدد من النقوش، ومنها النقش (لرياني 26) الذي ينص - فيما نص عليه - قائلًا : " لسعد لولم، وأخوه أحمد لزداد ... بقما زكاة العشر من لولها - (أي لولم الأراضي) - للمسقية والبلع لإله سبأ ... (68).

ويبدو واضحاً من هذا النقش أن مقدار (العشر) من الضرائب كان مخصصاً كزكاة ضمن الواجبات الدينية، كان يعتبر زكاة فعلاً ؛ لارتباطه أساساً بأداء الشعائر المقدسة عندهم، بحيث كان يؤول إلى المعابد، ليقدم للآلهة فيها، يحصد الإله العشر المقدس من المحاصيل الزراعية، ومن الثروة الحيوانية ومن الضرائب المخصصة، تلك العوائد تغطي مصاريف الصيانة، وترميم المنشآت الدينية، وينفق فيها على المصالح التابعة للمعبد وعلى الكهنة، كما يتم صرف تلك الموارد بقولتين خاصة بصورها المعبد.

وينكر (بريان دو) أن ملكية الآلهة للأرض والقطعان تكون أما بما يقترب به لليمينيون قديماً للآلهتهم أو بسبب ضريبة العشر التي يؤدونها. (69)

ومن وجوه الاتفاق من ضريبة العشر الخاصة بالإله تائب عمل وليمة تكريمية لحجاج هذا الإله يوم حجهم، (70) فلاه (تائب) لا يأخذ ضريبة في يوم الحج، وإنما يأخذ العشر بدلاً عنها، وهذا ما يعطي العشر بعداً دينياً، ويجعل الحجاج مقبلين على دفع ما حدده النظام الديني بهذا الخصوص. (71)

وتلاحظ الباحثة أن من أسباب وجوب العشر من غنائم الحرب التي خاضها المستقمن، كما جاء في نقش (غان 27). وجاء ذكر العشر في نقش (Ja615/14-18) ضمن سياق التقدمة، وهي تمثال مذهب، قدم للإله، وكان هذا التمثال من العشر الذي يجبي من المحاصيل المسقية والبطيخة التي تم حصادها من كل الأودية والحقول والأراضي التي تسمى عبر قناة تابعة للمدينة. وهناك عشر قدم بمقتضى أمر إلهي، والضرب كان مزيجاً من المحاصيل المسقية (RES 176/ 2-3).

كما كان يجوز للمرأة أحياناً - وإن نادراً - استبدال ما يجب عليه تأديته للمعبد من الضرائب - نقدية أو عينية - ببناء أو ترميم جزء أو أجزاء من المعبد .. فذلك أحد النقوش المعثور عليه مدون على سور مدينة براقش وهو النقش

(RES 3022) ينص على "أن الإله إرتضى بناء المور (أي سور المعبد) بدلاً من دفع الملزمات نقدًا...". ولعل المراد بلفظ (نقدًا) هنا - ضمن ما يراد به منه، كما يفهم من سياق النص - ما كان يدفع نقدًا من الأموال بالعملة ذهبًا أو فضة، أو بسلع عيّنًا من ريع الأراضي الزراعية ومحصولاتها...

(ج) الإتاوات : مما كان يفرض على الناس فرضًا من حين إلى آخر، فتجمع تلك الإتاوات خصوصًا وقت الحاجة والشدة لتزول في الأخير لصالح المعابد.

(د) السننور المادية والقرايين من الأموال العينية سواء أكانت من بهيمة الأنعام، أم غيرها مما كان المتعبدون من عامة الناس يقدمونه - كالفرد - لآلهة المعابد تقربًا إليها، وذلك وفقًا لما كان يرمي إليه للفرد من غرض من وراء تقديمه ذلك السننور أو القربان وحسب استطاعته وقدرته المادية. وكان ما يدعوهم إلى ذلك - فيما نرى - إما الواجب الديني فرضًا ضمن أداء الطقوس وشعائرها المقننة ؛ مما كان يحتفي به في المواسم المحددة، ويقام في المعبد باستمرار. وإما إحساس الفرد منهم بحساسًا شديدًا بحاجة ملحة إلى تقديم ذلك ؛ من أجل كشف الغمة عن نفسه، وإجلاء الهمة من صدره، أو طلبًا - في سياق دعوته وتضرعائه - لتحقيق منافع معاشية له، أو أمنية من نصرة أو استغاثة، أو غير ذلك مما كانوا يعتقدون بأن الآلهة قادرة على تحقيقه وتلبيته للواحد منهم. ولما مجرد الرغبة في التقرب، وما كانت تعقد عليه نية الفرد منهم من حين إلى آخر، بدافع من وازع ديني محض ؛ ليس من ورائه مقصد لتحقيق شيء من نفع شخصي مادي له، وإنما مقصد روحي محض ؛ وهو ابتغاء رضا الإله أو الآلهة وكفي... ومنشئ لا حقا إلى طبيعة السننور والقرايين التي كانت تقدم للآلهة في المعابد.

(هـ) 'عطاءات طوعية أخرى، وهي التي كانت طبيعتها أشبه ما تكون بالصدقات في العصور الإسلامية المتعاقبة لاحقًا، أو للتبرعات الخيرية في عصرنا الحديث...'

وعلى أية حال فإن ما كانت تحصل عليه المعابد من ريع ومحصولات ممتلكاتها من الأراضي الزراعية الواسعة الموهبة لها - أو الموقفة عليها - إنما كان يستودع في المخازن الخاصة بالمعابد عيّناتها، وذلك ريثما يتم تصديرها إلى الخارج، أو بيعها في الأسواق المحلية، وأحيانًا كل يؤخذ جزء منها لينفق على المعابد ذاتها، أو بصرف لرجال الدين فيها.

ثالثاً : الكهنة وخدام المعبد من الأرقاء :

أ- الكهنة :

ارتبطت نشأة المعابد وإقامتها عند السومريين الأكديين بوظيفة الكهانة، وبأولئك

الكهنة الذين كانوا يشكلون طبقة وراثية مميزة، يتم تعيينها بمرسوم ملكي، كما ورد في النقش (إرياني 69). وكان السبتيون والحضارمة يطلقون على الكاهن اسم "رشو" (RES 2813) و (Ja 555)، أما القتبانيون فكانوا يطلقون عليه اسم "شوع". غير أننا نرى في بعض النقوش أن لفظ الاسم قد ورد مؤنثاً (رشوت) ؛ كالكاهنة (برعت) رشوت الإله (عم) بقتبان (أنظر شكل 14)، وكاهنة إلهة الشمس (ذات بعندن) (نامي 74) مما يدل على أن ثمة كاهنات من النساء كن يعملن في المعابد إلى جانب الكهنة من الرجال وتذكر لنا للنقوش أسرة من الأسر تدعى (بنو رشوان) كانت ذات تخصص ديني محض ؛ فاكتملت شهرتها "رشوان" من هذا التخصص، وكان أفراد بعينهم من أعضاء هذه الأسرة كهانا خلاصاً



شكل 14 تمثال لكاهنة (برعت) (تنقيبات

للإله "المقه" (Ja 554, 703) و(إرياني 27) ولم تغفل النقوش أن توضح لنا ما كان قد أنيط بطبقة الكهان من وظيفة قسدية جسيمة عظيمة، وما تبعها من مهام أخرى كبيرة دينية وديونية في آن معا، ومن أظهر ما كان يقع على عاتقهم من تلك المهام والمسؤوليات ما يلي :

- 1- تسيير أمور المعابد، والمحافظة على ممتلكاتها ومقتنياتها.
- 2- الوساطة بين المؤمنين والآلهة، حيث كانوا يمثلون الآلهة في تأمين الممارسات الدينية من طقوس وشعائر مقدسة، من نحو : استلهم الوحي، وانتظار

جواب الاستخارات والاستخبارات .. ومن ثم توثيق كل ذلك، ولهذا كان ينظر إليهم نظرة مقدسة جلية.

3- الإشراف المباشر على الأمور القالية :

¹- ما يقدمه الناس من نذور وهبات وعطايا، وهناك نقش (نامي 74) يشير إلى أن تكريس السقدمة من قبل أشخاص عاديين بدون مساعدة الكاهنة بغضب الإله (ذات بعدن) ويحذر للنفس من عدم تكرار مثل ذلك العمل، وعلى مرتكب تلك المخالفة غرامة مالية تبلغ عشرون نقداً⁽⁷²⁾.

ب- تدوين المسائد وتسطيرها، إذ أن معظم مؤلفي النصوص النقشية ومؤلفيها كانوا من الشخصيات الدينية الرسمية البارزة ؛ من أمثال : كاهن الإله "المق" وكاهن الإله "سمع" (GL 1519, RES 3945).

ب- إدارة أملاك المعابد الواسعة، وكيفية استغلالها وتسيير شؤونها.

ج- تسليم الأراضي التي كان المؤمنون يوقفونها على الآلهة، وكيفية تحويل ملكيتها إلى المعابد نهائياً، ومن ثم جبية ما يكون لها من مستحقات ضرائبية، أو تحصيل ما يعود مما هو زراعي منها من ريع ومحصولات، أو ما يعود من أموال نقدية لما كان يؤجر من بعضها الآخر ..

فقد عثر المنقبون عن الآثار في اليمن على نصوص نقشية بين أطال بعض المعابد وتحت خرائبها، حيث تبين من تلك النصوص أنها عقود إيجار ومستجائر لبعض أملاك المعابد مما كان لوقف عليها من لواقف.

(4) المحافظة الدائمة على دور المعابد، والرعاية المستنيمة لأبنيتها، والعناية الكاملة بها من حيث متابعة إجراءات صيانتها وترميمها وتجديدها ؛ التي كانت كل نفقاتها تغطي من عوائد الضرائب المتنوعة كضريبة زكاة "العشر" وغيرها⁽⁷³⁾.

(5) القيام بحل ما كان ينشعب بين الناس من شجار ومنزعة بسبب الأراضي، إذ لم تكن أعمال الكهان لتتخصص في الأمور الدينية فقط، وإنما كانوا يقومون أيضاً بمقام السلطات الإدارية المنفذة لأوامر الجهات العليا المالكة، فيؤدون مهام تلك السلطات نيابة عنها ..⁽⁷⁴⁾

ومما يسترعي الانتباه أن بعضاً من النفوس السبئية في ملرب قد راح يبين لنا : أن ثمة فئة متميزة من طبقة الكهنة — من ثلاث عشائر مختلفة، بحيث كانت كل عشيرة منها تقدم مرشحاً للكهنة وفقاً لما كان يتمتع به من شهرة ومواصفات ذاتية مشهودة له قوامها السمعة الحسنة، والأخلاق الحميدة من نحو : للنزاهة، والورع ... وغيرها من الموصفات والمعايير التي تؤهلها لتأدية هذه الوظيفة الدينية الحساسة في قديمتها ؛ بكفاية عالية مفعمة بالجدية والأمانة ..

ومن الملاحظ أيضاً أن المسبيين — في القرون الثلاثة الأولى للميلاد — كانوا يؤرخون كل عام باسم من يتولى وظيفة (الرشادة) أي للكهنة، وذلك بدءاً من عام توليته إياها إلى أن تنتضي المدة المقررة لبقائه فيها ؛ حيث كان الواحد من هؤلاء الكهنة يظل متسماً وظيفته هذه لمدة سبعة أعوام متتالية دون انقطاع للبتة⁽⁷⁵⁾ وعلى أية حال فإن ذلك النقش (نمى 7-12/6) — على سبيل المثال — يذكر لنا العام الخامس من رشادة (ودد إل). وذلك كله مما يدل على عناية اليمينيين قديماً بالتقويمات الفلكية والحرم عليها.

2- خدام المعابد من الأرقاء والعبيد :

وكان — إلى جانب الكهنة — ثمة أفراد من الأرقاء : نكوراً وإبناتاً ؛ لربطوا بخدمة المعبد ؛ فكثروا له ولإلهه الخاص به عبيداً لو أمات خالصاً لا يفارقون خدمتها ليلاً أو نهاراً، ولا يتولون عنها قيد لحظة للبتة .. إذ ورد في النقشين (RES 2773) و (RES 3445) ذكر لنساء، هن — غالباً — من أصل عربي، كان أغلبهن قد جلب من مصر وسوريا للعناية بخدمة المعبد في المدينة عينها، وقد دلت النقوش تطلق عليهن (بنت إل) أي : (بنات الإله) (Ja 868,872).

وثمة آخرون من الأهلان المذكور كانوا قد أهدوا للآلهة ؛ ليتولوا مباشرة القيام بالأعمال العضلية المضنية، كالاشتغال بالخدمة المجودة في مجال إنشاء المعابد وبناء دورها ومؤسستها (CIH 545).

غير أن ثمة نقلاً معينياً من (العلا)⁽⁷⁷⁾ يشير — فيما ينص عليه من حديث — إلى طائفة من الرجال والنساء معا ؛ كانوا قد قدموا كرهائن للمعبد، فكرسوا لخدمة الإله فيه.

ويرى نقش آخر أن امرأة تسمى (حوال) كان اشتراها شخص ثم قام فيما بعد بإعادتها مع كل ما يملك للإله (نكرج) (RES 3357)، وأن شخصاً يدعى (إل لوس) أهدى للإلهين : (عتر) و(المقه) زوجته (حيوت) وكل أبنائه (78) (GI 720). فالنص النقشي الأخير — في صيغته التعبيرية هنا — إنما يدلنا، دون شك، على نوع من الإحصاء الديني الجليش، والورع الإيماني الفياض، والولوع الذاتي الصادق ... وقد صادفنا مثل هذه الصيغة في عدد وفير من نصوص نقشية أخرى ؛ مما ينص على أن المرأة يقوم بإهداء نفسه، ولولادة، وكل ما يملك للإله (RES 2693,4189). بل إننا نجد في النقش (RES 2693) ما هو أبعد من ذلك ؛ إذ نرى فيه أن أحد ملوك حضرموت راح شخصياً بمنح جهوده، وحياته، وممتلكاته لخدمة الإله (سين) وكل آلهة مدينته، مكرماً لها : ذقه وروحه، وصحته

وحواسه، وأولاده، وكل خيراته... (79). ولم يكن الأطفال ليستثوا من أن يهدوا إلى الإلهة أيضاً، كأولئك الذين كانوا قد أهدوا للإلهة (CIH 492, 493, 495).
رابعا : الوحي :

لا مراء في أن معلوماتنا عن الوحي في الديانة اليمنية القديمة ؛ محددة للغاية، إذ كل ما قد صنفناه - فيما توافر لدينا من مصادر نقشية أو وثائق تاريخية - مما يشير إلى هذا الأمر ويتعلق بمعانيه ودلالاته ؛ هو مصطلح (مسألة) أو (مسأل) في المعجم السبئي - وهو معجم حديث الإعداد والتأليف - تعني : وحي، جواب (80)، فالتنبؤ أو السؤال عن الغيب كان شائعا ومنتشرا في اليمن القديم. غير أن من الباحثين والعلماء المهتمين بالنقوش والآثار من يرى أن (مسأل) يعني بالتحديد : المكان المخصص في المعبد لوقوف المتعبدين حينما يرون التقدم بالسؤال إلى الآلهة متضرعين لها طالبا للخيرة منها، متلمسين منها تحقيق ما يكون لهم من أمنيات ... أي : أنه مكان الاستخارة، ويؤيد هذا ما كان قد مر بنا - فيما سبق - عند الحديث عن أجزاء المعبد من أن الاسم (مسأل) على صيغة (مفعول) في اللسان العربي إنما هو صرفيا (اسم المكان)، وهذا مما يدل دلالة قاطعة على أنه كان هو الموضع المخصص في المعبد اليمني لتقديم لطلب الاستخارة بمفهومها الذي كان متعارفا عليه عندهم آنذاك، وهو ما قد أشرنا إليه نقائمه عدد وفير من النقوش النظرية تشير إلى أن التذر إنما كان يقدم بأمر من الآلهة تأتي بأمر الوحي، فالوحي يظهر أثناء نوم المتعبد في مكان الوحي بالمعبد : بحيث كان الإله يطلب من عباده تقديم العطايا من القرابين والذبايح.

يشير النقش (Ja 567) إلى أن شخصا سمع في منامه عند دفني الباب الشمالي الغربي لمعبد (أوام) في مأرب بين الثورين جواب الإله لتضرعته، وقد تم فعلا العثور أثناء التنقيبات الأثرية على بولية بها آثار صورة لثور على السور، ولا بد وأن تكون هناك صورة لثور آخر على الجانب الآخر من البولية، وكما هو معروف أن الثور رمز الإله (المقه).

ويتحدث النقش أنف للذكر إلى أن الشخص الذي جاء إلى المعبد للتضرع وطلب الحاجة، قد تلقى جوابا من الإله، والواضح أنه لم يرى في منامه من لوصل له تلك الجواب، وإنما حصل عليه عن طريق السمع، الأمر الذي يؤكد أن الكاهن هو من كان يقوم بمهمة إيصال جواب الإله دون أن يظهر لصاحب التضرع تلك اللحظة ويشير نقش معينسي (RES 3306) وسبئي (Ja 735) إلى أنه على المسأل لوالمتضرع تقديم القرابين ولداء الشعائر الدينية للحصول على الجواب المطلوب.

وتشير كثير من النقوش إلى أن المسأل أو المتضرع كان يقوم بتقديم القرابين حمدا للإله على منحه الجواب المطلوب، وفي كل الحالات كان الكاهن هو الوسيط

يبين المتعبد والإله دون أن يظهر، فمن هذه الأمثلة نخلص إلى القول بأن صاحب منصب (الرشو) هو الكاهن الذي كان يقوم بمهمة تلك الوساطة، وإيلاغ جواب الإله للسائل أو المتضرع.

وتؤكد عدد من النقوش إلى أن الإله يطلب من قومه للقيام ببعض الأعمال عن طريق الوحي فقد طلب من الجاليات السبئية الحديثة النشأة والانتشار في المناطق الأخرى - مما تمكنوا من هزيمتها واحتلالها، أو التوسع فيها - بإنشاء معابد له فيها .. إذ نرى في النقش (RES 3945) أن الإله (المقه) كان قد أمر السبئيين بإنشاء جالية في إحدى مدن الجوف المهزومة، المشهورة آنذاك بمدينة (نشن) - المعروفة اليوم بـ (السوداء) - وأن يبنوا له معبدا فيها، فضلا عن هذا نصاف في النقش (إرياني 11) أن الإله (المقه) أيضا قد راح يوحى إلى الملك (شعر أوتر) أمرا بأن يستصره في حرب خاضها مع زعيم يدعى (حيالو بن عثربان)⁽⁸¹⁾ وأما النقش (Rossini 94) فنجد فيه أنه ينص على أن : " (إشم دعم يدع) نصب لسيده (يصدق إلى فرعم بن شرح عث) : ملك لوسان بن ود ؛ تمثالا من الذهب في هيكله نعمان ؛ لأن أباه (ودا) - هو الذي قد كان - أمر بذلك.⁽⁸²⁾ ويبدو أن هناك مخاطبة تتم بين المتعبدين والإله، فلفظة (مسألة) اسم معنى، وهي تكل - فيما تكل عليه من معان - على الحالة التي يتلقى فيها المستخير ما يتلقاه من أوامر الآلهة أثناء وقوفه في موضع الاستخارة لدخل للمعبد، وقد طالعنا هذا المدلول في أحد النقوش عند وقفنا منه على عبارة : " قههو المقه بمسألة ... ومعاها : أن الإله المقه أمره وهو وقف في مكان الاستخارة⁽⁸³⁾، غير أن "الأمر الإلهي" في النقوش غالبا ما يرد مدلولها عليه بلفظة (حج) أيضا (Ry 3945/2) وهذا يدلنا على أن ثمة مخاطبات من نوع آخر كانت تتم مع الآلهة، وذلك حينما يتولى الكاهن مهمة للوسيط بين الآلهة وهذا المؤمن أو ذلك، بحيث يقوم بنقل ما توجهه إليه الآلهة من وحي إلى المتقدم من المؤمنين بالتمس تضرعا، وطلب الاستخارة ... فعلى سبيل المثال نلاحظ في النقش (إرياني 69) أن الإله "المقه" راح يأمر عبديه : (وهب لولم) و(كرب عثت) بتولي أمر الوحي، والتوثيق في معبد (بران) .. وإذا بهذين الرجلين ينطلقان شاكرين لإله (المقه) على ما تلقيا منه من وحي صادق، وهداية ورشد..⁽⁸⁴⁾

وهناك بعض المعابد المشهورة يقصدها الناس لغرض التنبؤ بالمستقبل، مثل جبل (توه) حيث تقام الطقوس الدينية، ويقصده الحجاج من كل صوب طلبا لتكهناته وتنبؤاته⁽⁸⁵⁾ ولم يكن ذلك المكان سوى معبد الإله (تألب) فكان الوحي يصدر باسم الإله، لذلك سمي السيد الموحى ريام .. (CIH 575/2).

وكان معبد (أوام) كما أسلفنا الذكر من المعابد المقصودة لهذا الغرض، وهناك نقوش عثر عليها في معبد (عثر) بـ(نشق) تتحدث عن الشعائر الأربعة لسؤال الكاهن المنتبى.

خامساً : شعائر الطقوس الدينية :

أرسى اليمينيون قديماً شعائر طقوسية مختلفة، تقام في مواقيت محددة (CIH 460, 466)، الغرض منها التقرب للآلهة لكسب رضاها، فالآلهة هي التي تنيب وتعاقب، تنيب المتقي والمتعب لها والمتقرب إليها بالذنوب، فتعطيه رزقاً وفيراً وتبارك له في نفسه وفي أهله وترزقه بذرية صالحة، لما للعقوبة فتكون بإنزال البلاء على من يستحق من الخرجين على أولمير الآلهة المخالفين لسلوك المجتمع المتجاوزين للحدود والواجبات، وإما إحساس الفرد منهم إحساساً شديداً بحاجة ملحة إلى تقديم ذلك ؛ من أجل كشف الغمة عن نفسه، وإجلاء الهمة من صدره، أو طلباً - في سياق دعائه وتضرعائه - لتحقيق منافع معاشية له، لو أمنية من نصرة أو استغاثة، أو غير ذلك مما كانوا يعتقدون بأن الآلهة قادرة على تحقيقه وتبليته للواحد منهم.

وأما مجرد الرغبة في التقرب، وما كانت تعد عليه نية الفرد منهم من حين إلى آخر، بدافع من وئزع ديني محض ؛ ليس من ورقه مقصد لتحقيق شيء من نفع شخصي مادي له، وإنما مقصد روحي محض ؛ وهو إبتغاء رضا الإله أو الآلهة وكفى... ومن أبرز تلك الشعائر :

1- الطهارة الطقوسية وحرمة المعبد :

للطهارة شيء مقدس عند الساميين بشكل عام، والإخلال بطقوس الطهارة وبالذات في المعابد يعد جرماً شنيعاً. فللمعبد قدسية مطلقة أشارت إليها عدد من النصوص للنقشية، فيحرم على المرء دخول المعبد وهو نجس أو متسخ (CIH 548)، كما يتوجب على قاصدي المعبد الاغتسال، كغسل أجسامهم وملابسهم في أماكن خاصة في المعبد خصصت لهذا الغرض، والمخالف لذلك يعدّ ثماً يعاقب على فعله بالاعتراف العلني بالذنب وبدفع الفدية أو للكفارة التي يحددها الكاهن بأمر الإله. ومن المحرمات الشائعة سيلان الدم، ليس في الديانة الوثنية في اليمن القديم فحسب، بل شملت كثير من الأساطير اليونانية، فالدم يرافق النجاسة.

يذكر نقش عثر عليه في مارب أن امرأة قدمت قرباناً للإله (ذي سموي) وهي حائض فلزمتها الكفارة، وأخرى تضرعت للإله نفسه أن يغفر لها خطيئتها، ويتوب عليها حيث أخطأت بحق معبده فقد ذهبت إليه وهي على نجاسة(86).

فالنجاسة ليست مرتبطة بدم المرأة في فترة الحيض، أو النفاس — كما يعتقد البعض — بل سيلان الدم بشكل عام، حتى وإن كان جرحاً أو خدشاً في مكان مقدس كالمعبد، يعتبر تنكيساً لحرمة المعبد، وعلى المخطئ دفع الفدية. كما يحرم على مرتادي المعبد الشغب وإثارة الفوضى في بيوت الآلهة فالنقوش (CIH 548) يستحث عن عقوبة من يثير الشغب في الحرم، ومن يعمل ذلك يقدم ثوراً قرباناً وينفق المأكولات، وهذا ينكرنا بلزوم إطعام الفقراء والمساكين والأيتام في الإسلام عقب إهمال فرض من فروض العبادة.

1- النذور والهبات :

تمثل النقوش النذرية أكثر النقوش شيوعاً مقارنة بغيرها، حيث نجدها قد نحتت على جدران المعابد، وقد تحفر أحياناً على اللقطة المقدمة للآلهة، والتي هي عبارة لما عن الواح برونزية أو تماثيل حجرية أو معدنية، وأحياناً تحفر تحت القاعدة الحجرية الحاملة للتمثال.

لقد جاء في النقوش لفظة (نذر)، و (نذرم)، و(نذرن) (Ja702/3) والتي تعني تكفيراً عن ذنب، ويبدو من النصوص الكثيرة الخاصة بالنذور أن هذا النوع من الطقوس لعب دوراً هاماً في الحياة الدينية لقضاء اليمينين، حتى صارت لديهم بمنزلة المظهر للرئيس للتعبد، الذي يركز على التضحية والبذل المادي لإرضاء الآلهة.

وفي الغالب تقدم النذور بناءً على أوامر الآلهة، حيث يقوم الكاهن بإبلاغ المتعبد بنوع النذر المطلوب تقديمه للآلهة كشرط لمنح النعمة المطلوبة، أما لنوع هذه النذور فتتمثل في نذور مادية وأخرى من الأموال العينية سواء أكانت من بهيمة الأنعام ممثلة في الذبائح (CIH 306)، أم غيرها كالأراضي والمنشآت للزراعية، والتماثيل، المصنوعة من البروز أو الفضة ... مما كان المتعبدون من عامة الناس يقدمونه — كالفرد — لآلهة المعابد تقريباً إليها، وذلك وفقاً لما كان يرمي إليه الفرد من غرض من وراء تقديمه ذلك النذر أو القربان وحسب استطاعته وقدراته المادية، ويقدم المؤمنون بعض أجزاء الجسم المصنوعة من البرونز أو للفضة، هناك عدد من النقوش تتحدث عن طلب حماية الآلهة لبعض أعضاء الجسم كما جاء في عدد من النقوش نذكر منها (Ja 567 / 19-20) (و ب ر ي / أ ذ ن م) أي ليشفي الآن والمقصود بذلك يطلب من الإله سلامة الحواس، أو منح القدرة والسلطة والطاعة،⁽⁸⁷⁾ وعثر أيضاً على كثير من الأنوع والأرجل تمثل نظائرها للمريضة. أما ليد من البرونز فهي رمز لطلب الحماية، فقد عثر على يد معنى من البرونز تحمل نقشا عبارة عن إهداء للآلهة تألب ريام من قبل وهب تألب

تكن عمل الربط بالآلهة، بل تستخدم تلك الروائع الطبية لطرد الأرواح الشريرة أيضاً.

٤- الحج :

طقوس الحج معروفة في اليمن القديم، وقد جاء ذكرها في العديد من النقوش بلقطة (ح ض ر) كما جاء في نقش (Ja 651/17) و (و ف ر) من الفعل (هـ و ف ر) كما جاء في نقش (Ja 669/14-15) و (ح ج) كما جاء في نقش (CIH 547/6) والمعروف أن هناك فترات محددة من العام يمارس فيها المؤمنون الحج وعلى رأسه وضع قدماء اليمنيين تقويمهم السنوي، ولا شك في أن معبد الإله المقه (لوم) بمارب كان من أعظم المعابد الرئيسية في اليمن القديم التي كان يحج الناس إليها منذ عهد بعيد، ويأتون إلى هذا المعبد من مناطق متفرقة وأن بعنت جغرافياً، وكبير دليل على ذلك كثرة النقوش النثرية التي عثر عليها في هذا المعبد والتي تجاوز عددها (464) نقشا، ومن أهم النقوش المسبوبة التي سلطت لنا الضوء على موسم حج الإله المقه هو النقش (Ja 651) والذي يشير أيضاً إلى إقامة الإحتفالات والشعائر وينوه إلى استمرار هذه الشعائر إلى اليوم التاسع من الشهر، فقد تحدث للنقش عينة عن سلامة الجماعة التي أرسلهم سيدهم في مهمة وهي : مراقبة وخدمة الحجاج، والإشراف على أعمال بمدينة مارب أثناء انعقاد الحج السنوي الذي يقام في شهر (أبهي) من التقويم السبئي، الذي يصادف موسم الأمطار حيث قاموا بأعمال إنقاذ، فأعدوا بناء أسوار ومحافد (مارب) لحماية المدينة من اندفاع الميل⁽⁹⁰⁾.

فالحج السنوي لمعبد الإله المقه بمارب لا يتم من قبل المتعبدين في المعبد فقط بل هو إجباري على كل الأفراد من رجال ونساء وأبناء كما جاء في النقش (Ja 669)⁽⁹¹⁾، وإلزامي أيضاً على كل القبائل التي تدخل ضمن التحالف السبئي، مثال تحاد قبائل سمعي كما جاء في النقش (RES 4176) والذي يشير إلى أن الإله الخاص بتحاد سمعي (تألب ريام) أمر شعبه بالاشتراك في مراسيم الحج التي تقام في معبد المقه بمارب في شهر (أبهي) من كل عام، فتشريع الحج-الذي أسند إلى تألب جاء بصيغة الأمر الموحى به إلى اتباع الإله وهم قبيلة سمعي. كما تقام مراسيم الحج للإله (سين) في معبد بشبوة كما جاء في نقش (إرياني، 3، للملحق ب)⁽⁹²⁾ (ل ق ر ب / ح ض ر / م ي ن) .. لحضور حج الإله سين...

لما حج الإله (تألب) فيتم بمعبد (ريام) وجاء تشريع الحج للمقه في الأيام المقدسة لدى قبيلة سمعي وهي أيام الحج إلى تألب، وأشار (بيستون) إلى أن هذه المشروعية قد فرضت في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، وهو القرن الذي شهد

تحالفات بين سبأ وسمعي⁽⁹³⁾، وأوضح النقش (RES 4176) الطقوس التي كانت تمارس في الحج في معبد (ريام) للإله (تألب) :

الأعمال المحضرة :

- 1- يحضر الإله تألب على الحاج في منطقته دفع الرسوم الضريبية.
 - 2- يحضر رعي الماشية عمدا في يوم (ت ر ع ت)؟
 - 3- يحضر صيد للوعول للحوامل والمرضعات.
 - 4- يحضر سوق الناقة بطريقة تسبب لها الأذى في فترة الاحرام.
 - 5- يحضر على سمعي عمل كمائن صيد في فترة (الحج).
 - 6- يحضر الجماع (لثاء الحج) وهناك عدة نقوش تركزى هذا الحضر إذ يعد الجماع في الحج خطيئة يستوجب عليها للتكفير والاعتراف العلني بالذنب.
 - 7- يحضر على سكان (ر ه ب ت) من التباهي بالأباء في يوم (ت ر ع ت)
 - 8- يحضر للنزاع لثاء الحج.
- الأعمال المشروعة :

- 1- ذبح الماشية، فقد أمر تألب عن طريق لוחي ذبح سبععائة من الماشية في يوم واحد ويكون هذا الذبح بالوادي، كما يؤكد النقش على تقديم أضحية سليمة في الحج.
 - 2- فرض العشر على الماشية.
 - 3- إسداء مراقبة أملاك الإله تألب على عاتق الأكيال وسدنة المعبد.
- إن ما جاءت به النقوش ذكر في الأدبيات الإسلامية، فقد أشار الهمداني في كتابه⁽⁹⁴⁾ أن "بيت ريام" كان منسكا يحج إليه، ويضيف : " وهو في جبل (لثوه) من بلد همدان ... ولثوه : اسم اشتق من لثيان الناس إليه. أما (ابن الكلبي) فقد ذكر أنه كان لحمير بيت يقال له ريام يعظمونه ويتقربون عنده بالذبح وكفوا فيما يذكرون يكلمون منه⁽⁹⁵⁾، لقد أكدت النقوش تلك الحقيقة فبيت ريام معبد قديم من بلد همدان تؤدي فيه مناسك الحج، في أيام معمرة من العلم وتقدم للقرابين، والذبايح ويستجيب الإله لتضرعات وتنبؤات الحاج.
- ومن المدن التي يحج إليها في (الجوف) مدينة (بيل) برهش حاليا، وفي لثاء موسم الحج يمارس للحجاج شعائر طقوسية، منها : تقديم الأضاحي، والولائم، والطواف، والاعتراف العلني بالذنب، وهي عملية تطهير للنفس من الأخطاء والآثام التي ارتكبتها المؤمن، كما يكثر من الصلوات والدعوات.

5. الصيد المقدس :

تحدثت العديد من النصوص النصية عن الصيد المقدس وبالذات تلك التي يعود تاريخها إلى العصر السبئي الأول (مطلع الألف الأول قبل الميلاد) عهد المكارية، تتم ممارسة هذا النوع من الشعائر الطقوسية في تاريخ محدد من كل عام، ويقوم به المكاربة أنفسهم مصطحبين معهم كبار القوم والكهنة، فتذكر لنا النقوش موسم الصيد والمكان الذي يتم فيه الاصطياد، وتحمل الوعول، والبقر، والبقر الوحشي مكانة بارزة في مجال الصيد الديني المقدس.

ويتضح أن هناك صيد يمارس بواسطة للشرالك يقام للإله تالب ذلك ما اكده نقش (RES 4176/ 6-7) مشيراً إلى أن الإله (تالب) يحضر قبيلة (سمعي) من عمل كمان صيد في فترة الحج.

وهناك نقش باسم امرأة تدعى (ججمة) تصف بـ (ذات بيت يتبع أمر) أي صاحبة بيت (يتبع أمر) وهو أحد المكربين حكام سبا. مثل هذا النقش يشير — دون أدنى شك — إلى أن المرأة لها حق للمشاركة في الصيد المقدس فهي تخرج مع الخارجين، وتسكر في اللبادية، فيكون هناك صيد باسمها.

ومن النقوش أيضاً نقش للمكرب (يتبع أمر بين بن سمه علي) يوم خرج لتأدية ما يسمى بصيد عتتر (RES 3625)، وصيد تالب (RES 4176)، ويرى بيستون أن صيد عتتر يعني صيد الحيوانات التي تهدى للإله (عتتر) ومنها الوعول أو للإله (تالب) وهذا تفسير فيه كثير من المنطق.

أما نقش (Ja 949) فيتحدث عن رحلة صيد قام بها الملك الحضرمي (يدع إل بين بن رشمس) من أحرار يهبط كنوع من الشعائر الطقوسية لغرض حصوله على حظوة الآلهة عند توليه الحكم، وبمناسبة ما قام به من منشآت معمارية في عاصمته (شبو)، فقد اصطاد لذلك خمسا وثلاثين بقرة، ولثنتين وثمانين وعلا برياً، وخمسة وعشرين غزالاً، وثمانية من الفهود، قدمهم جميعاً قرابين للإله (سين).

فالصيد له أهمية محددة والإخلال به يوجب الكفارة حتى لا يتكرر مثل ذلك، فهناك شخص أو جماعة لم يؤدوا الصيد المقدس للإله حلقان في شهر (ذ م و ص ب م)، وذلك عندما ضعنوا إلى (يثل) لحرب حضرموت وقاموا بدلاً من ذلك بالحج لإله آخر هو (نو سموي) بيبث، ولجئوا صيدهم المقدس حتى شهر (ذي عتتر) لذا وجب عليهم التكفير (CIH 547/3-8) (96).

6 — صلاة الاستسقاء :

من الطقوس التي مارسها اليمنيون قديماً الاستسقاء لغرض التقرب إلى الآلهة من أجل نزول المطر عندما تصاب المنطقة بجفاف يهدد حياة السكان، فيقدمون القرابين والأضاحي لنجها في العراء، ويردد النلس الأدعية والأنشيد الجماعية.

وأهم نقش يحدثنا عن صلاة الاستسقاء هو (Ja 375) يتم لنا هذا النقش وصفاً ينبض بالحياة للكيفية التي يتم فيها ممارسة الطقوس الخاصة بالاستسقاء، فيحدثنا النقش عن ما أصاب بلاد سبأ من قحط شديد بسبب الجفاف، ونذرت الأمطار الذي استمر عام ونصف العام، مما دفع بقبيلة سبأ وبنات مارب للمسير إلى معبد الإله المقه (معبد أولم) في موكب ديني حيث أطلالوا دعواتهم، وتضرعاتهم، وأكثروا من تقديم القرابين، ومن للطواف إلى أن تمت الاستجابة لدعوتهم في اليوم نفسه، فهطلت الأمطار بغزارة وملأت مياهها حقول الزرع، وروت كل الوديان والحقول.

يشير النقش إلى أهمية إقامة الشعائر الطقوسية الخاصة بالاستسقاء ودور المرأة الهام في تأدية تلك الطقوس الدينية، وقد أكد (بيمتون) ذلك مضيفاً إلى أن دور المرأة في تأدية الشعائر الطقوسية، إنما هو تأكيد على الخصوبة،⁽⁹⁷⁾ وقد أكد النقش على أن من شارك إلى جانب رجال القبيلة هن (بنات مارب) أي الفتيات (ربما البكر) وربما يكون لذلك دلالة خاصة، واستجابة لكيدة من الإله. كما يتضح من النقش أيضاً أن إقامة الصلوات يتبعها حتماً قبول الدعوات.

وهناك نقش (Ja 658/1-12) يتحدث عن صلاة الاستسقاء قلمت بها قبيلة (سبأ كهلان) للإله المقه لغرض أن يمنحها المطر بعد جفاف، ويعطيهم الإله إشارة بتحقيق ما طلبوه منه، وبعد ذلك حقق لهم الإله مرادهم بأن أنزل عليهم المطر، وكان نزول المطر في اليوم الرابع،⁽⁹⁸⁾ إلا أن هذا النقش لا يصور الممارسات المتبعة في الاستسقاء كما هو الحال في النقش السابق.

وحتى عهد قريب لم ينكر العلماء وجود نوع من الأدب الديني عند قنماء اليمانيين، خاصة بعد أن عثر على قصيدتين كتبتا بخط الممسند، عبارة عن دعاء استسقاء، أحد تلك الأناشيد يتوجه صاحبها بالدعاء إلى الإله (كهل) وهو الإله الرئيس لقبيلة (كندة)، طالباً المطر بعد اشتداد أزمة القحط حيث شحت الأمطار وجفت الأبار والوديان⁽⁹⁹⁾.

وهناك نقش آخر عبارة عن دعاء عثر عليه بولادي (قافية) على بعد (250 كم) جنوب شرق صنعاء، وهو موطن قبيلة آل معاهر (أقال ريمان وذو خولان)، في ذلك الموقع شوهدت صخرتان نقش عليهما كتابات ومخرشات بخط الممسند ورسومات حيوانية وأدمية كصور الوعل، وصور شخص يحمل رمحا، واللائق للنظر أنه في خاتمة كل سطر يوجد حرفان مكرران هما (الحاء) و(الكاف) (ح ك)، والقصيدة مكونة من سبعة وعشرين سطرًا، فالقصيدة في مضمونها عبارة عن نشيد يتقرب فيه المواطنون إلى إلهة الشمس، لإنزال المطر بعد جفاف شديد، كما يحتوي

النص على الابتغال والاستمقاء وكأنه لشودة للمطر فهي لا تختلف عن القصيدة الدينية المشار إليها سابقاً.

7_ الاعتراف العلني :

تمثل الاعترافات العلنية بالذنب أحد الشعائر الطقوسية التي تمارس من قبل المتعبدين. فقد كشفت لنا بعثات الآثار عن عدد من النصوص النقشية التي تحتوي في مضمونها على خروقات مارسها بعض الأفراد تتعلق بالشعائر الطقوسية، والبعض منها تتعلق باتحرافات أخلاقية.

فالاعتراف العلني بالذنب يعتبر شرطاً أساسياً من شروط الغفران، وتقبل الآلهة للتوبة المرجوة من المؤمن. وإلى جانب المجاهرة بالذنب تدفع غرامات مالية ككفارة، وتسجل تلك الاعترافات على لوحة من البرونز تعرض في المعبد، فالإقدام على مثل تلك الاعترافات تتطلب شجاعة أخلاقية عالية، وتشهد - دون شك - على الانصياع المطلق للإنسان في طاعة الآلهة، وهذا يعكس التطور البالغ الأهمية الذي وصل إليه اليمينيون قديماً في الجانب الفكري والديني.

وتتم تلك الاعترافات أما بشكل جماعي يجاهر بها المؤمنون في مواسم الحج، أو بشكل فردي في لوقت مختلفة. والملاحظ أن أغلب نصوص الاعتراف التي تم اكتشافها حتى الآن دونست بلهجة منطقة (هرم) (الحزم لليوم) في الجوف، وقد سجلت من قبل بعض الأشخاص للآلهة (ذي سموي)، أو الإله (نكرح)، ونجدها في مناطق أخرى نتم بنص للهجة ولنفس الآلهة في معبد الإله (حلفان). نماذج من نقوش الاعتراف :

1- نقش (CIH 547) ينكر أن أهل أمير وأهل عتتر يعترفون ويكفرون عن خطيئتهم للإله (حلفان) لأنهم لم يؤدوا الصيد المقدس في مواعيد المحدد، ولن يكرروا مثل ذلك مرة أخرى، وليتقبل الإله (حلفان) توبتهم¹⁰⁰.

2- نقش (CIH 523) سجل هذا النقش شخص يدعى (حرم بن ثوبان) يعترف للإله (ذي سموي) باقترافه عدد من الخطايا تعد في نظر القانون القدسي من الأثام التي يستحق مرتكبوها العقوبة الشديدة، فالمنتقم بالنقش يتضرع ويتوسل للإله طالباً للمغفرة والتوبة لما ارتكبه من خطايا تتمثل في :

- قارب امرأة في فترة التحريم.
- دخل على نفلس وهو غير طاهر وكسوته غير طاهرة.
- لمس أنثى حائضاً ولم يغتسل وكانت كسوته متسخة.

ويعد اعترافه هذا نوعاً من التذكير وعلى الإله قبول أو رفض ذلك الالتماس.

3 - النصوص النقوشية هذه (CIH 568,532,533) تتضمن اعترافات لسماء يظهر أنهن كن عبيداً للمعبد، إحداهن تعتذر عن خطيئة غير محددة، وأخرى تعتذر

عن كونها ارتكبت خطيئة مع رجل في اليوم الثالث من الحج ولم تغتسل بعد من الحيض، ويستحدث النقش الأخير عن امرأة ارتكبت خطيئة مع رجال في المعبد وقامت بالطواف حوله وهي متسخة، كما قامت بخطيئة خفية، وارتكبت خطيئة أيضاً مع رجل⁽¹⁰¹⁾.

4 - نقش (RES 3956) يتضمن اعترافاً لامرأة خادمة للإله (ذي سموي) كونها ارتكبت قميصاً نجساً ومرقعاً حيث قامت بترقيعة بطريقة تخفيه عن أسباده (الهنات) (نو أنيت وذي سموي).

نقش آخر سجلته قبائل (بني غضب) و(نمت) وشعب مدينة (مدر) ومزارعهم الأحرار وجنودهم ومواليهم، جميعهم وقفوا للآلهة (نوشم) بركة ماء نظير استخدام البركة المقدسة في سقي الماشية والاستحمام، وكانت توقع عقوبة على انتهاك هذه القواعد، فالحيوان المعتدي يقدم قرباناً للإله (تالب) ولقرينته الآلهة (نوشم) كما أن من يخترق قواعد الاستحمام يجلد خمس جلادات، ومن يعلو ذلك يدفع غرامة (خمس بلط) - عملة لم تعرف هويتها - على كل مرة يفعل فيها ذلك⁽¹⁰²⁾.

ومن نقوش الاعتراف نقش جديد بالرغم من أنه دون بلهجة مدينة (هرم) إلا أنه عثر عليه في (مارب) حيث كان يقدم للشخص طالب المغفرة، يقول النقش : " يسمع إل بن إلي شرح ... يعترف بخطيئة اترفها وكفر عنها الإله (ذي سموي) بمنطقة (سدرع) وذلك بأنه تخطى حدود البطحه (حرم مخصص لعبادة الإله ذي سموي)، وهو عابر، وبأنه ألقى تراباً في البئر (المحجورين لإله المشار إليه) وهو غير طاهر، وصعد إلى موقع تقديم القرابين ولم ينور عليها (أي يقدم قرباناً) فشعر (بما اقترفه من خطيئة) ولذلك انتابه شعور باحتراف الخطيئة بحق الإله فتضرع له، وثاب عن إتيان مثل ذلك للعمل مرة أخرى⁽¹⁰³⁾.

إن تلك الخروقات الأخلاقية والتي تمس الشعائر الطقوسية تعتبر مخلة للقيم والأخلاق حتى صارت في حكم القوانين المقدسة، منذ عهد بعيدة فجاء الإسلام وأقر ذلك التحريم فكانت الطهارة من الشروط الهامة، وقد حرم الله دخول المسجد على من أشرك بالله باعتباره نجساً كما جاء في محكم ليقته : "... وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهروا بيتي للطائفين والعاكفين" وسورة (البقرة : 125/2) وفي قوله تعالى : "ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعترفوا للنساء في المحيض ولا يقربوهن حتى يطهرن" . (البقرة : 222/2)، وقوله في سورة التوبة : "يا أيها الذين آمنوا إنما للمشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام (... (28/9).

سلاماً : معتقدات أخرى :

1- الإيمان بالحياة الثانية :

لقد أعطى قدماء المصريين كثيرهم من الشعوب الحضارية الأخرى عناية فائقة بالقبور والموتى، فأحيطت جثث الموتى باهتمام بالغ حيث وضعت على مقربة من الميت أدوات منزلية، وألوات زينة، وأسلحة، ومواد جنائزية ... كل ذلك كان يشير إلى اعتقادهم بالبعث والخلود بعد الممات، وأن الميت في اعتقادهم سيحتاج يوماً إلى أدواته وأسلحته.

وقد أسفرت التنقيبات الأثرية في اليمن على أنماط مختلفة من القبور، منها القبور الصخرية كتلك التي عثر عليها في (شبلم الغراس)، ومنها في (ضهر) وقبور تليها كقبور (شبو) و(حريضة)، وقبور حفرت في الأرض كقبور وادي (ضراء) تلك المقابر في جملتها امتازت بوفرة مواردها للجنائزية، كما عثر على شواهد قبورية تنصب فوق القبور وتحمل أسماء الموتى، وأحياناً نجد على تلك الشواهد صيغ دعاء ضد من يعتدي على حرمة القبور. كما تم الكشف عن طرق متعددة للدفن مرتبطة - دون شك - بالشعائر الطقوسية والتصورات الدينية، وبما أن الجنة قابلة للتحلل، نجدهم في بعض المناطق كـ (شبلم الغراس) قد قاموا بتحنيط للجثة بأسلوب محلي صرف مستخدمين مواد التحنيط المتوافرة محلياً، وبأسلوب يختلف عن أسلوب التحنيط عند قدماء المصريين.

لقد رافق الإيمان بالحياة الثانية عبادة الآلهة الفلكية المتعددة ويبدو جلياً أن هناك كثيراً من النقاط المشتركة، ولا عجب في ذلك الالتقاء فالشواهد المادية لكثير من المستوطنات القديمة ولمعابدها، وقبورها تؤكد ذلك الالتقاء، فالمقبرة تبنى بالقرب من المعبد، بل يقامان في مكان واحد، وهذا يضع سؤالاً جديراً بالدراسة والبحث حول العلاقة بين المعبد والمقبرة، حيث تؤكد الشواهد النقشية على أن المعابد والمقابر بنيت في فترة واحدة كمعبد (أوام) للإله (المقه) في مأرب، والمقبرة، ولعل الاحتمال الأول لمثل تلك العلاقة هو تسهيل ممارسة الشعائر الطقوسية للموتى، كما أن تلك المقابر في الغالب ملكية، أي تضم شخصيات من السلالة المالكة، وهذا يبرر العناية للفائقة لها والحرص على تشييدها بالقرب من المعبد، فالآلهة قوة خارقة والملوك قوة مهيمنة ويدها السلطة الإلهية على الأرض، ولا بد من أن يكون للملوك نسب وأن تكون لهم قرابة بالآلهة. وهذا ما يبرر انتساب الملك والشعب لإله، مثل : شعب (قتبان) يسمى أولاد (عم) الإله القومي لهم، وملكهم يسمى (كبير أولاد عم)، كذلك الشعب السبئي يسمون أنفسهم بأولاد (المقه)، وملوك لوسان يعتبرون أولاد (ود) محبوبهم للوطني (104).

2- السحر :

في الوقت الذي اعتقد فيه عرب الجنوب بالآلهة الفلكية وبقواها الخارقة، نجدهم يؤمنون بحياة بعد الممات، كما توضح النقوش اعتقادهم أيضاً بالسحر والأرواح (الشريرة) والحسد، والعين، هذا الاعتقاد لا يقتصر على قدماء اليمانيين فحسب بل شمل كل الشعوب السامية، والمعطيات الأثرية كشفت لنا عن عدد من (الحجابات) لو (التميمات) أو (التعاويز) المصنوعة إما من الفضة ⁽¹⁰⁵⁾ لو من الحجارة لو من الخشب (RES 3305، CIH 473، CIH 474).

وقد تحمل تلك التعاويز كلمات لو رموز مثل (ود لب) الإله (ود)، لو (لبو ود)، وقد عثر على تمثال لخروف صغير من البرونز نحت في فخذه الأيمن صيغة (ود لب) (RES 4083)، كما نقرأ أيضاً على التعاويز (جمو ود) أي (ود للحامي) (CIH 591، 592) كما عثر على تمثال لرأس جمجمة استخدمت كتعويذة لها تأثير سحري (CIH 695) ⁽¹⁰⁶⁾.

كما نلمس من النقوش الاعتقاد القوي بالعين (عين الحسد) التي تسمى في السقوش (ش ص ي) ففي نهاية أغلب النصوص النقشية نجد دعاء بالحظ للتعين (وي ل ي) لكل من ينتهك حرمة ذلك النقش. مثال ذلك في نقوش () CIH 314، (954، GI 424). كما نجد في نهاية أحد النقوش، الملك (نمار علي وابنه ثارن) أعادوا بناء سد لضمان الري في أرضهم بمباركة الآلهة، وفي نهاية النقش نجدهم يلعنون ويدعون بالمصيبة ل (سميدع) المقصود — دون شك — شخص معين الذي قد يسبب لهم ضرراً كما يدعوا بالأذى لكم الأعداء ⁽¹⁰⁷⁾.

وفي نقش (إرياتي 27) خطبة (رب لريم) (شرحت لزن) والإبن (يفع) من بني (كبسي) أقيال قبيلتي (تنعم وتنعمة) حمداً للإله (المقه) لما حقق لهم من أمنيات، وفي نهاية النقش نجدهم يتوملون إلى الإله ليجنبهما البلاء وشرو كل عو حندا ⁽¹⁰⁸⁾ مثل تلك الصيغة التي تجسد الخوف من الحسد نجدها في كثير من النصوص النقشية، كما نجد في عدد كبير من النقوش صورة اليد اليماني تزين إطارات بعض النقوش (RES 2831) فهي ترمز في الغالب إلى طلب الحماية، ونجدها تحت على الصخر وتقدم اليد اليماني كنذر للآلهة، وقد عثر على يد من البرونز وهي إهداء من شخص يدعى (وهب تالب) من قبيلة (يرسم) يهدي يده اليماني للإله (تالب ريام) طلباً للحماية الإلهية، ⁽¹⁰⁹⁾ ونرى أيضاً رسم الجمجمة الذي يدل على التسليم. ومن النقوش ذات الطابع السحري نقش (RES 3870).

ولا يزال تراثنا غنياً بمثل تلك المستندات الموروثة، وما زال يعلق من تعلب على رقاب كثير من الأطفال في القرى الريفية، ومن التعلب يرمز إلى الهلال،

وبلبس كنوع من طلب الحماية، كما نجد على بعض المنازل أرون الوعل والثور، حتى يومنا هذا.

ملاحظ : العقيدة الدينية وإثراها على حياة المجتمع :
كما تبين سابقاً أن العقيدة الدينية عند قدماء اليمانيين كانت مصدراً للقواعد والسلوك في الحياة الاجتماعية، ترجمت إلى شعائر طقوسية وفرائض وشرائع تنظم حياة الفرد والمجتمع بمختلف مؤسساته فتصبح أساس التنظيم ومصدر الحكم والإدارة ؛ لهذا نجد أن أغلب النقوش قد مسحت بمسحة دينية سواء أكانت نقوشاً إنسانية أم سباسبية،⁽¹¹⁰⁾ فكل نشاط إنساني ذو أهمية معينة سواء أكان عاماً أم خاصاً، مثل بناء سور المدينة، أو منشآت ري أو بناء منزل أو قبر نجد له نقشاً يوكله لحماية الآلهة حمداً ووفاءً على ما تحقق لأصحاب القرابين من أمنيات تمنوها يطلبون في مضمونها : الحماية من أي مكروه، فتمثل للنذور نوعاً من التعبير عن الشكر والرضاء والوفاء.

كما يستعين المؤمن بالآلهة من أجل نزول الأمطار، عندما يعم الجفاف المنطقة، كل ذلك يجعل رولبط الصلاة بين المؤمن ومعبوده قوية، بل أننا نجد للعقيدة تتغلغل في نفس الأفراد لدرجة لا يبخل فيها المؤمن بأن يقدم للآلهة زوجته، وحواشي وأبنائه، وممتلكاته وذكرته قلبه (RES 2693) فكان مثل هذا التدوين العميق يشكل حياة الفرد ويخلق لها التوازن والاستقرار.

إلى جانب الدور الاجتماعي نجد أن العقيدة الدينية تلعب دوراً بارزاً في الحياة الاقتصادية فالإله يحصل على (العشر المقدس) من المحاصيل الزراعية، ومن الثروة الحيوانية، ومن الضرائب المخصصة، بالإضافة إلى الأشكال الأخرى من العوائد والهدايا. مثل تلك الموارد تغطي مصاريف الصيانة والترميم للمنشآت الدينية، وينفق منها على المصالح التابعة للمعبد، وعلى الكهنة، كما يتم صرف تلك الموارد بقوانين خاصة يصدرها المعبد،⁽¹¹¹⁾ كما يستفيد المزارعون من أراضي المعبد التي تزجر لهم بشروط محددة.

أما على المستوى السياسي فنجد للعقيدة الدينية دوراً هاماً في ترسيخ دعائم الدولة، حيث صبغت للدوليات اليمنية القديمة بصبغة دينية منذ بداية نشوئها، فالعلاقة بين الكيان السياسي للدولة والعقيدة تتجسد في فكرة الدولة بأركانها الثلاثة الإله الوطني، والملك، والشعب، فهذه العلاقة الثلاثية نجدها في معظم النقوش السبئية تعبر عن المولخاه والتحالف الوثيق بين أركان الدولة : الإله والملك والشعب، فقد جاء في نقش (Ja 455) العبارة التالية : 'بأخرة المعقه، ويدع إل بين ومبا' يشير النص إلى علاقة المولخاه التي تربط أركان الدولة السبئية.

وهناك نقش (RES 4176) يشير إلى دور المعبد في توطيد دعائم الدولة، وهو عبارة عن مرسوم صادر عن الإله (تألب ريام) إله اتحاد قبائل (سمعي) يلهمهم بضرورة الاشتراك في مراسم الحج السنوية التي تقام في معبد الإله (المقه) خارج مدينة ملارب. يؤكد هذا النقش تبعية اتحاد قبائل (سمعي) رسمياً للدولة السبئية، كما أن مئات النقوش التي عثر عليها في معبد (المقه) بملارب، تحكي عن الدور السياسي للمعبد في عهد ملوك (سبا وذي ريدان) فهي تذكر لنا أسماء القبائل التي كان لزاماً عليها - بعد خضوعها للدولة السبئية - أن تعترف بالسلطة الرسمية للإله (المقه)، وذلك عن طريق تقديم القرابين في معبده لرئيس (لوم).

ولغرض تثبيت النظام والاستقرار السياسي أعطت الدولة لنفسها نوعاً من القومية، وأنه لا فرق بينها وبين الإله، فأى تمرد على الدولة يعتبر تمرداً على الإله الرئيس للدولة كما جاء في نقش (Ja 577) يحكي هذا النقش قصة تمرد إحدى الشخصيات الكبيرة من قبيلة خولان الجديدة كما جاء في النقش، والمقصود بذلك (خولان صعدة)، فاعتبر ذلك التمرد موجهاً ضد سلطان إله الدولة السبئية (المقه)، ثم حدثنا النقش عن الحملة العسكرية التي أرسلت من قبل الدولة السبئية للقضاء على ذلك التمرد والتي انتهت بالنصر المؤزر، وهزيمة المتمرد هزيمة نكراء.

أما فيما يخص العلاقة بين إله الدولة القومي والعرش، ينكر النقش (بريتي 12) عندما قدم الملكان (ياسر بهنعم) ولينه (شمر يهرعش) إلى ملارب واعتليا مدة الحكم في سبا (في أواخر القرن الثالث الميلادي) حينها قاما بتقديم القرابين لإله (المقه) بعد وصولهما مباشرة، وهذا دليل على أن الوصول إلى عرش الدولة يتطلب للاعتراف الرسمي من قبل حاكم الدولة.

مثل هذا الإجراء نجده في نقوش حضرمية كتبت لنفس الغرض، من هنا تبرز مكانة الإله الرسمي للدولة كمصدر السلطة السياسية العليا.

وقد برز مجال الدين في مجال علاقة الدولة السبئية بالدويلات اليمنية الأخرى التي كانت على علاقة معها، فالنقش (RES 3945) يشير إلى المؤلخاة التي قامت بين سبا وحضرموت وقيبان يقول النقش : أن حضرموت وقيبان أقامتا مؤلخاة مع الأركان الثلاثة للدولة السبئية (المقه) و(كرب إ) الملك السبئي لذلك، و(سبا) للقبيلة.

كما كان الملوك حين يحاربون أعدائهم ويهزمونهم يقسمون الغنم بما فيها الأسرى مع الآلهة، ويعمنون أحياناً إلى قشط أسماء آلهة العدو من النقوش، عن ذلك يحدثنا مكرب سبا (كرب إ وتر) في نقشه (RES 3945) عن الحروب التي خاضها ضد لوسان ومن وقف معها، فقد جاء في النقش بأن المكرب السبئي (كرب إ وتر) قد شن حملاته العسكرية على مناطق متعددة في الجنوب والشمال من

سولحل البحر الأحمر جنوباً وحتى نجران شمالاً باسم الإله (المقه) وباسم (سبا) حيث قام بتكمير، ولخضاع، وضم الكثير من المناطق المعادية، وعند تأديبه لمدينة (نشن) في الجوف، لم يحرقها ولكنى بإزالة أسوارها، ثم فرض على ملكها (سمه) يفسح) أن يقبل بإستيطان السبئيين فيها، وأن يبني بوسطها معبداً للإله (المقه)، أما (نشق) فهي من مدن الجوف أيضاً، فقد استولى عليها كغنيمة لإله (المقه) و(سبا) فظلت من يومها مدينة سبئية مهمة⁽¹¹²⁾.

كل تلك الشواهد تؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - على الأهمية التي احتلتها العقيدة الدينية في تنظيم المجتمع وترسيخ دعائمه.

ثامناً : البدايات الأولى للتوحيد :

شهدت العقيدة الدينية تطوراً ملحوظاً عبر عصورها التاريخية المختلفة، حيث تأثرت بشكل أو بآخر بالتغيرات السائدة آنذاك على الساحة المحلية والدولية منذ مطلع الميلاذ، وتُورد لنا النقوش اسم أحد الآلهة وهو الإله (ذي سموي) الإله للرئيس لقبيلة (أمير) المتمركزة بين الجوف ونجران، كما نجد عبادته قد انتشرت في مناطق أخرى من اليمين، ومن النصوص التي تذكر الإله (ذي سموي) نقش يعود إلى القرن الأول الميلادي عثر عليه في موقع (هجر بن حميد) بارض قتبان، وقد نقش على لوحة برونزية⁽¹¹³⁾، وقد ذهب بعض العلماء بأن الآلهة (ذي سموي) يعني الإله (رب السماء).

ومنذ القرن الرابع الميلادي شهدت المنطقة تحولات دينية خطيرة، شكلت منعطفاً تاريخياً هاماً، أثر بشكل مباشر على سير الأحداث السياسية في اليمين القديم، فقد تخلى ملوك وشعوب المنطقة منذ ذلك القرن عن التقرب إلى الآلهة الوثنية، ولحقت صيغة الدعاء والتقرب لتلك الآلهة، وحلت محلها صيغة جديدة ذات طابع توحيدي غامض شبيه بمذهب الحنفية.

ولأول إشارة واضحة وصريحة للتحول الديني، جاءت في النقش (جربيني بيت الأشول²) يقول النص : ملكي كرب يهامن وأبناؤه أبي كرب أسعد ونرا أمر اليمن ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنة استكملوا بناء قصرهم .. بعون إلههم رب السماء في شهر ذو ذولان من سنة (493) بالتقويم الحميري، أي ما يوافق (378) ميلادي⁽¹¹⁴⁾.

لا يمكن أن نعتبر هذا النص يهودياً ولا مسيحياً لكنه يحتوي على صيغة توحيدية غامضة، ومنذ هذا القرن يتوقف الملوك وقبايعهم من التقرب إلى الآلهة الوثنية التقليدية في معبدها المعروفة، ويبرز الإله (ذي سموي) بوصفه الإله للرئيس الأوح وتختفي أسماء سائر الآلهة، بذلك يمكن القول أن اليمينيين اعتنقوا ديانة توحيدية غامضة باستعمالهم أسلوب التجريد، والتجريد كما هو معروف يعتبر

الخطوة الأولى في اتجاه التوحيد، في الوقت ذاته يرى بعض المؤرخين أن العقيدة الغامضة قد تكون قريبة من مذهب الحنفاء، في ذلك المذهب يقول الله تعالى في محكم آياته : "وكنك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين • فلما جن الليل رآه كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين • فلما رآه للقمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لنن يهمني ربي لأكونن من القوم الضالمين فلما رآه الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفل قال يقوم إني برئ مما تشركون • إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا. وما أنا من المشركين." (سورة الأنعام : 6 / 75 - 79).

وقد ذهب بعض المؤرخين بأن ديانة العرب في جوهرها ديانة توحيدية مستتين إلى انتشار اسم الإله (إل) عند الشعوب السامية وأنه يمثل الإله الواحد⁽¹¹⁵⁾. بعد ذلك تأخذ العقيدة التوحيدية الغامضة تطورا جديدا بظهور اسم (الرحمن) كما جاء في أحد النقوش (CIH 540) (رحمن / هـ أ ل / م م ي / و أ ر ض ن)، الرحمن رب السماء والأرض، وتكرر اسم الرحمن في عدد من النصوص النقشية، وقد عثر على حصان من البرونز كتب عليه (الرحمن سيد السماء والأرض) (RES 4107) وهناك بعض النقوش تلمح لمعبد (الرحمن) (Ry 250) (GI 389)، فالرحمن اسم علم وليس نعتا كما يراه بعض المؤرخين، فقد جاء في القرآن في أول آية "يسم الله الرحمن الرحيم" فلمس (الرحمن) يأتي بعد اسم للجلالة الله، ثم اسم (الرحيم) أي الرؤوف، ويانتشر الديانتين اليهودية، والمسيحية شاع ذلك الاسم عند معتقي الديانتين.

وقد أثار اسم (الرحمن) عندما ذكر لأول مرة في القرن الكريم جدلا لثارته قريش إذ خيل إليها أن الدين الجديد الداعي إلى التوحيد قد ناقض نفسه عند (صلح الحديبية) لكن القرن حصم الموقف بقوله : "قل ادعوا الله وادعوا للرحمن إيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ... (سورة الإسراء : 17 / 110)، فازال ذلك الالتباس، وبه سميت إحدى سور القرآن⁽¹¹⁶⁾.

ومنذ القرن الرابع الميلادي نجد الديانة اليهودية تحتل حيزا هاما في الحياة الدينية لعرب الجنوب، فقد اعتنقها ملوك حمير واعتنقها عدد من القبائل اليمنية، لما تاريخ دخولها إلى اليمن فغير معروف، كما أن النقوش التي تحمل طابعا يهوديا محدودة للغاية، وقد سجلت جميعها في الفترة التي اعتنق فيها ملوك حمير لليهودي (Ja 669, 671) وعلى الرغم من أن بعض الدراسات التاريخية تشير إلى أن وصول الديانة اليهودية إلى اليمن كان قد تم بواسطة بعض الجماعات اليهودية التي تشتت في بلاد العرب هربا من اضطهاد لباطرة الروم ويطشهم، لا سيما بعد تخريب بيت المقدس عام (70م) فروا من الصحراء ونزلوا في جاليات صغيرة

على الطريق التجاري المنتجة جنوباً صوب اليمن. إلا أن هذا الرأي لم يظهر له دليل مادي حتى الآن.

فلتقم نقش يهودي حمل صيغة توحيدية واضحة هو نقش (جربني بيت الأشول ١) والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي (378م تقريباً)، عثر عليه في جدار منزل في ظفار - العاصمة الحميرية - يقول النقش: "يهودا بك بنى وأسس قصره (يكرب) بعون وتأييد ربه الذي خلقه رب الأحياء والأموات، رب السماء والأرض، الذي خلق كل شيء وبصلوات شعب إسرائيل وبعون سيده نرا ليمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت .. لقد كتب النقش بخط الممسند إلا أن عبارته يهودية، فكتب للنقش يحمل اسماً يهودياً وآخر يمينياً عريقاً. (١١٧) وهناك نقش آخر يهودي للصيغة يحمل اسم الرحمن وينعت برب إسرائيل وسيد يهودا (CIH 543).

كما نجد من بين نقوش القرن الرابع والخامس الميلادي استخدام المصطلح الختامي (السلام) (RES 534) أو كلمة (ليمن) أو اسم قوم إسرائيل (ي ز ر إل). نقش آخر يحمل صيغة يهودية يعود إلى القرن الخامس الميلادي (433م) وينتهي بالعبارة التالية: "شلولم شلولم سيد بكيل" (١١٨).

وهناك من المؤرخين من يعتقد أن الملك الحميري (أبي كرب أسعد) قد اعتنق الديانة اليهودية، وقيل أنه نشرها بين اليمينيين، ويرى الأخباريون ومنهم (أبي سعيد الأنلسي): "أن الملك الحميري دعا اليمينيين إلى إتباع اليهودية، فاتفقت حمير على اليهودية منذ ذلك الزمان وهدموا بيوتهم الذي كانوا يعبدونه (١١٩)".

إن التحولات الدينية لم تظهر في اليمن فحسب، ففي الوقت ذاته، نجد أن للديانة المسيحية تحتل مكانة مرموقة بين الديانات، وبالأخص منذ عام (313م)، عندما اعتنق الامبراطور الروماني (قسطنطين الأكبر Constantius) تلك العقيدة الدينية، فأصبحت ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية منذ عام (330م)، منذ ذلك الحين بدلت البعثات التبشيرية تجد طريقها إلى كثير من البلدان، ومنها الحبشة، عندما وصلت بعثة تبشيرية بزعامة (فرومنتوس Frumentius) إلى الحبشة في عهد النجاشي (عيزنفا)، واستمرت الوفود التبشيرية، حتى كالت جهودها بالنجاح، إذ ترك الأقباط الديانة الوثنية واعتنقوا للمسيحية. فالهدف الأساسي لملوك الروم من وراء ذلك الإصرار لم يكن دينياً بل سياسياً محضاً، فالحبشة تحتل موقعا إستراتيجياً هاماً، فهي تقع على طريق تجارة الهند من ناحية، وعلى تخوم بلاد مصر، وتجاور جنوب شبه الجزيرة العربية - اللحم القديم للرومان - من ناحية أخرى.

فقد وصلت الديانة المسيحية اليمن عن طريق الحبشة، وعن طريق البعثات التبشيرية القادمة مباشرة إلى اليمن، وكان ممن أرسلهم الإمبراطور (قسطنطين الأكبر Constantius) المبشر (ثيوفيلوس Theophilus Indus) الذي وصل إلى اليمن للتبشير بالديانة المسيحية ولبناء ثلاث كنائس للتجار الرومان، واحدة في (عدن) والثانية في (ظفار) عاصمة حمير، والثالثة في (هرمز) على الأرجح (120).

فالوجود المسيحي تركّز في عدد من المدن اليمنية منها : نجران، وجزيرة سقطرى، ومأرب، وحضرموت، والأقاليم الساحلية المواجهة للحبشة (121). أما الإشارات الصريحة للديانة النصرانية في اليمن فيعود تاريخها إلى عهد الملك الحميري (يوسف أسار يثار) اليهودي العقيدة (Ja 1028, Ry 507, 508)، في تلك النقوش يتحدث الملك عن صراعه مع الأقباش والمسيحيين وعن حرقه لكنائسهم في كثير من مناطق اليمن (122) وقد ركّز هجومه على الأقباش في (ظفار) للعاصمة الحميرية، ومنطقة (الأشاعر) و(فرسان) والمخا (المناطق النهائية) و(نجران) بؤرة الوجود المسيحي، إن اعتناق ملوك اليمن والقبائل الموالية لهم للديانة اليهودية، كان نكالية للأقباش ولسمعتي الديانة النصرانية، الذين انتشر وجودهم في اليمن، أي أن الصراع كان سياسياً - اقتصادياً في جوهره وعقائدياً في شكله.

وقد وجد الأقباش للزريعة الملائمة لتأديب اليمنيين، عن طريق التخلل العسكري بمساندة بيزنطة، وتم لهم ذلك، وبخول الأقباش اليمن عام (525م) أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للبلاد، وكان أول ملك حميري يعتنق النصرانية بشكل رسمي هو (معدى كرب) الذي حكم قبل الملك (يوسف أسار) في القرن الرابع الميلادي، ثم الملك اليزني (سميفع أشوع) الذي سجل لنا نقشاً استهله بالعبارات التالية : 'بخيل (بقوة) وردة ورحمة الرحمن ولينه الكرلايشث (للمسيح) نفس القديس'.

أما أبهره فقد استهل نقشه أيضاً بنفس الصيغة مع اختلاف في بعض الألفاظ يقول في (CIH 541)، الملاحظ أن هناك لختلاف لفظي بين النقيشين برغم اتصال العهدين هذا الاختلاف قد تكون له دلالة مذهبية، فأبهره لم يستخدم لفظة (ابنه) المسيح بل اكتفى بقوله (مسيحه)، (123) والمعروف أن أبهره قد بنى كنيسة صنعاء، أطلق عليها (القليس) والتي جاء وصفها بشكل مهيب في الأدبيات العربية. ويسرى (كريميان روبان) أن بعض آثار الكنيسة قد استخدم في بناء للمسجد الكبير بصنعاء، خاصة بعض التيجان التي ما زالت تحمل علامة للصليب (124).

ومن خلال الدراسة المتأنية لمظاهر بعض طقوس العبادة توضح جلياً من أن للعقيدة الدينية أثر بالغ في الحياة المادية والروحية لقضاء اليمنيين، وأنه بتطور الديانات الفلكية : تمهدت الطريق أمامهم للتفكير بأسلوب تجريدي عميق، وكان

هذا الأسلوب - في نهاية المطاف - هو الخطوة الأولى للوصول إلى الوحدة،
والإيمان بالله واحد هو : رب السموات والأرض ... ومن ثم (الرحمن) فكان هذا
هو أبرز ما ساعدهم لاحقاً على تقبل ما جاءت به الديانات السماوية بكل سهولة وبسر.

الهوامش والمراجع :

1. زريق، قسطنطين : في معركة الحضارة، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1973، ص، 94.
2. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب، ج 6، 1978، ص، 5.
3. Robin, Ch : Les hautes- terres de nord-Y men avant l, islam, tome I, stambul, 1982, p. 60.
4. بافقيه، محمد عبد القادر، مملكة ملذن .. شواهد وفرضيات ... مجلة دراسات يمنية، العدد (33) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1988، ص، 20.
5. الصلوي، إبراهيم، أعلام يمنية قديمة مركبة، دراسة عامة في دلالاتها اللغوية والدينية، دراسات يمنية، العدد (38)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، ص، 128.
6. Ryckmans, G : les religion arabes pr -islamique, extrait de l histoire g n rale des religions II, Paris, 1960, p. 220
7. Jamme, A. : The Gat golde Hawkum. Dans, al-Hudhud, Festschrift Maria Hofner, Groz, 1981, p. 98-99.
8. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 130.
9. علي أسعد : ظاهرة التذكير المجازي في العربية، (بحث قيد النشر).
10. الشيبه، عبد الله حسن : إسهام عرب الجنوب في قيام وتطور اكسوم، مجلة الإكليل، العدد الرابع، السنة السابعة، صنعاء 1989، ص، 32.
11. Robin, les hautes terres, p. 61, 94.
12. Bron, F : memorial Mohmud al-Ghul, Inscriptions sud - arabiques, Paris, 1992, p. 41.
13. Ibid, p. 41.
14. Ryckmans, G. les religions, p. 223.
15. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 136.
16. Robin, les hautes terres ; p. 48, 65.
17. Ryckmans, G. les religions, p. 222.
18. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 139.
19. المرجع نفسه، ص، 139.
20. المساف، حمود محمد جعفر : لؤل نقش ينكر مكرب لوسان، مجلة ريدان العدد (6) (القسم العربي)، لوفن، بلجيكا، 1994، ص، 116.
21. بريستون، جان فرانسوا ولخرون : وادي حضرموت (تقنيات 1978-1979)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، 1982، ص، 30.

- Unkown Oman,. London, 1966. p. 188. : Philips, w .22
- Robin, les hautes- terres, p.62. .23
- : Robin. Ch. & Ryckmans, J .24
- l attribution d un basin une divinil en Arabie du Sud antique,
Rayd n, (1), Lovain,1978, p. 59.
25. رالوح, عبد الوهاب : تأثير اليمنيين في الديانة السامية, مجلة دراسات يمنية, العدد (25), صنعاء, 1986, ص, 114.
26. علي سعد : ظاهرة التآنيث في العربية (دراسة تطبيقية في بعض مناحي القرآن الكريم) (بحث قيد النشر).
27. الصلوي, اعلام يمنية, ص, 132.
- Ryckmans, G. les religions, p. 211. .28
- Ibid, p. 221. .29
- Ibid, p. 222. .30
31. جواد علي : لمرجع السابق, ص, 170-165.
- Robin, les hautes- terres, p.65. .32
33. يوسف عبد الله : متونة النقوش اليمنية (يمن 9), مجلة دراسات يمنية, العدد 3 (1), مركز الدراسات والبحوث اليمني, صنعاء, 1979, ص,
34. علي سعد : ظاهرة التآنيث (دراسة قيد النشر).
35. يوسف عبد الله : 1989, ص, 39.
36. نيلسن, ديستف وأخرون : التاريخ العربي القديم, ترجمة : فؤاد حنين علي, القاهرة 1993, ص, 220.
- Ryckmans, G. les religions, p. 221. .37
38. لمرم : في النقوش وتعني : لمير, قبيلة يمنية من شاكر من همدان, تقع اراضيها بين نجران والجوف, لها ذكر في النقوش كأحد القبائل التي كان لها تأثير علي جيش الأعراب في عهد الدولة المركزية في اليمن في القرنين (الرابع والخامس الميلاديين).
39. يوسف عبد الله : مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأبيض, مجلة دراسات يمنية, العدد (34), صنعاء 1988, ص, 38.
40. فابريس, ويندل : كوز مدينة بليقيس " قصة اكتشاف مدينة سبا الأثرية في اليمن", تعريب : عمر النيرلوي, ط2, دار الكلمة, صنعاء, (د.ت). ص, 58.
41. البرحة : هي البقعة الرحبة والسهلة.
42. السوا : حصن قديم يسمى اليوم حصن القديم, ويقع في عزلة السوا, ناحية للمواسط من قضاء الحجرية, وأقرب مدينة إلى هذا الموقع هي مدينة النشمة, المدينة (الجديدة) التي تبعد عن نعر حوالي 24كم (يوسف عبد الله مدينة السوا, ص, 33).

43. يوسف عبد الله : مدونة السماء، ص، 37.
44. الصلوي، إبراهيم : نقش جديد من نقوش الاعتراف، مجلة التاريخ والآثار، العدد (1) صنعاء، 1993، ص، 63.
45. الإيراني، مطهر علي : في تاريخ اليمن - نقوش مسندية وتطبيقات ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990، ص، 47-50.
46. Robin, les hautes- terres, p.61.
47. الشنبة، المرجع السابق، ص، 32.
48. Robin, les hautes- terres, p.58.
49. الإيراني، المرجع السابق، ص، 278.
50. نفسه، ص، 123-126.
51. le sanctuaire Mineen : Robin. Ch.& Breton & Ryckmans, J NKRH A DARB AS-SABI, Rayd n, vol, 5, Aden, 1988, p. 90-92.
52. يوسف عبد الله : مدونة النقوش، ص، 48.
53. Ryckmans, G. les religions, p. 221.
54. يوسف عبد الله : مدونة النقوش، ص، 48-49.
55. Ryckmans, G. les religions, p. 221.
56. Robin, les hautes- terres, p.58.
57. Ibid.
58. Ryckmans. G. les religions, p. 221.
59. Robin, les hautes- terres, p.58.
60. Ibid.
61. Ryckmans, G. les religions, p. 211.
62. op.- cit, p. 91. : Robin. Ch.& Breton & Ryckmans, J.
63. علي أسعد : ظاهرة التناثيث (دراسة قيد النشر).
64. المرجع نفسه.
65. ابن منظور المصري : لسان العرب، مادة (حرب).
66. الحمصي، محمد حسن : مفردات القرن : تفسير وبيان، دار الرشيد، دمشق- بيروت، (19).
67. علي أسعد : ظاهرة التناثيث (دراسة قيد النشر).
68. الإيراني، المرجع السابق، ص، 180-181.
69. Southern Arabia, London, 1971, p. 26. : Doe, Brian
70. Ryckmans,J, Ritual Meals in the Ancient South Arabian Religion , PSAS, 6, p. 36-37.

71. صدقة، إبراهيم صالح : آلهة سبا كما ترد في نقوش محرم بلقيس، جامعة اليرموك، (رسالة ماجستير) لم تشر، ص، 80-81.
72. بيستون، ألفرد، وريكمنز، جاك، و الغول، محمود، ومولر، والتر : المعجم السبئي، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص، 146-147.
73. Ryckmans, G. les religions, p. 214.
74. الأرياني، المرجع السابق، ص، 180-181.
75. The old south Arabian Religion, Yemen, 3000 : Ryckmans, J
years of Art and Civilisation in Arabia Felix, edited by Werner Daum, p. 108-109.
76. Ryckmans, G. les religions, p. 215.
77. العلا : جاءت في النقوش باسم (ندان)، تقع حالياً شمال يثرب (المدينة المنورة).
78. Ryckmans, G. les religions, p. 215.
79. Ibid.
80. بيستون وآخرون، المرجع السابق، مادة (س ء ل)، ص، 121.
81. الأرياني، المرجع السابق، ص، 99.
82. Chrestomathia arabica meridionatis epigraphica, : Rossini, C
Rome, 1951, p. 94.
83. الأرياني، المرجع السابق، ص، 66.
84. نفسه، ص، 324.
85. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (السان اليمن) (ت 360هـ/ 970م) : الإكليل، الجزء الثامن، في محافذ اليمن ومسلاتها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات، تحقيق : محمد بن علي الأكرع الحوالي، القاهرة 1979، ص، 128-129.
86. يوسف عبدالله : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر، ط2، بيروت، 1990، ص، 54.
87. بيستون وآخرون، ص، 22.
88. du paganisme au monotheisme dans, Robin : Robin, Chr
L Arabie antique de (Karab il) , (Mohmet), Paris , 1992. p. 143-144
89. Ryckmans, G. les religions, p. 215.
90. باقتية، محمد عبد القادر : لمحات من أعمال الصيانة في اليمن للقديم، مجلة دراسات يمنية، العدد (36)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، ص، 61.
91. Sabaic Grammar, JSS, Belgium, 1984. p. 15. : Beeston, A.L.F
92. الأرياني، المرجع السابق، ص، 220.

93. Some Features of Social Structure in Saba, : Beeston, A.L.F
Studies in the History of Arabia , vol 1, part 1, 1979. p. 115 -
 116.
94. الهمداني، المرجع السابق، ص، 128-129.
95. ابن الكلبي، هشام بن محمد (ت 204 هـ) : الأصنام، تحقيق : أحمد زكي،
 المكتبة العربية، القاهرة، 1965، ص، 11-12.
96. The Ritual Hunt, a Study in the old south- Arabian : Beeston
 Religion practice, 1948, 191-193.
97. Note on Old South Arabian, Lexicography, 1975, : Beeston
 p. 194.
98. un rite d' istisqa au temple sabeen de Marib : Ryckmans, J
 1973, p.386.
99. بافقيه، محمد عبد القادر & ك. روبان : من نقوش محرم بلقيس، مجلة (ريدان)
 العدد (I)، لوفان، 1978، (القسم العربي)، ص، 11-56.
100. Sabaeen Inscriptions, Oxford, 1939, 51. : Beeston, A.L.F
101. Ryckmans, G. les religions, p. 219.
102. : Robin & Ryckmans
- l' htribution d un bassin un divinit Arabe du Sud, dans Rayd n,
 (1) Lovain, 1978, p. 75.
103. الصلوي، نقش جديد، ص، 3-6.
104. الصلوي، أعلام يمنية، ص، 134-135.
105. The Tombs and moon Temple of Hureida : Thompson, Caton
 (Hadramaut) London, Oxford, 1944, LXIV.
106. Ryckmans, G. les religions, p. 218.
107. Ibid.
108. الإرياني، المرجع السابق، ص، 82.
109. Robin, les hautes- terres, p.143-144.
110. ولفنسون، إسرائيل : تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، لبنان، 1980،
 ص، 246.
111. الصليحي، عبد القوي علي : الكيان الميلسي الديني في اليمن القديم، الدولة
 المسبقة، مجلة دراسات يمنية العدد (38)، صنعاء، 1989، ص، 222.
112. بافقيه، الرحبة وصنعاء، ص، 247.
113. فيليبس، المرجع السابق، ص، 88.
114. Robin, les hautes- terres, p. 144.

115. سحاب، فيكتور : إيلاف قريش، رحلة الشتاء والصيف، كمبيوتر نشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص، 317.
116. باققيه، محمد عبد القادر : في العربية السعيدة، ج1، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، 1987، ص، 187.
117. سحاب، المرجع السابق، ص، 124.
118. Robin, du paganisme. p. 147.
119. Ryckmans, G. les religions, p. 218.
120. ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى بن محمد (ت 685 = 1268م) : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج1، تحقيق : نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، 1982، ص، 149.
121. Robin, du paganisme. p. 147.
122. الصلوي، إبراهيم : قصة أصحاب الأخنود (رملة ماجستير لم تشر)، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1979، ص، 17.
123. باققيه، في العربية السعيدة، ص، 147-188.
124. Robin, du paganisme. p. 148.

الفصل الرابع

نماذج من فن العمارة في اليمن القديم

- أولاً: المدينة اليمنية القديمة.
- ثانياً: نماذج من فن العمارة المدني
- ثالثاً: نماذج من فن العمارة الديني.
- رابعاً: المقابر وأنماطها.
- خامساً: المنشآت الاقتصادية
- سادساً: المنشآت الدفاعية.

إنَّ التحضر - كظاهرة اجتماعية تتجسد بصورة أساسية في مظاهر الإبداع المختلفة فهي شتى مجالات الحياة. وقد أشار (ابن خلدون) في مقدمته (١) إلى أنَّ العنصر الرئيس للحضارة هو: إنشاء المدن وبناء البلدان والأمصار... وإنَّ إنشاء المدن بقصورها ومعابدها وحصونها وقلاعها ولسوارها، ومنشأتها المائية المختلفة؛ يعكس - دون شك - درجة تطور المجتمع ورفقه.

وقد وصل اليمنيون منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، إلى ذلك المستوى من الإبداع الفني الخلاق، حيث امتاز فهم المعماري بطابع خاص سواء من حيث التخطيط الهندسي للمدن ومنشأتها، أو من حيث أسلوب البناء ذاته. كما أنَّ مادة البناء المتوافرة قد أثرت بشكل كبير في أسلوب الهندسة المعمارية، فقد توافرت الأحجار الجيرية والجرانيتية، والجبس والبازلت البركاني، كمادة أساسية، وإلى جانب ذلك نجد الأخشاب، التي لا يمكن الاستغناء عنها في البناء القديم، أما وفرة الرخام فقد ساعدت الباني اليمني على إقامة الأعمدة، وساعدت النحت على إبراز مواهبه وقدراته الفنية الإبداعية.

والمعروف أنَّ مادة البناء تختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك حسب تكويناتها الصخرية، ففي حضرموت نجد مادتي اللبن التي والأخشاب المتوافرة قد استُخدمت كمادة بناء أساسية، (٢) أما الحجر فيقتصر استخدامه على بناء الأسس للعمارة السكنية وجدران المعابد، كما تجسد الإبداع الهندسي في فن المنشآت الزراعية، والعسكرية، والاقتصادية المختلفة.

أولاً: المدينة اليمنية القديمة (الهجر):

فقبل للتطرق لأنماط من الفنون المعمارية في اليمن القديم، نسلط الضوء على المدينة اليمنية القديمة، التي كان يطلق عليها اسم (هجر)، لقد تردد هذا الاسم في كثير من النصوص للنقشية، (٣) التي من خلالها يمكن أن نتميز نوعين من المدن: هجر للمدينة، عاصمة الدولة (ك هـ ج ر / م ر ي ب) المدينة مارب، و (هـ ج ر / ص ن ع و) المدينة صنعاء... كما أطلق اسم هجر على المدينة عاصمة الإقليم أو المخلاف، حيث يقم القيل أو الكبير، مثل (هـ ج ر / و ع ل ن) مدينة وعلان (٤).

لقد أنشئت المدن اليمنية في مناطق توافرت فيها كل المقومات الطبيعية، فاقبعت على التقيعان، وعلى سفوح الجبال وعلى الوديان، وعلى السهول الساحلية. فمنذ الألف الأول قبل الميلاد، برزت بعض المدن على أطراف الأودية الشرقية كمراكز حضارية وعواصم للممالك اليمنية، مثل: (شبوة) عاصمة حضرموت، و(تمنع) عاصمة قتبان و(مارب) عاصمة مباء، و(قرنلو) عاصمة معين و(نجران) المدينة التجارية المعروفة، وقد ارتبطت بمركز تلك العواصم بتلك البقاع لارتباطها المباشر

بطرق التجارة البرية. ومنذ مطلع الميلاد برزت مدن أخرى على قيعان المرتفعات الغربية، عندما انتقل النخل الساسي إليها، بفضل لتعاضد الملاحة البحرية، وينبغي الإشارة إلى أن هناك مدناً قامت على القيعان وعلى الأودية الداخلية تزامن بناؤها مع تلك المدن التي أنشئت على أطراف الأودية الشرقية، إن لم تكن أقدم منها، فقد كشفت البعثات الأثرية عن مدن قامت على المنحدرات الشرقية للمرتفعات الغربية يرجع تاريخها إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد⁽⁵⁾. ويمكن تقسيم المدينة إلى:

- 1- المدينة الداخلية: وهي منطقة نكتنفها المستوطنات الخاصة بالمواطنين، وتبنى فيها العديد من المنشآت الاقتصادية والدينية والقصور الملكية والمقابر ... ويحيط بها سور له بوابات وأبراج لحمايتها من المعتدين.
 - 2- ضاحية المدينة: يطلق عليها في النقوش (ذ خ ل ف)، تقع خارج أسوار المدينة على بُعد (2 كم) لو (4 كم) تقريباً، حيث تبنى المعابد الرئيسة الاتحادية، وفي الضواحي تنتشر الحقول للزراعية والمراعي الواسعة.
- التخطيط الهندي للمدينة:

يسجدو جلياً لأن مهنتسي النولة يضعون مخططاً للمدينة، يختلف من منطقة إلى أخرى، حسب طبيعة التضاريس الخاصة بها، أي لأن تضاريس المنطقة هي التي تحكم في وضع ذلك المخطط، حيث يضم مخطط المدينة - بشكل عام:

- 1 - قصر الملك. 2 - للمعبد. 3 - المقبرة. 4 - الأبار. 5 - أحياء سكن الأكوام.
- 6 - المنشآت الاقتصادية. 7 - للمنشآت الخدمية. 8 - الطرقات.

ثانياً: نماذج من فن العمارة للمدني:

- وجدت في اليمن القديم أنماط مختلفة من فن العمارة للمدني، إلا أن أبرزها:
- 1- البناء الشاهق المكوّن من طوابق عديدة.
 - 2- البناء الشاهق ذو الفناء.

لأن نمط المباني العالية عند قماء اليمنيين قديم جداً، فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن مثل هذا النوع من البناء في عدد من المدن اليمنية القديمة،⁽⁶⁾ وفي المناطق الواقعة حول (رملية المبعثين) كـ (شبوّة) و(السوداء) في الجوف، و(نجران)، وفي المناطق الواقعة على روافد وادي حضرموت مثل: (مشغة) و(الهجرة) و(ريبون) (انظر خريطة رقم؟). وتتكون عناصر هذا البناء من:

- (1) أساس حجري قوي يتراوح ارتفاعه من متر إلى عدة أمتار، يتكون من حائط خارجي وجدران داخلية مترابطة تعامداً.

ومن الملاحظ أن الفجوات الواقعة بين هذه الجدران مملوءة بالطين وبالتراب وبالأحجار، أما تركيب الجدران فيحدده تنظيم البناء الأرضي.

(2) طابق أرضي بدون فتحات.

(3) مدخل واحد (دهليز) يفتح على غرفة جانبية يقود إلى درجت محورية.

(4) البنية العلوية تتكون من: أعمدة متشابكة مبنية على جدار من الحجر وتوجد - بصورة عامة - قطع من الخشب طولها يساوي عرض الجدار وعمود خشبي سفلي، وسلسلة عالية من الخشب وأعمدة رأسية تفصل بينها متساوية، وتعلو ذلك قطع مختلفة من الخشب أيضاً تربط بين أجزاء البناء. إن تلك الأعمدة المتشابكة تكون نسقاً نموذجياً يسمح بتكوين طابق يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار تقريباً كما هو الحال في القصر الملكي القديم بـ (شبو)، أما الإطارات الخشبية فتملاً باللين المترابط بالملاط،⁽⁷⁾ فالخشب هنا يشكل الهيكل الأساسي البناء. كما تبني الطوابق في بعض المناطق بأحجار مترابطة بملاط الطين مثل: مباني (بيحان) و(يلا)⁽⁸⁾ ...

(5) أرضية المبنى تتألف من تراب مرصوص مع اللين⁽⁹⁾.

1- البناء الشاهق المكون من طوابق:
مباني مشقة:

في عام 1979م كشفت البعثة الأثرية الفرنسية في منطقة (مشقة) الواقعة على وادي (عدم) أحد الروافد الجنوبية لولاي حضرموت، عن ثلاث بنايات ضخمة في حالة جيدة، رمز إليها ب (K. J. I).

تشارك هذه البنايات في المخطط العام للبناء، وتمتاز بوجود قاعدة حجرية ترتفع بوضوح فوق سطح الأرض، وبطابق علوي ذي هيكل خشبي محشو باللين⁽¹⁰⁾.

- مكونات البناء:

* القواعد: تتكون من أحجار قوية وصلبة، ويحتوي الجدار الذي يغلقها من الخارج على سلسلة من الجدران الداخلية المتعمدة التي تستند عليها جدران للطبقات العليا المكونة من الخشب واللين. وتحتوي كل القواعد الثلاث على جزء في الأساس وجزء مرتفع.

* الأساس: في البناية (I) تصل أبعاده بين (10.20 / 9.20 متر) وهو أفضلها بناءً وأثبتها تأسيساً، يتراوح سمك الجدار (1.10 / 1.40 متر) مفروس منه متر من تحت الأرض، ويتألف من كتل حجرية متتوعة، أما الغلاف الداخلي، فيتكون من أحجار ضخمة أبعادها (1.10 م / 0.50 م)، ويتكون باقي الجدار من كتلات يتراوح قياسها بين (0.30 / 0.40 م)، وقد سدت الفراغات بين القواعد باللين⁽¹¹⁾.

لما الغلاف الخارجي في القاعدة (k) (9,20م / 8,90م)، وهي الأضعف تأسيساً تحت الأرض (0,80م) وترتفع فوق مستوى الأرض القديمة بمقدار (1,15م). القاعدة في البناية (J) (7,60م) تعدلضعف للقواعد بناءً، حيث أن أساس هذه القاعدة لا يتعدى خمسة سنتيمترات، وهو يتألف من كتلات صغيرة ومتوسطة الحجم.

• الطبقات العليا: من حيث التصميم نرى أن تلك الأجزاء المرتفعة تنتظم دائماً حول رواق مركزي كبير موجه حسب المحور الأساسي للبناء، وفي أحد أطراف اللرواق توجد بوابة عظيمة تشغل عرض اللرواق، الذي يبلغ امتداده بين (1.70 / 1.75م)، في البنايات (K, I) أما في البناية (J) فلا يتعدى عرضه (1.45م).

* الغرف: تتفرع من اللرواق عدة غرف صغيرة تتصل ببعضها أحياناً، وتفتح تلك الغرف على رواق بوسطة ممرات ضيقة عرضها (0.70م / 0.85م)، ولها عتبات مرتفعة جداً، تصل إلى (1.40م) فوق سطح اللرواق ولأرض الغرفة الداخلية.

* السلم: عبارة عن درجات من (0.22م إلى 0.24م) الخطوة من (0.28م) إلى (0.30م) في البناية (I)، تلك الدرجات مبنية على قوائم خشبية مثبتة في جدران السلم، أما مادة بنائها فتتكون من اللبن الني والأجر.

* الجدران: كافة الجدران من اللبن، يتراوح عرضها ما بين (1.0 م إلى 2.65م) بنيت بأوضاع أفقية ومعتزضة، في وسط الجدران يوجد الخشب بكثرة، حيث يشكل هيكلًا حقيقيًا ومنظمًا للبناء والتركيب، ويحشى باللبن. تتألف الجدران من عدة عوارض خشبية مثبتة عمودياً وأفقيًا فوق بعضها بعضاً كل (1.40م) على طول أبعاد اللبن للنسبة (0.40 / 0.27م) وسمكه (0.09م) فهي متماسكة مع الطين ومطوية بالأجر من الداخل والخارج، أما عوارض الجدران فظاهرة للعيان، ويختلف سمك الجدار من طبق إلى آخر، فسمك جدار الطابق الأرضي أكبر من الطوابق الأعلى منه أي أن سمك الجدران تتناقص تدريجياً كلما توجهنا إلى الأعلى، مما يترتب على ذلك ميلان الجدران نحو الداخل.

* الأرضية: مؤلفة من التراب المرصوص على لبن في البناية (I)، وقد تركت الأرضية كما هي في غالبية الغرف، غير أنها في بعض الأحيان مطوية بالجبس في البنايتين (J, I) أو بالملاط والحصى في البناية (I)، أما في الطبقات العليا فالأرضية مكونة من التراب المرصوص فوق حصيرة من سعف النخيل، وقد تبلط الأرضية بالأحجار كمياني (ريبون)، أما سقف الأرضية فيتكون أساساً من امتداد العوارض الممتدة من جدار إلى آخر.

• **الزخرفة:** الجدران في الغالب مزينة بالزخارف والرسومات الملونة، خاصة جدران الممرات والسلالم المبنية من البلاط الحجري، وقد حدد الأثريون فترة بناء المجتمعات السكنية القديمة في وادي حضرموت إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وحتى القرن الثالث الميلادي، وأبرز المستوطنات تلك التي وجدت في الجزء الأسفل من الوديان الفرعية لوادي حضرموت كأودية (دوعن) و(العين) و(عمد) و(عدم)، (11) وقد تزامن بناء تلك المستوطنات مع بناء المعابد الضخمة (12).

- ما هو الدافع من وراء المباني الشاهقة ذات الطوابق؟

قد يتساءل المرء: ما هو الدافع الحقيقي من وراء بناء مثل تلك المباني الشاهقة، ذات الطوابق في الأودية الشرقية، منذ الألف الأول قبل الميلاد، وعدم استغلال المساحات الأرضية؟ إن الهدف الذي من أجله بنيت الحصون على المرتفعات الجبلية، هو نفسه الهدف الذي دفع اليمنيين قديماً إلى تشييد المنازل ذات الطوابق في الأودية، فالغرض الأول هو غرض دفاعي، خاصة إذا ما عرفنا أن المدن كانت تتعرض بين الفينة والأخرى للاعتداءات، والنزاعات الحربية، والصراعات القبلية، فمثل تلك البنايات الشاهقة، تشكل حماية فردية إضافة إلى حماية الدولة، علماً أن أغلب المدن اليمنية القديمة مناطة بالأسوار المحكمة والقوية لتحمي المدينة من أي اعتداء خارجي (13). أما الغرض الثاني فيتمثل - في اعتقادنا - إلى حرص سكان الأودية باستغلال كل شبر من الأراضي المروية لزراعتها، لهذا جاء المسيل للبناء الراسي. وقد ظل هذا النمط من البناء قائماً حتى العهد الإسلامي، فمدينة (شبام) المشهورة الواقعة على وادي حضرموت - والتي يطلق عليها حالياً (ناطحات السحاب) - خير دليل على ذلك.

2 - البناء الشاهق ذو الفناء:

كان الاعتقاد السائد - ولفترة طويلة - أن هذا النوع من البناء لا يعرف في اليمن القديم، بل هو نتاج لتأثيرات يونانية - شرقية (هلنستية) لكن التنقيبات الأثرية كشفت لنا عن نماذج من هذا النمط من البناء، الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع ق. م (14)، ويمكن تصنيف هذا النوع من البناء إلى ثلاثة أنماط:

(أ) مبنى مركزي ذي طوابق مع مبنى آخر ذي لروقة يحيط بفناء.

(ب) مبنى شاهق مزدوج.

(ج) مبنى ذي فناء مركزي.

أ- مبنى مركزي ذو طوابق مع مبنى آخر ذي لروقة يحيط بفناء:

يمتاز هذا النوع من البنايات بدقة تخطيطها الهندسي، وبغها الرقي، فقد بنيت وفقاً لقواعد هندسية دقيقة، لهذا نجد مثل هذا النوع من البناء في القصور الملكية بصورة خاصة.

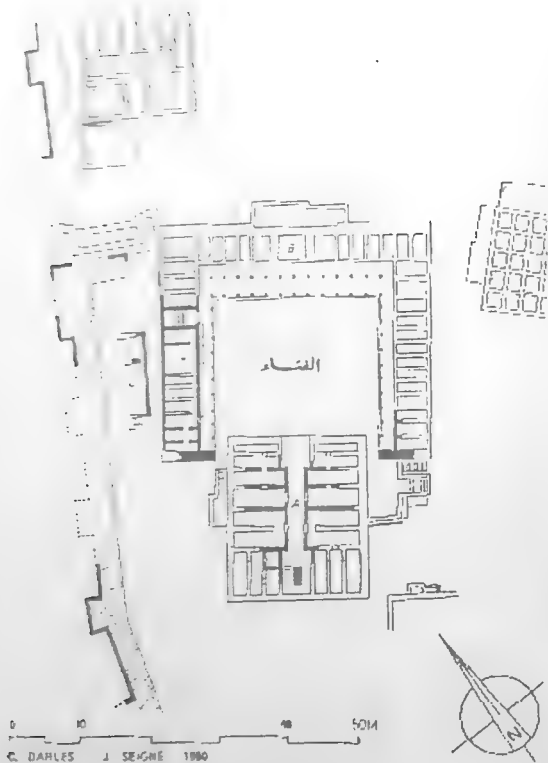
1- القصر الملكي بشبوة (بيت شقر):

ذكرت للنقوش اليمنية القديمة اسم القصر الملكي في شبوة (ش ق ر) كما جاء هذا الاسم في العملات الحضرية. يتكوّن القصر من مبنى شاهق ذي طوابق يرمز إليه بالمبنى (A)، وفي الجهة الشرقية من هذا المبنى يوجد مبنى آخر مستطيل له أروقة من الأعمدة المزدوجة في جهته الشمالية الشرقية، وغير مزدوجة في الجانبين الآخرين، ويركّز إلى هذا المبنى (B)، يحيط بفناء مبلط، مربع الشكل يمتد كل ضلع (23م). أما مساحة القصر فتبلغ حوالي (30 x 52 م) (15).

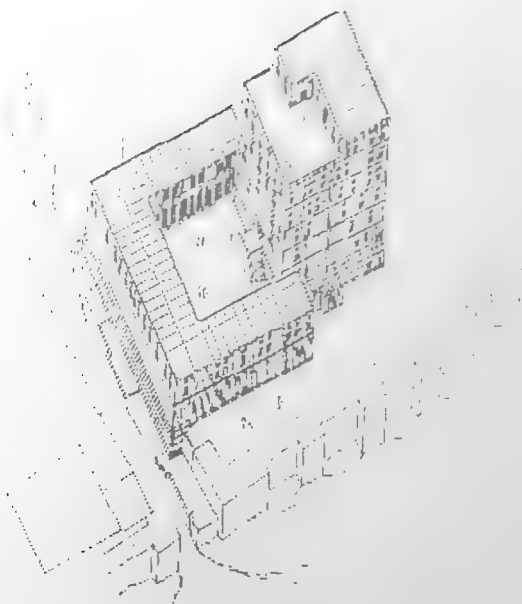
- التخطيط الهندسي للمبنى:

المبنى الرئيس (A)، يتكوّن من أسس حجري متين، ذي تركيب منتظم بمقياس (20 x 22م) يعلوه بناء علوي خشبي. وفي الطابق الأرضي يوجد باب ضخم يفتح على دهليز محوري، توزع عليه حجرات جانبية، ويقود إلى سلم حجري (16). كما يوجد بابان يفتحان على فناء مبلط يمتد حتى المبنى (B)، ويقوم هذا للتبسيط على طبقة ضخمة من الطين تربط بين المبنيين: (A)، (B) (انظر الشكل 17، 16).

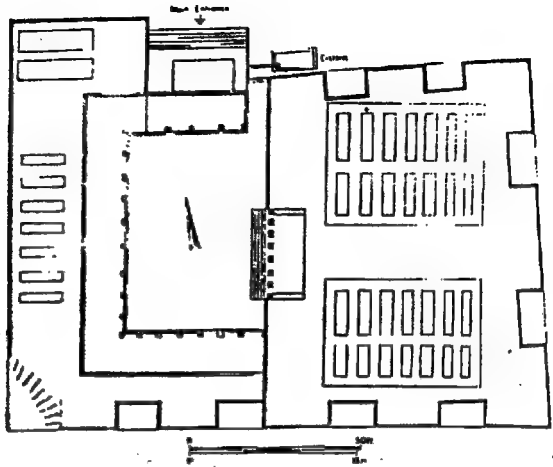
المبنى (B): يتكوّن من طابق أرضي ذي حجرات صغيرة تفضي إلى بعضها بعضاً ومن رواق يضم مجالس حجرية، محاط بفناء مربع. بعد حريق للمبنى أعيد بناؤه من طابق واحد. ومن الملاحظ أن المبنى له فتحات كبيرة تقع في الجانب المطل على الفناء. (17)



شكل 16 تخطيط هندسي للقصر الملكي بشووة



شكل 17 رسم افتراضي لقصر شبوة بناء على بقايا الأساسات



شكل 18 مخطط للقصر الملكي في دمشق

البركة: توجد بركة ماء تابعة للقصر ومواجهة للجهة الغربية للمبنى (A) بطول (7.80م) وعرض (2.60م) تقريبا.

الفناء: يحتوي على نوعين من التبليط، بلاطات جنيذة (0.36م) عملت فوق البلاطات القديمة.

الزخرفة: خلفية الرواق مليء بالرسومات والزخارف الجدارية، وهي عبارة عن لوحات ملونة لها أبعاد، حيث نشاهد مناظر أشخاص (نساء)، وشخص يمسك بحصان، وأجزاء لرؤوس حيوانات، وأسماك وأشكال هندسية نباتية ...
- الدور السياسي والدفاعي للقصر:

يشكل مسور المدينة في الجزء الغربي منه النظام الدفاعي للقصر، كما أن البناء الشاهق نفسه يشكل حماية خاصة، فهو يحمي مدخل المبنى، وكذلك للممرين اللذين في مدخل الفناء، لهذا فالقصر قادر على تحمل حصول طويل.
ولقد شهد القصر الملكي بشبوة (شعر) لحدثا سياسية مهمة عبر مرآله التاريخية، فهو يقوم بدور عسكري ومبني في أن ولحد. لما أم الأحداث الخطيرة، فهي تلك

التي شُهِدَها القصر في القرن الثالث الميلادي (225م) تقريباً، في عهد الملك المبني (شعر لوتر)، وقد حدثنا نقش (لوياني 13) عن كيفية وصول الملك السبئي وجنوده إلى (شبوة) - عاصمة حضرموت - والقضاء على الجنود الحضارمة في فناء القصر، وكيف ظلوا في القصر محاصرين مدة (15 يوماً) يعانون من العطش حتى جاءتهم الإمدادات ودعمت قواتهم للمرابطة في القصر، بعد ذلك قاموا بتخريب وحرق (شبوة) وقصرها الملكي⁽¹⁸⁾.

كثير من الدلائل تشير إلى آثار ذلك الحريق الذي تعرضت له المدينة وبالذات القصر، فهناك طبقة من الرماد كشفت أسفل البناية الرئيسة (A) و(B). بعد تلك الأحداث يتولى الملك (يدع إلى بين والريام يدم) الحكم في حضرموت، ومن أولى المهام التي قاما بتنفيذها هي: ترميم القصر، حيث أعادوا ترميم الطابق العلوي في المبنى (A) من الخشب، وأعادوا بناء المبنى (B) الذي تهدم بالكامل، فتم بناؤه من طابق واحد، مكون من رواق له عدة أبواب تسمح بالدخول إلى الغرف، ويمكن الصعود إلى الطابق، بواسطة سلم حجري يقع في الزوايا الشمالية الغربية⁽¹⁹⁾. وقد ظل المبنى مسكوناً حتى هجر نهائياً في القرن السادس الميلادي، تقريباً.

2- القصر الملكي بتمنع (ح ر ب):

ذكرت النقوش اليمنية القديمة اسم القصر الملكي للقباطيين (ح ر ب)، كما جاء في العملات القبطية أيضاً.
- التخطيط الهندسي للقصر:

يبدو واضحاً أن هناك تشابهاً كبيراً بين القصر الملكي (بشبوة) والقصر الملكي (بتمنع) حيث يتصف قصر (بتمنع) بأن له شكلاً مستطيلاً، تبلغ مساحته حوالي (48 x 36م)، وتتكون من عدة طوابق خشبية محشوة بالطين، في الجهة الغربية يوجد للمبنى (B) وهو عبارة عن رواق يحيط به فناء مستطيل، ويمكن الصعود إلى الأعلى بواسطة سلم رئيس، عرضه (0.3م) يفتح على الفناء من ثلاث جهات⁽²⁰⁾ (انظر شكل 18).

تاريخ بناء القصر: يشير (فان بيك Van Beek) إلى أن تاريخ المبنى يعود إلى القرن السادس ق. م، ويعود تاريخ بناء الساحة والمدخلين إلى حوالي القرن الثالث ق. م تقريباً، أما البناية الشرقية فيعود تاريخ بنائها إلى القرن الأول ق. م، ويحتمل أن يكون القصر قد تهدم بسبب حريق شديد تعرض له ربما أثناء الحملة السبئية على قبائل التي تمت في حوالي (160م)، أو (200م)، بعد ذلك للتاريخ لم يسكن القصر⁽²¹⁾.

- مقارنة بين قصري شبووة وتمنع:

من حيث المساحة والتصميم الهندسي، وتكنيك البناء للقصران بنيا بشكل متقابه إلى حد كبير، فقد كانت مساحتهما متقاربة، أما التخطيط الهندسي فهو واحد تقريبًا، حيث يتكونان من مبنى رئيس، وآخر مستطيل محيط بغناء، والبناء لن أساسهما حجري ضخيم في أحدهما، ومنظم متساو في الآخر يعلو البناء أعمدة خشبية، تم حشوها باللبن التي. وقد خربت الطوبى العليا للبنامين، ويمكن مشاهدة الترميمات وبعض الأجزاء الهامة من الهيكل للبنانية (A) و (B)، وبالذات في القصر الملكي (بشبووة) بخلاف قصر (تمنع). لآخرفة ومواد البناء للقصرين تبرز على فخامة وعظمة البناء بالنسبة لفن العمارة المندى لليمن القديم⁽²²⁾.

ويمكن أن ندرج ضمن هذا النمط من البناء بعض القصور كالتي جاء ذكرها عند (Brian Doe)⁽²³⁾، وفي نقشية (Doe 6.7) ونقش (يمن 11)⁽²⁴⁾.

جاء في نقش (Doe 6): "بنى عم يثع بن حرمم بيته (ش ب ع ن) من نور سفلي، وقاعة استقبال، وطابقين في الأعلى وجدارين (رواقين) وفناء وبئر".

لما نقش (يمن 11) فيتحدث عن قصر يحمل نفس الاسم: "تبط عم زائن من آل معاصر ... بنى قصره شعبان (ش ب ع ن) ومواه وحفر أساسه، ووقفه بلسم الآلهة، وعلاه، وذلك ضمن سور للمدينة (قائنة) ومن أساس القصر حتى قمته (بما فيه) كل موافقه (مباخره) وكل أبراجه ودرجاته وغرف الطابق السفلي وصرحته وكل مرافقه جميعها من ملكية خاصة خالصة، وذلك وفق ما أمر به (أنباي) ولا يخالف أمره ولا يعلى عليه، وبجاه عثرت للشرق وأنباي للراعي، وبجاه عم ذي مبرق بعل (رب) سليم ولميم وبجاه (الآلهة) ذات ظهران وشمميه (وللهته) عالية".

ويقول نقش (Doe 7) "بنى راجم ألهن بن نرا كرب ... بيته (و ث ع ن) من قاعة استقبال (طابق أرضي)، وطابقين عاليين وجدارين (رواقين) من الأساس إلى القمة"⁽²⁵⁾.

ب- البناء الشاهق المزدوج:

"مبنى وعلان: يسمى الموقع الأثري حاليًا (المصال)، عثر في هذا الموقع على ثلث مبني كبير مكون من أساسين بحجمين غير متساويين تفصل بينهما مسافة طولها (11.60م)، فسي الجهة الشرقية يوجد مبنى كبير مستطيل الشكل، جدرانه للدخلية مترابطة بصورة تعالدية منتظمة من جاقبين. ولا يوجد أي أثر لرواق، لما لفناء فيبلغ طوله (44م) وعرضه (26م)، ويوجد به نظام لتوزيع الماء، قد يكون حوضًا، لقد كان هذا للمبنى - في الأصل - مكونًا - من بنيتين شاهقتين، لاسمها

بنى مستطيل وفناء يقود إليه ممر واسع، ولأنك لن هذا القصر كان لأقل
(رمان) و(خولان)⁽²⁶⁾.

ج- مبلن ذات فناء مركزي:

أ- المبنى رقم (44) في شوبة:

عبارة عن مبنى مستطيل يتكوّن من سلسلة من الحجرات الجانبية التي تتفتح
على فناء مركزي ذي أروقة، ويمكن الدخول إليه عبر درج يقع وسطه. ومن
الملاحظ أن البنية العلوية الخشبية لهذا المبنى تشابه البنية العلوية للقصر الملكي
ش ق ر⁽²⁷⁾.

تلك هي نماذج متنوعة من البناء، كشفت عنها البعثات الأثرية، عكست فنا
جميلاً ورافياً للمعمار اليمني القديم، إلا أن أعمال التقيب عن الآثار لا زالت في
بدايتها، وقد لا تتبع طموحتنا للهافة إلى معرفة المزيد عن تلك الفنون العمرانية،
لهذا فإننا لا نستغني عن الأدبيات العربية بشكل عام التي تسمح بتكوين فكرة عن
تلك الإبداعات لأجمالية الرقبة، فهي هو (الحسن الهمداني) منذ القرن العاشر
الميلادي، يخصص الجزء الثامن من كتابه (الإكليل) ليحدثنا عن قصور اليمن،
والقبوريات، وهنا سنسلط الضوء على بعض تلك القصور التي تحدث عنها، بل
كان شاهد عيان لآثارها التي اختفى معظمها اليوم.
ب- قصر غمدان:

نسج الأخباريون حول قصر (غمدان) كثيراً من القصص والأساطير، وأعادوا
بناؤه إلى أقدم عصر تاريخي هو عصر "سام بن نوح".
لما الهمداني يقول: "أقدم شيء قصر (غمدان)، أول قصور اليمن وأعجبها
نكراً ولبعدها صيناً قصر (غمدان)، قصر (الزال)⁽²⁸⁾ وهو في صنعاء ثم أضاف: "الذي
أسس (غمدان)، ولبدأ بناءه، واحتقر بثره التي هي اليوم ساقية لمسجد
صنعاء. سلم بن نوح عليه السلام". وقد سجل لنا (الهمداني) كل المعلومات التي
سمعها عن قصر (غمدان). ونستخلص من قوله: أن القصر كان يحتوي على
عشرين طابقاً بارتفاع عشرة أذرع⁽²⁹⁾ لكل طابق، شيده الملك (إلي شرح بحضب)
الذي توقف عن البناء بعد أن شاهد ظله بلغ سفح جبل (عيان)، كما أضاف هذا
الملك غرفة خاصة به على السطح الأخير، وأطبق سقفها برخامة واحدة من خلالها
يرى الأنواع المختلفة من العصافير التي تحلق فوق السقف، وهو مستلق على
فرائشه، ويستطيع من خلال تلك الرخامة أن يميّز بين الغرب والحداء، وفي كل
ركن من أركان غرفته، يوجد تمثال برونزي لأحد الأسود، هذه التماثيل كانت
مجوّسة، بحيث يسمع زئير الأسد بمجرد دخول الرياح في جوفها، وكان لهذه
الحجرة عدة نوافذ نوات لطر رخامية، مغطاة بقطع من الأبنوس، وعلى بلاطة

المسقف، توجد دعامة القبة التي يتكلى منها أحد القناديل، التي كانت تضيئ طول الليل، حيث كانت ترى من أعالي جبل (عجيب)، ومن أروع محتويات القصر وأكثرها إثارة للإعجاب، ساعة مائية، قطارة تقطر لتعد الزمن، وبجانب القصر توجد نخلة تنتشر أسعافها على بعض أجزاء القصر، وتسمى (الدامغة)⁽³⁰⁾.
لما إذا رجعنا للنقوش اليمنية القديمة، فإننا لم نجد أي نص صريح يتحدث عن قصر (عُمدان)، سوى إشارات طفيفة تؤكد حقيقة وجود هذا القصر، وتؤكد صحة بعض المعلومات التي نذكرها لنا (الهمداني)، فهناك نقش (بنمي 12)⁽³¹⁾ الذي يذكر قصر (عُمدان)، يعود تاريخه إلى عهد الملك السبئي (شعر. لوتر) للقرن الثالث الميلادي (225م) تقريباً.

كما تكرر اسم قصر (عُمدان) في نقش (جام 577)⁽³²⁾ الذي يعود إلى عهد الملك السبئي. (إلى شرح يحضب الثاني) وأخيه (يازول بين) القرن الثالث الميلادي. جاء ذكر القصر عندما تم استيلاؤهما على قصري (عُمدان) و(سلحين)، وبعد (سلحين) مقرّاً للأسرة التقليدية المالكة في (مارب)، أما قصر (عُمدان) فكان مقرّاً للملوك من قبيلة (بني جرة)⁽³³⁾.

وعن تدهم قصر (عُمدان) ذكرت المصادر الإسلامية، أن قصر (عُمدان) ظل شامخاً حتى مجيء الإسلام، والمرجح أن تدهمه لم يتم في فترة واحدة، بل تم على مراحل، لقد تعرض القصر إلى بعض الانهيارات أثناء الاحتلال الحبشي، ويؤكد (الطبري)⁽³⁴⁾ ذلك، حيث يشير إلى أن القصر قد تدهم جزء منه في عهد لرواط الحبشي، وأحرق جزء منه في عهد الرمنول (صلى الله عليه وسلم)، أو عقب موته مباشرة، أما هدمه هدمًا تاماً، فلم يتم إلا في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) (رضي الله عنه) بعد أن وجد أن هذا القصر سيظل رية في قلوب اليمنيين ومصدر فخر واعتزاز لهم، فأمر بهدمه هدمًا كاملاً حتى أصبح تلاً من الأحجار والتراب⁽³⁵⁾.

ومن خلال مشاهدته لبقايا القصر يقول الهمداني: "وقد بقي من حد عُمدان القديم قطعة ذات جروب مبالغك عجيب، فهي بقايا الباب الأول والثاني من أبواب الجامع للشرقية، وباقى عُمدان تل عظيم كالجبل، وكثير مما حوله من منازل لصنعانيين بنيت منه"⁽³⁶⁾.

ج- من قصور وادي ضهر⁽³⁷⁾:

يصف الهمداني أحد قصور وادي ضهر فيقول: "قرأت في قصر منها ساحة مربعة يدور بها دكاكين (مع دكة) من بلاط تكون البلاطة طول عشرة أذرع، فيها أطوع لمقاعد للقبول (جمع قيل) إذا طلبوا الوصول إلى الملك، وعلى جانبي كل

مقعد قطعان أرفع من المقعد لمقام الرجلين اللذين يقومان على رأس القبول مسططين
سوفيهما كل واحد قائم على فردة رجل⁽³⁸⁾.

ويضيف "وفي وسط الساحة توجد بلاطة، عشرة أذرع في سبعة عرضاً يقال
لها الرخامة، محمولة من بلد ناء، لأنها لا تشاكل كل حجارة ذلك الموضع".
د- قصر بيت حنبص⁽³⁹⁾

يقول الهمداني⁽⁴⁰⁾: "ينسب بيت حنبص للقول ذي يهر، كان نجارة القصر
وأبويه قديمة من عهد القول" ويضيف: "وكان فيه معاقم"⁽⁴¹⁾ من بلاط قد انقطعت
أوصالها من مواطئ الأقدام والحوافز على طول الدهر، وقد رأينا مثل هذا كثيراً
في قصور اليمن، ولم يزل عامراً حتى أحرقه (براء بن أبي الملاحف القرمطي)
سنة 595هـ.

هـ- من قصور مدر لثوه أرحب بلد همدان:

قال الهمداني⁽⁴²⁾: "أما مدر فأكبر بلد همدان مأثر ومحافظ بعد ناعط وفيها
أربعة عشر قصراً منها ما هو اليوم خراب ومنها ما هو اليوم منشعث، ومنها ما
هو عامر مسكون". ويضيف "أما قصرها العامر فقد دخلته فهو بوجوه من
الحجارة البلاطية خارجية، ومثلها في داخله، قد أجز عليها للماشق⁽⁴³⁾ فاست ترى
فيها فصلاً ما بين الحجرين حتى لو كان داخله كريف للماء ما خان ولا نفذ".
ثالثاً: الفن المعماري الديني:

لقد أقام قماء اليمنيين لأبائهم بيوتاً يحجون إليها، ويوزورونها ويتقربون عندها
بالذباح، وقد اختلفت تلك المنشآت الدينية من حيث أشكالها وأحجامها وطريقة، وقد
استخدمت الأخشاب لتصميم هياكلها، ولقيمت سقوفها على أعمدة قوية. لأن دراسة
تلك المعابد بتخطيطاتها ومحتوياتها يتيح لنا فرصة لرسم صورة واضحة المعالم
للديانة في اليمن القديم، وللطقوس الدينية التي كانت تمارس آنذاك.

فالباقيا التي حافظ عليها الزمن من تلك المنشآت، تشير إلى مدى رقي وعظمة
الفن المعماري الديني عند قماء اليمنيين، ففي البداية كانت أماكن العبادة عادية،
اعتقد الأكثمون أن المعبودات تعيش فيها، فهي إما نبع، أو صخرة أو شجرة ...
فاعتبرت المنطقة الواقعة حول ذلك المكان موقفاً مقدساً تجلب إليه الهدايا، وتقام
فيه للطقوس الدينية، وبدأ الشكل البدائي للمعبد بتشييد جدران تحيط بالموقع
للمقدس، وكان هذا الشكل مميزاً لمعبد (المقه) معبد (الولم)⁽⁴⁴⁾ بمارب، الذي أطلق
عليه الأخباريون (محرم بلقيس). وكذلك معبد المقه بـ (صرواح)، وفيما بعد
تطور بناء المعابد وأصبح أكثر تعقيداً، وغدت المعابد محصنة بجدران ضخمة،
ذات حوائط مزدوجة يتصل بعضها ببعض - من مكان إلى آخر - بمولد من
الحجارة العمودية، وكسيت الفراغات بينها بالحجارة والطين، فأنشأت الأعمدة عند

المدخل، وشيّدت صالات داخل السور، وأحيط المحراب (قصر الأقداس) بعدد من الأعمدة لتفصله عن بقية الصالات، أما أرضية المعبد فبُطنت بالحجارة. إلى جانب ذلك وجدت في بعض المعابد حجرات لخزن الغلال. وقد ذكرت لنا النقوش مصطلحات خاصة بالمعبد وأجزائه⁽⁴⁵⁾ مما يدل دون شك - على تنوع الطقوس الدينية التي كانت تمارس في تلك المعابد.

(1) نماذج من المعابد السبئية:

أ - معبد الإله المقه أو معبد (أولم) بمارب:

يطلق عليه الأخاريون (محرم بلقيس)، يقع معبد المقه على بعد (4 كم) إلى الجنوب الشرقي من مارب، بني من كتل من الحجر الجيري. نو تخطيط بيضاوي، يقع مدخله الرئيس في الجانب الشمالي الشرقي، يتقدمه صف من ثمانية أعمدة من الجرانيت، كل منها عبارة عن حجر واحد قائم، يبلغ ارتفاعه (7.65م) يتلو ذلك مدخل ذو صرحين مرتفعين يؤدي إلى بهو ضخم، حملت سقفه أعمدة حجرية كبيرة، ومع مرور الدهور بقيت بعض أجزائها وغطت لرمال لجزء آخرى، البهو محاط بسور قوي سمكه حوالي (3.90م) وهو عبارة عن سور مزدوج، أي يتكون من حائطين متوازيين متصلين ببعضهما بحوائط صغيرة متقاطعة، يبعد الولد منها عن الآخر مترين ونصف المتر، وقد ملئت المساحات الداخلية منها بقطع صغيرة من الأحجار. أما ارتفاع حائط السور فيمكن تقديره بحوالي (9.50م)، مازلت أجزاء منه تحتفظ بالإقريز القديم، ومن المؤكد أن المعبد كن غير مسموف⁽⁴⁶⁾.

لما بالنسبة لتاريخ بناء المعبد، فمن خلال النقوش المكتشفة على الجدران، نستنتج: أن ملوك سبا الأوائل هم أول من بنى ذلك المعبد، فقد جاء ذكر للمكرب (يدع إله ذريح) والمكرب (إله شرح بن سمه علي ذريح) و(يدع أمر بين)، وقد تبلينت وجهات نظر العلماء حول للفترة الزمنية لهؤلاء الملوك، وننطق مع ما توصل إليه عالم النقوش (جام) بأن أقدم نقش عثر عليه في المعبد يعود إلى القرنين الثامن والسابع ق. م،⁽⁴⁷⁾ أي أن فترة بناء المعبد ربما تبعد عن ذلك لتاريخ.

ب- معبد (مغرب) بالمساجد:

لحد معابد سبا، كرس لعبادة الإله (المقه)، يقع في منطقة (المساجد) ببلاد مراد التي تبعد حوالي (27 كم) جنوب شرق مارب الحالية، شيد هذا المعبد للمكرب السبئي (يدع إله ذريح) (القرن السابع ق. م) مؤسس معبد المقه (يوم) بمارب، ومعبد المقه (بصرواح)،⁽⁴⁸⁾ لذلك فهو يعد من أقدم المعابد في جنوب شبه الجزيرة العربية، ويعتبر المعبد الوحيد الذي ظلت أعتابه في أملكها الأصلية، سجلت على أعمدته العديد من النصوص النقشية، كما بني لهذا المعبد سور مستطيل الشكل من كتل الأحجار المحلية، أما مدخله فوجه نحو الجنوب الغربي⁽⁴⁹⁾

ج- معبد الإله المقه بصرواح
 بني سور معبد المقه بـ (صرواح) على نمط سور معبد المقه بـ (مارب)، على شكل حائط، مزدوج متصل بحواط صغيرة، كل بضعة أمتار، حيث تمثل المسافات بينهما بقطع من الأحجار الصغيرة، وتوجد بعض النقوش على الجدران الخارجية عند الجانبين الشمالي والشرقي. ويشير أحد النقوش إلى أن المكرب (يدع إل نريغ بن سمه علي) قد كرسى هذا المعبد للإله المقه، كما يشير لبنائه سور المعبد، وتقديمه بخوراً كقربان، وإلى جانب للمقه كرم أيضاً الإله (عشتر) والأكهة (ذات حميم) في نفس المعبد⁽⁵⁰⁾.

ما زالت أجزاء من المعبد تحتفظ بالنقوش، وما زال نقش النصر⁽⁵¹⁾ للشهير (جلزر 1000) في مكانه بالرغم من عوامل التعرية الطبيعية والعبث البشري. والجدير ذكره أن هذا المعبد استخدم كقلعة في العصور الوسطى، وفي داخل المعبد بنيت العديد من المنازل الحديثة بأحجار قديمة.

د- معبد الحققة:

الحققة: موقع أثري يقع على بعد (30 كم) تقريباً شمال صنعاء، كشف عنه للعالمين الألمانين (نان ويزمن) و(راتجن) عام (1927 - 1928م). وأهم ما عثر عليه في الموقع، آثار معبد مستطيل الشكل له فناء قائم للزوايا، أحيط من ثلاث جهات ببقايا أعمدة ذات ثمانية أوجه، تنتهي بتيجان، وعلى الجهة الرابعة نجد المدخل الذي يوصل إلى الفناء، كما يوجد سلم يوصل إلى داخل المعبد⁽⁵²⁾.
 تمتاز أعمدة المعبد بالإتقان، فقد نحتت أضلاعها في الأعلى على شكل مستطيل، كما احتوت على نقوش زخرفية متنوعة.

2- نموذج من معابد الجوف:

عثر للبعثات الأثرية على بقايا عدد من المعابد تقع إلى الشرق من المدن الكبيرة مثل (هرم) خربة همدان حالياً، و(كمنهو) كمنه حالياً و(قرنار) "معين" اليوم، وهناك معابد في (نشن) "السوداء"، و(نشق) "البيضاء"، و(بئل) "يراقش"، بعض هذه المعابد متشابهة في الطراز المعماري، ذات أبواب متتالية أصغر فأصغر، تفتح على فناء مكشوف محاط بأروقة جانبية، وتتشابه فيما بينها بالزخرفة، التي تتمثل في رسومات لشعيلين، ونباتات، ووعول ونعام، وشخصيات لمية.

*- معبد عشتر نو رصف بالسوداء:

تقع مدينة السوداء الأثرية في الجوف على بُعد (15 كم) شمال غرب مدينة (الحزم) على بعد (100 كم) شمال شرق مدينة صنعاء.

التي تدهن الأرضية. أما في الجزء الشمالي من المخطط، فيوجد على بعد 10 م من الجدارية المربعة، بئر عميق 10 م، وهو من صنع الإنسان. الحقول القديمة تتوسطها

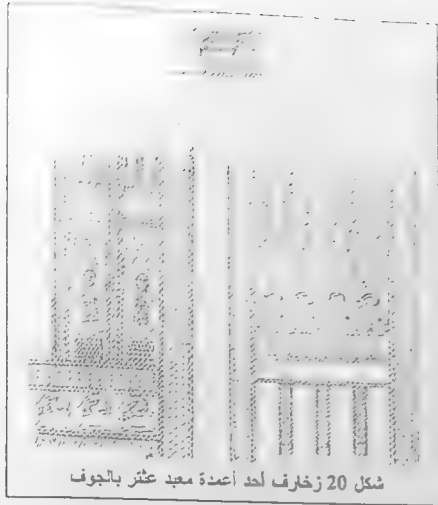


شكل 19 رسم افتراضي لمعبد عثر (الخوف) بناءً على الأوصاف

أطلال معبد صغير، تبرز منها مجموعة أعمدة للمدخل والأروقة الجانبية، كما تبرز مجموعة من البلاطات المستخدمة لتغطيتها. هذه الأعمدة كانت مزخرفة بطريقة الجز، بأشكال نباتية وبأشكال حيوانية متنوعة وشخصيات نسائية، لهذا رأى (جان فرانسوا بريتون)⁽⁵³⁾ مبرراً لتسمية المعبد باسم (بنات عاد) (انظر الشكل 19).

- التخطيط الهندسي للمعبد:

يبلغ طول المعبد (50،15م) وعرضه (14،10م)، ويتكون من سور يمكن مقصوره في الجهة الشرقية، ومن فناء رئيسي محاط بأروقة. كما أن هناك حجراً مزدوجاً على واجهتي البوابة، يستخدم كقاعدة من النصب المصقولة أما الحائط فيتجه نحو داخل المعبد ليكون ممراً عرضه (10 م)، ومحاط بمقعد حجري، ونصب مصقولة، هذا النصب يفتح على الفناء⁽⁵⁴⁾ (انظر الشكل 20)



شكل 20 زخارف لحد أعمدة معبد عثر بالجوف

الفناء الرئيس يبلغ طوله (13,65م) وعرضه (12,30م) محاط برواقين على امتداد طوله، وينتهي شرقاً بمصطبة من درجتين مكسوة ببلاطات كبيرة متعددة الزوايا، ويحتوي على مذبح رئيس وآخر جانبي، الأروقة الجانبية مدعمة بأعمدة مستطيلة، في شرق الفناء حيث تنتصب مصطبة محاطة بعمودين وضعت عليها ستة مقاعد حجرية فردية على شكل نصف دائرة.

أما معبد (السوداء) بكثرة زخرفته المتميزة والفريدة، فقد كسيت أعمدته بزخارف، ورسومات لثعابين متشابكة، ورماح، وعول برية، ونعامات، ونباتات بسيقان طويلة، كما وجدت نقوش على واجهات الأعمدة ورسوم لشخصيات ذكورية⁽⁵⁵⁾.

- تاريخ بناء المعبد:

إن أقدم نقوش المعبد تلك التي وجدت على الواجهات الغربية لأعمدة المدخل الأربعة التي أشارت إلى اسم (أب أمر صدق) إحدى الشخصيات المهمة التي ساهمت في بناء جدار المعبد، أما تاريخه فيعود إلى القرن السادس قبل الميلاد تقريباً حسب تقديرات (بريتون)⁽⁵⁶⁾ كما عثر في المعبد - عنه - على نقوش أخرى تذكر أسماء لملوك تقربوا للإله عثر. ظل المعبد مستخدماً لفترة طويلة، كما عثر على إهداء يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي.

3- نموذج من المعابد القبطية:

• معبد عثر بتمنع:

يمثل هذا المعبد أكبر البنايات الأثرية في تمنع القديمة، حيث تبلغ مساحته 160 قدم) وعرضه (135 قدم). الساحة رصفت بقطع من الرخام المصقول، وهناك سلم رخامي يبلغ عرضه (31 قدم)، يقود إلى مدخل فخم للبنية الرئيسية، وقد تأكلت أطراف الدرجات بفعل لقدم آلاف المتعبدين الذين كانوا يرتلون المعبد⁽⁵⁷⁾.

البناء يتغير على عمق (20 قدم) فالحجارة بعد هذا العمق تبدو أصغر حجماً وأكثر تشظيماً من الحجارة العلوية، ومن هنا تضح أن الحجارة الصغيرة كانت لبناء سابق بني فوقه، وعلى عمق (30 قدماً) عثر على قطع جميلة من الخزف ذات لون أحمر بني، يرجع تاريخها إلى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد، ومن خلال ذلك استنتجت البعثة الأثرية⁽⁵⁸⁾ بأن المعبد قد بني على أربعة مراحل: المرحلة الأولى: تمثلها الجدران السفلية للمعبد التي بنيت في عهد المكابرة (حوالي القرن السابع أو الثامن ق. م). المرحلة الثانية: أقيمت جدران أخرى يرجع تاريخها إلى القرن السادس ق. م تقريباً.

المرحلة الثالثة: بنيت الساحة والدرج المؤدي إلى المعبد، يرجع تاريخها إلى حكم ملوك (تمنع) حوالي القرن الرابع ق. م. المرحلة الرابعة: يظهر تأثير الفن الهلنستي تعود إلى عهد الملك القبطي (شهر بجل) القرن الأول ق. م، وقد كشفت البعثة أيضاً عن مجموعة من الحجرات يرجع تاريخها إلى هذا العصر مبنية في الناحية الغربية من الساحة الرخامية. ومن خلال بقايا الغلال الذي عثر عليه في هذه الغرف، يبدو أنها كانت تستعمل كمستودعات تابعة للملك.

4- نماذج من معابد حضرموت:

عثرت بعثات الآثار في حضرموت على مجموعات من المعابد بالقرب من المستوطنات الأثرية (مسونة) و(مشغة) في وادي (عد) و(ريون) و(هجرة) و(مكينون) و(حسن الكيس) و(حريضة). (انظر خريطة رقم 5).

معابد وادي حضرموت وروافده، لها خصوصية تميزها عن معابد المرتفعات الغربية، ومناطق أطراف الأودية الشرقية، فهي عبارة عن أبنية صغيرة تسند على المنحدرات الصخرية التي تشرف على الموقع، وتشارك جميعها في التخطيط الهندسي، فقد امتازت ببساطتها، وبلاذات تلك التي تقع على سفوح الجبال، حيث نجد

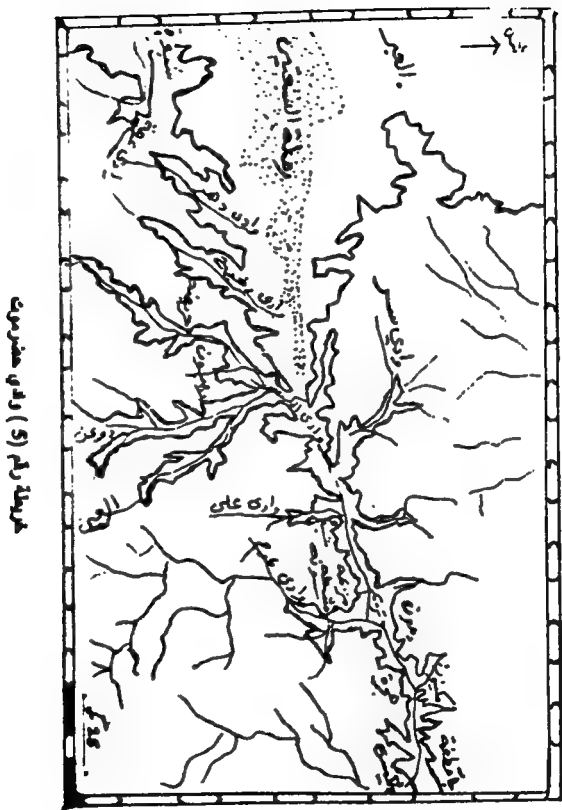
لها تستند على المنحدرات. لهذا نلاحظ أن اتجاهات المعابد وتخطيطها الهندسي يتأثر باتجاهات المرتفعات والتواءات الأودية.
- السمات العامة للمعابد (59).

أ- السلم: الملاحظ أن الوصول إلى تلك المعابد يتم بواسطة سلالم تتشابه جميعها من حيث مظهرها الخارجي، ومن حيث تقنية بنائها، بصورة عامة، كما تتفاوت الدرجات، ويترشح طولها وفقا للاتحاد، فسلم معبد (هجرة) يصل طوله إلى (68م)، وسلم (مكينيون) طوله (65م) تقريبا وسلم (باقطفة) (60) (انظر شكل 21) يصل إلى (17م) فقط، أما التقنية فهي الأخرى تختلف من مكان إلى آخر، فهناك بعض السلالم المبنية بكاملها، كما هو الحال في (باقطفة) وبعضها منحوت جزئيا في الصخر كما في (مشغة) كما نجد أن بعض تلك الدرجات العليا تحمل نقشا. وفي جميع تلك المعابد نجد أن آخر درجة في السلم هي الأكثر إتقانا.

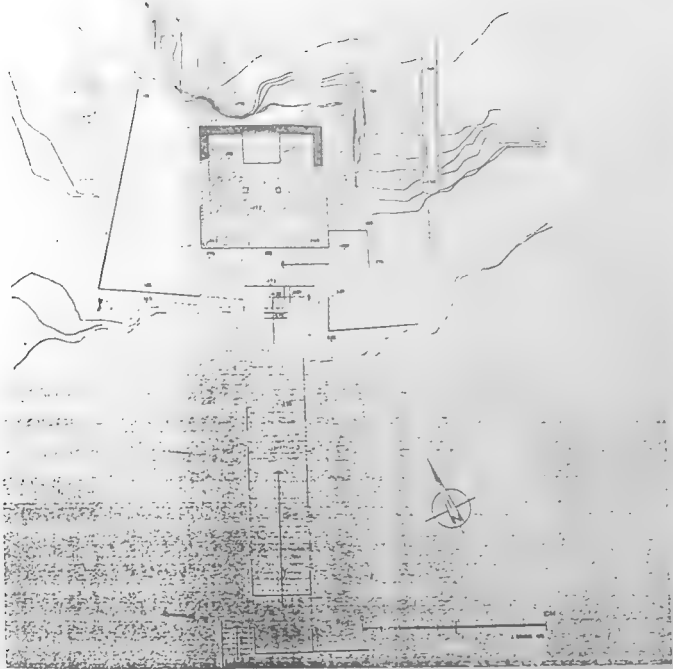
ب- السور: يتصف السور بتخطيط غير منتظم في الغالب، كما أن تلك الأسوار متوسطة الحجم، وتتألف من عدة طبقات ومحاور سير مختلفة.

ج- البهو المقدس: عبارة عن ساحة مبلطة بالأواح حجرية توجد بها تعميقات حفر، الغرض منها تثبيت الأعمدة الخشبية، وذلك في الجهة الغربية، أما في الجانبين الشمالي والجنوبي، فنجد أن الأعمدة وضعت على قواعد حجرية. تلك الأعمدة تحمل السقف الذي يغطي البهو.

د- قنص الأقداس أو (المحراب): هو المكان المخصص لتواجد المعبود وهو المكان الرئيس في المعبد، أمامه يقام حوض من الحجر والبرونز ويمتلئ بالماء الخاص بالطهارة الطقوسية.



خريطة رقم (5) وادي حطين



شكل 21 مخطط معبد باقطفة حضرموت (البعثة الفرنسية)

رابعاً: المقابر وأعمالها:

من المعلوم أن الإنسان القديم في مختلف الأزمنة والأمكنة استخدم الكهوف لدفن موتاه، ولسكناء خلال أحقاب طويلة، كما أحيطت جثث الموتى لدى بعض الأمم بعناية خاصة، فدفنت وفق مراسم خاصة، ووضعت على مقربة منها الأدوات المنزلية وأثاث الزينة والأسلحة، ومواد جنائزية متنوعة، كل ذلك يشير إلى اعتقاد تلك الأمم بالبعث والخلود بعد الموت، وإن الميت سيحتاج إلى أدواته وأسلحته.

وفي اليمن تبين لنا من خلال المقابر المكتشفة أن قدماء اليمنيين - كغيرهم من الشعوب - أعطوا عناية خاصة واهتماماً كبيراً للمصير الذي ينتظرهم، فأحيطت جثث الموتى بالعناية الفائقة انطلاقاً من اعتقادهم بالبعث الذي يفرض عليهم القيام بطقوس تؤمن للشروط المادية الضرورية للحياة الآتية، وبما أن الجنة قبلية للتحلل، نجدهم في بعض المناطق اليمنية كـ (شباب الغرس)⁽⁶¹⁾ يقومون بتحنيطها لتقوم تقاليد الزمن، كما كان يفعل قدماء المصريين.

إن أهمية دراسة المقابر وما تحتويه من مقتنيات أثرية قيمة يمكننا من معرفة جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية لليمنيين قديماً، ولتصوراتهم الدينية ولتقاليدهم الخاصة بالدفن (الطقوس الجنائزية) فتفحص مواد تلك القبور سيمساعدنا على معرفة الفنون وتطورها، وعلى معرفة العلاقات الاقتصادية المساندة لذلك؛ لهذا وجدنا ضرورة دراسة المقابر، فدراسة للفنون المعمارية وحدها لن يحقق طموحنا في معرفة المزيد عن حياة قدماء اليمنيين.

كما أن دراسة أنماط القبور من حيث تخطيطها الهندسي، يمكننا - دون شك - من معرفة قدم تلك القبور أو حداثةها، ويتجلى ذلك من خلال دراسة لرضية القبر وشكله، إضافة لذلك، فإن وضع الجنة في القبر له - أيضاً - تصورات مهمة مرتبطة بالطقوس الدينية.

وقد أسفرت نتائج التنقيبات الأثرية في اليمن عن اكتشاف أنماط مختلفة من المقابر:

1- مقابر صخرية أو (كهفية):

ينتشر هذا النوع من المقابر في المناطق المرتفعة حيث تحفر القبور على النتوءات الصخرية، أو أسفل التلال الجبلية، وقد يحفر القبر في الصخر الصلب، وتكون أحياناً على شكل تجاويف دلخية تبنى من الحجر المشذب، أو ذات دهاليز تربط بينها وبين كهوف أخرى مثل مقابر (شبو)⁽⁶²⁾ و(حريضة)⁽⁶³⁾ وقد تستبدل التجاويف في بعض القبور بمبلن مقوسة نغية الشكل كمقابر (ظفار) حدير، أما تخطيطها فيختلف باختلاف الطبيعة الجيولوجية للمنطقة، حيث نجد المقابر في المرتفعات الغربية من اليمن أكثر تعقيداً وإحكاماً، بخلاف المقابر في الهضبة

للشرقية، أما المدخل بشكل عام فيكون واسعاً وغير منتظم، وتختلف مساحته للدخلية، فيعضها ذات مساحة واسعة وبعضها الآخر ذات مساحة ضيقة. أما الجدران فيظهر عليها آثار النقر، ويندر فيها الفتحات الجانبية، بل أن أغلبها ذات أرضيات منخفضة نسبياً عن المستوى الخارجي، حيث نفرت في أرضيتها حفرة مستطيلة يرجح أنها مكان لوضع اللجة، كما نشاهد على جانبي مدخل بعض تلك القبور أحواض وقنوات، وتحتوي مسطحاتها على مخربشات بحروف المسند لأسماء أشخاص، يعتقد أنها تخص تلك المقابر، وتوجد أيضاً كلمات وأشكال غير مفهومة⁽⁶⁴⁾.

2- مقابر في حفرة عالية:

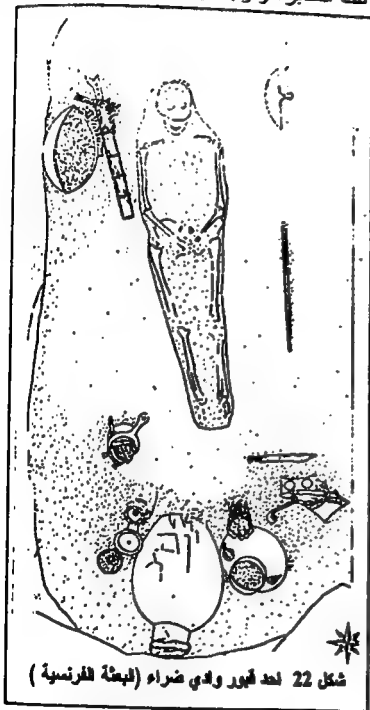
يولرى المتوفى في تابوت من الحجر قائم الزوايا يغطي ببلاطة لو ينفن في حفرة بسيطة كمقابر (مجر لمنبيية) بواي ضراء⁽⁶⁵⁾.
(نظر شكل 22)

3 - مقابر على شكل حجرات:

هذا النمط من المقابر عبارة عن بناء مربع يبلغ طوله نحو (25 قدم)، وكذلك في العرض والارتفاع، مشيد من المربعات الكبيرة، وحائط سمكه قتلان، ينقسم في الداخل إلى قسمين، وكل قسم عبارة عن غرفة، والحائط الفاصل يقع في وسط المدخل وعلى بعد (6 أقدام) منه، وقد تشكل الحجرات فيما بينها طريقاً محورياً كمقابر (حيد بن عقيل) في قتلان⁽⁶⁶⁾ والمقبرة الكبيرة بملارب⁽⁶⁷⁾.

لما التاريخ المطلق لتلك المقابر فما زال قضية معقدة، علماً أن علماء الآثار حاولوا

وضع تواريخ تقريبية لمختلف تلك المقابر، فجميعها لا تبعد عن الألف الأول ق.م.



شكل 22 مقابر بواي ضراء (البعثة الفرنسية)

ومما تجدر الإشارة إليه أن دفن الموتى في اليمن قديماً ، لم يقتصر على الإنسان بحسب، بل تعداه إلى الحيوانات، فقد تم اكتشاف عدد من مقابر الجمال، يتزامن تاريخها مع المقابر الأدمية. (68)

لحامسا: المنشآت الاقتصادية:

1- منشآت الري:

أ- السدود: تعتبر السدود من أهم المنشآت الروائية التي أقامها قدماء اليمنيين ، وقد جاء في النقوش لفظ (عزم) بمعنى السد ، كما جاء في سورة (فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبللناهم بجنتيهم جنتين نواف لكل خبط وللمرء وشئ من سدر قليل) . (سبأ آية رقم 15).

تتباين مواد بناء تلك السدود، فنجد بعضها يبنى من الرمل لو الحصى لو الطين وربما أغصان الأشجار والبعض الآخر وهو النوع الأكثر تطوراً ويبنى من الحجارة الكبيرة الصلبة. ويمكن تقسيم السدود إلى نوعين:

• سدود تحويلية:

ويمتاز هذا من النوع السدود ببساطتها ، حيث تقام أساساً بهدف رفع منسوب مياه السيول المتدفقة في المجرى على الأراضي الزراعية المحيطة، وليس للخرن، وبواسطة هذه السدود يمكن الاستفادة من هطول الأمطار بشكل مباشر لول بلول ، حيث يتم صرف مياهها بواسطة قنوات جانبية، ومازال هذا النوع من السدود منتشر في اليمن حتى اليوم، ويسمى (أعبار) لو (عولرض).

• سدود خزن وتصريف:

يبنى هذا النوع من السدود من الأحجار المرصمة والمبونة بالحجر حيث تقام تلك السدود في أضيق مكان من الوادي أي في الموقع الذي يهدأ عنده ارتفاع السيل، أما الهدف من بناء هذه السدود فيتمثل في:

1. درء خطر السيول التي قد تنهمر بشدة فتهدم القرى والمزارع وتجرف التربة.
2. رفع منسوب المياه في مجرى الوادي إلى الحقول الزراعية بواسطة نظام دقيق عبر شبكات منظمة.
3. الاستفادة للقصى من تلك المياه لري الأراضي في فترة الجفاف.

لمتازت أغلب هذه السدود بضخامتها وروعة هندستها وخير مثال على ذلك سد مأرب الشهير الذي يعد من أكبر المشاريع الهندسية للري في شبه الجزيرة العربية، حيث كان في وجوده رخاء لسكان المنطقة ووفرة في اقتصادهم الزراعي. ظل سد مأرب قائماً لأكثر من (1000) ألف عام تقريباً، وتكل آثاره الباقية على أنه رمم أكثر من مرة وفي عصور متفاوتة، فنظام التخزين فيه أعد بحيث يسمح بوصول

السيول إلى الأراضي الزراعية بواسطة مصرفين كبيرين على جانبي السد، بعدها يتوزع عبر قناتين رئيسيتين ومن ثم تتوزع مياه السيول بواسطة قنوات فرعية أخرى.

لما اليوم فلم يبق من السد سوى بعض أجزاءه وقد قامت الدولة مؤخراً بإنشاء سد عظيم في وادي (أنفة) في الجزء العلوي من مضيق جبل (بلق) على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً من السد القديم ليقوم مقامه ويعد للحياة نظارتها ويؤمن الرخاء لسكان المنطقة.

ومن المعروف أن كميات الغرين التي يحملها السيول معه من الأعلى تتجمع خلف السد مع مر السنين، فيرتفع مستوى مجرى الوادي، ويصبح في مستوى الأراضي الزراعية، وفي هذا الحال يضطر للناس إلى إقامة حاجز (سد) جديد في مكان آخر من الوادي كما حدث في كثير من الأودية. على أن هذا لا يحدث إلا في فترات متباعدة.

وقد ذكر لنا المهندسي عدد من السدود في اليمن، منها سد (الخائق) بصعده، الذي بنى كما يقول في أيام سيف بن ذي يزن وسد (ربعان) في همدان، ويضيف بقوله: لما خرب سد (ربعان) نقص غيل وادي (ضهر) إلى النصف، وسد (سيان) في جنوب شرق صنعاء، وسد (جيرة) في إقليم (عنس) (الحدا) وسد (بيت كلاب) في ظاهر همدان، وسدود يحصب في دولة حمير التي بلغ عددها ثمانين سدا (69).

به القنوات:

كشفت بعثات الآثار في كثير من المدن التاريخية، بقايا لشبكات ري متنوعة، بفضل هندستها وتوزيعها أصبح بالأمكان ضمان وصول الماء إلى الحقول الزراعية، وهي تختلف في أحجامها على حسب كمية الماء للمتدفق إليها، وأيضاً من حيث الشكل فهناك قنوات مكشوفة وأخرى مغطاة، تتركب تلك القنوات من قنوات رئيسية تسمى (عبر) جمعها أعبار، تنفرغ منها قنوات فرعية تسمى (شرح) جمعها (أشرح) وجميعها تتحكم في تصريف الماء بكميات قليلة أو كثيرة حسب الحاجة، يتم ذلك من خلال فتحات تصريف بعضها توزع للمياه بواسطة قنوات أصغر إلى المنطقة الزراعية المراد ريتها، فالقنوات الرئيسية تحول الماء من السدود وتحملها إلى الأراضي الزراعية ثم تتولى توزيعها إلى الحقول شبكة من الجداول المتداخلة وتظل تلك القنوات مفتوحة على الدوام، وبهذه الطريقة فإن السيول عندما يأتي فجأة في الليل أو النهار تتوزع مياهه تلقائياً على المزارع، كما أن تلك الطريقة تسبب في تمرب كثير من الماء إلى باطن الأرض، فيرتفع منسوب المياه الجوفية في الوادي ويسهل بذلك للحصول على الماء بواسطة حفر الآبار في ذلك المكان. وهناك عدد من النقوش تتحدث عن بناء للقنوات وتعميرها.

2- شق الطرقات وتبليطها:

من المعروف أن اليمن وعمر المسالك في كثير من بقاعه، وإيجاد طرق لينة وبمسلة العبور، قام الملوك في مختلف الممالك اليمنية بتسييد الطرقات الجبلية، فسقوا الجبال وأحدثوا فيها ثغرات للعبور، ثم قاموا بتبليطها بالحجارة للصلدة والصخور الصماء، كما أحكموا تعاربها ليسهل صعودها ؛ كل ذلك تم بفن هندسي راق. وعلى مفارق تلك الطريق أنشأوا مراكز تجارية، لخدمة للتجارة، كما كانوا حريصين كل الحرص على توفير كل التسهيلات اللازمة لغرض جذب تجار القوافل للمسير عبر تلك المراكز، محكمين قبضتهم على كل منفذ تمر به للتجارة للاستفادة من الضرائب التي تفرض على جميع السلع المارة في تلك الطريق. وعلى الرغم من وجود بعض الطرق القصيرة والسهلة لمرور القوافل، إلا أن الملوك دوماً يقومون بتغيير مسالكها باتجاه أراضيهم بهدف التحكم بالتجارة وبمواردها.

أ- شق الطرقات في مملكة قتيان:

- حدثتنا النقوش عن الأعمال العمرانية في قتيان إلا أن من أبرزها على الإطلاق ما قام به المكرب القتباني (يدع أب ذبيان بن شهر) الذي أمر ببناء معابد للاله عم (RES 4328) وفتح طرق في مناطق وعرة وفي لرض جبلية استوجبت أحدث ثغرات في الصخور وفتح نفق ليمر به الطريق، ومن أشهر تلك الأعمال طريق (مبلقة) الذي تولى العمل فيه مهندساً موهوباً يدعى (لوس عم بن بصرعم بن مدهم) والذي نجد اسمه موقعا على تلك الأعمال العمرانية، حيث أشرف كما يبدو على إدارة العمل، ورسم الخطط، ورصف تلك الطرق وتبليطها، ويظهر من أعماله الهندسية تلك أنه من كبار مهندسي الدولة ومن أصحاب العلم بهندسة الطرقات وفتح الأنفاق. (70) ومن أبرز ممرات دولة قتيان:

1- عقبة مبلقة:

تربط طريق مبلقة أو (عقبة مبلقة) بين وادي بيحان ووادي حريب الواقع غرباً، فقد أمر المكرب القتباني (يدع أب ذبيان بن شهر). بشق تلك الطريق من خلال فتح نفق في الجبل الذي يحمل نفس الاسم، كما جاء في نقش (GL 1600) ولتزويد القوافل وسقاية الإبل قاموا ببناء لحواض لحفظ المياه على جانبي الطريق وعند مدخل الطريق بين (هجر بن حميد) شرقاً و(حنو لوزير) غرباً، شيّدوا مركز (نو غيلم) الذي توسع عمرانه فيما بعد وأصبح مدينة قتبانية هامة، وقد عثر في الموقع -عينه- على ثلاثة نقوش قتبانية تتحدث عن تلك الطريق نذكر منها نقش (RES 3550/3) وما زالت آثار طريق عقبة مبلقة باقية شاهد حي على تلك الجهود العظيمة، حيث شاهد (وينل فليس) عام 1952، أثناء تجواله في بيحان ذلك

الممر وقال واصفاً لياه: "هو عبارة عن طريق صناعية شقها الإنسان لتصل بين وادي بيهان ووادي حريب فعلى امتداد هذا الممر، والذي يبلغ طوله ثلاثة أميال، ترتفع الجدران إلى مسافة (1000) قدم في إنحنيات خطيرة، أما طريق الممر فيستلوح عرضها ما بين خمسة عشر قدماً وإثني عشر قدماً، وأضفاف، ويمكن القول إن شق مثل هذا الممر من الأعمال للجبال".⁽⁷¹⁾

2- نجد مرفق:

طريق مرصوف بالحجارة، شقه ملوك قتيان على الحافة الصحراوية بين وادي بيهان ووادي حريب.

ب - شق الطرقات في مملكة حضرموت:

نشط ملوك حضرموت أيضاً في هتمة للطرق وشق الجبال للوعدة لتكون لهم مسالك مهيأة تربط بين الساحل (الميناء) والعاصمة الحضرمية شبوة ولتحقيق ذلك الاتصال أنشأ ملوك حضرموت ممر (قلت) الميناء (RES 2687) في وادي حجر، ذلك الوادي الذي يصب ملؤه في البحر، وتعد من التحصينات الأساسية لمنطقة ميفعة البوابة الجنوبية لحضرموت (RES 2687).

كما أن الاتصال المباشر بين شبوة وأودية حضرموت صعب للغاية بسبب وعورة التضاريس، لذا عمد ملوك حضرموت على إقامة عدد من العقاب (ممرات) الممهدة في تلك الأودية لتختصر الطريق وتسهل عبورها نذكر هنا بعضاً منها:

1- عقبة العقيبات:

في أعالي وادي عرمة يوجد ممر (عقبة عقيبات) الذي يربط بين شبوة بالجول (الوسط) وبالمناطق التي تقودنا إلى وادي حضرموت، من خلال رافد وادي عمد ومنه يمكننا أن نتجه جنوباً حتى ميناء قنا، في ذلك الموقع عثر على خمسة نقوش تتحدث عن المراحل المختلفة التي تم فيها تعبيد الطريق من الأسفل إلى القمة من قبل ملوك حضرموت. ومن المعلوم أن هذا الطريق يختصر للمسافة إلى أعالي وادي حضرموت⁽⁷²⁾.

2- عقبة فتورة:

ومن عرمة إلى الجول الذي يؤدي إلى وادي دهر ووادي رخية توجد عقبة فتورة، وهي أيضاً طريق ممهدة وسهلة العبور، لا زالت قوافل الجمال تجتازه حتى اليوم ويعد العالم (انجرامس) أول من شاهد نقشا لها في هذا المكان عام (1939م)⁽⁷³⁾.

ج - شق الطرقات في مدينة عدن:

عرفت جبال عدن كثيرها من الجبال اليمنية، لمسات القدان اليمني فشتت فيها الأنفاق ومن أبرز معالمها التاريخية باب عدن أو باب البر كما يطلق عليه أيضاً،

يقع باب عدن شمال شرق المدينة، نهاية شارع أروى (حاليا)، حيث يوجد نفقان كان العامة يطلقون عليهما (البغدة الصغيرة، والبغدة الكبيرة)، ولا شك أنهما كانا يعتبران آنذاك الباب الرئيس للمدينة.⁽⁷⁴⁾ وما يؤكد ذلك ما قاله الحسن الهمداني في القرن العاشر الميلادي عن عدن: "عدن جنوبية نهامية، وهي أقدم لسوق العرب، وهي ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق فقطع في الجبل باب بزر الحديد وصار لها طريقاً إلى البر"⁽⁷⁵⁾.

لما المقدسي فيحدث عن باب عدن بقوله: "وقد شق في هذا الجبل طريق عجيب، وجعل عليه باب حديد، ومدوا من نحد البحر حائطاً من الجبل إلى الجبل فيه خمسة أبواب."⁽⁷⁶⁾ وما زالت آثار الحائط الذي تحدث عنه المقدسي قائماً، كما إن الأبواب جميعها بما فيها باب البر تمتد في خط واحد من جبل التمكر حيث الباب الرئيس حتى جبل المنظر للواقع في منطقة صيرة التاريخية⁽⁷⁷⁾.
سالمياً: المنشآت الدفاعية:

على قدماء اليمنيين كثيراً بالمنشآت الدفاعية العسكرية، تحسباً للنزاعات الحربية التي طالما نشبت بين الممالك اليمنية قديماً والصراعات القبلية، وكذا التنافس من أجل السلطة بين أمراء الدولة للوحدة، وقد تنوعت وتعددت تلك المنشآت وفقاً للطبيعة التضاريسية للمنطقة.

ويبدو جلياً من خلال نتائج البعثات الأثرية. أن المدن قد أقامت لنفسها منشآت دفاعية مهمة كالأسوار والحصون والقلاع، فاختيار موقع للقلاع والحصون يتم بعد دراسة علمية لطبيعة المنطقة ومعرفة المواقع الإستراتيجية المهمة. فآثار الحصون والقلاع نجدها في الغالب على قمم الجبال المطلّة على السهول ومضائق الأودية، وطرق التجارة، لغرض الإشراف المباشر، كما نجد مثل تلك المنشآت على القمم للصخرية المطلّة على المنافذ البحرية.

كما تطوق المدن حدودها بالأسوار المحكمة القوية التي تأخذ الشكل الدائري أو المستطيل أو البيضاوي، ولم يكف الأمراء والأعيان وأصحاب الجاه بتلك التحصينات، بل نجدهم يبنون منازلهم على ارتفاع شاهق كنظام دفاعي فردي، حيث تتوافر لهذا النوع من المنازل عناصر هندسية خاصة تتمثل في:

أ- أساس قوي من الحجر لارتفاعه من واحد إلى عدة أمتار.

ب- طابق أرضي بدون فتحات.

ج- مدخل واحد للمبنى.

د- طوابق عليا تبنى بأحجار مترابطة بملاط من الطين⁽⁷⁸⁾.

وتوضح لنا الوظيفة الدفاعية للمنزل نصيراً كافياً لانتشار هذا النمط المعماري على امتداد التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية.

1 - الأسوار والاماطها:

من المعروف أن أغلب المدن اليمنية القديمة كان يحيط بها سور حجري يتخذ شكلاً يختلف من مدينة إلى أخرى تبعاً لاختلاف الطبيعة التضاريسية للمدينة، فهناك تسوير كامل يظهر على مدن الوديان الشرقية مثل: (مارب) ومدن (الجوف) و(شبوة)، ومدن القيعان كصنعاء، والشكل الدائري للسور هو لطراز المنتشر لمعظم تلك المدن، ويمكن أن نشير هنا إلى أربعة أنماط من التسوير:

أ - التسوير الجزئي: مثل هذا النوع يشاهد كثيراً في المدن الجبلية، حيث يتقطع السور من بعض الأجزاء وبالأذات للوعرة، أو شديدة الانحدار، ويتركز التسوير على الأماكن التي يسهل الصعود منها إلى المدينة مثال ذلك: سور (نقب الهجر) ميفعة قديماً.

ب - أسوار متعددة: هناك من المدن ما تحيط بها عدة أسوار متدرجة من الأسفل إلى الأعلى، مثل هذا النوع يتناسب والطبيعة الصخرية للمنطقة مثال ذلك: سور مدينة (غيمان) الواقعة جنوب شرق صنعاء.

ج - أسوار ذات الأبراج: يظهر هذا النوع من التسوير في بعض المدن، فالسور عبارة عن مجموعة متسلسلة من الأبراج السكنية التي ترتبط بعضها ببعض بواسطة أروقة؛ بحيث يكون كل برج جزءاً من جدار السور، ويكون ملكاً أما لفرد أو لفئة اجتماعية معينة، وتكون عليه أو عليهم مسؤولية صيانتها.

د - التسوير المزدوج: من المدن ما يحيط بها سور مزدوج، مثال ذلك: سور مدينة (شبوة) التي ما زالت آثار بوابتها الجنوبية باقية؛ حيث عثر على نقش وهو (عم انس) من قبيلة (صدق ذكر) كما يحدد نقش آخر زمن تشييد البرج والفناء الذي أضيف إلى السور في حوالي عام (200) ق. م. (79).

وقد بنيت تلك الأسوار في الغالب من الحجر الجيري، بأحجام كبيرة مصقولة ومهندمة، ولها مداميك بجدارين ظاهري والآخر دخلي يملأ بينهما بحجارة (نشى) ويدعم السور من الداخل بالطوب اللين، ويتم التنسيق بينهما بشكل متقن كسور (قرنلو)، و(نشق) البيضاء، ونش (السوداء) ويلا (براقش)، و(مارب) و(خربة سعود) و(الأماحل) و(شبوة) و(تمنع)..... الخ.

وللسور مدخل مختلفة الاتجاهات، كل مدخل محمي ببرجين مجهزين بفتحات دفاعية كسور مدينة (قرنلو) معين، الذي يبلغ طوله (1150م) بارتفاع (5 أقدام) له مدخلان مدخل شرقي له برجان، ومدخل غربي محصن ببرجين من الجانبين.⁽⁸⁰⁾ أما سور مدينة (البيضاء)، (نشق) قديماً، فله أبواب محصنة بأبراج دفاعية يبلغ عددها (58) برجاً على امتداد (1500م)، وسور (براقش) (يلا) قديماً، له مدخلان أحدهما في الجانب الشرقي وهو المدخل الرئيس، محمي ببرج قائم للأمام، ومرتفع

بنحو (14م)، والآخر في الجانب الغربي، أما سور مدينة (مارب) وقد بقي منه مدخل غربي، نجد على جانبيه بقايا برجين، كما وجد يسور مدينة (تمنع) أربعة مداخل، وقد أحيطت للبوابة الجنوبية ببرجين حجريين وعلى جانبي المدخل نجد (مصطبات) كذلك للجلوس⁽⁸¹⁾.

• نموذج: سور نقب الهجر (م ي ف ع ت):

تقع مدينة (نقب الهجر) "ميفعة" قديماً، على المجرى العلوي لوادي يحمل نفس الاسم (ميفعة)، جنوب شرق ملتقى نقطة التقاء وادي (حبان) ووادي (عماقين) على بعد حوالي (320 كم) شرق عدن.

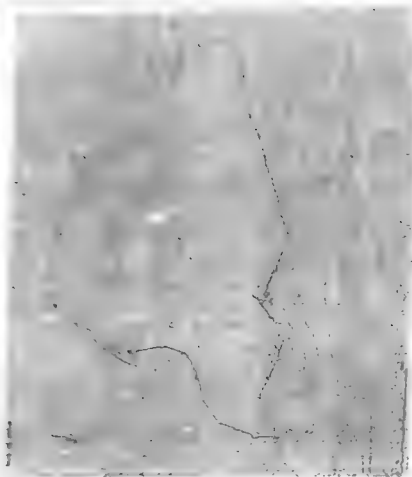
تحتل مدينة (ميفعة) موقعاً إستراتيجياً مهماً على طريق القوافل القادمة من ميناء (قنا) على المحيط الهندي، إلى المناطق الداخلية المهمة لحضرموت، فوادي (حبان) يشكل مجرى مائي طويل يوصل نقب الهجر (بنينة) حيث يقع إقليم (الوسر) الذي ينتمي إليه المر الأساري⁽⁸²⁾ لما وادي (عماقين) فيوصل بين (نقب الهجر) و(شبو) مروراً بمدينة (البريرة) على وادي (جردان). أما أسفل وادي (ميفعة) فتقع واحات (رضوم) و(جول الشيخ) والكتبان الرملية التي تسمى (النباب) حالياً، التي تمتد حتى ساحل المحيط الهندي، تلك الطبيعة التضاريسية الوعرة تقف عائقاً أمام توفير الحماية اللازمة للمدينة - أعني ميفعة - لهذا قرر الحضارة منذ زمن بعيد إنشاء سور (نقب الهجر) للحصين في المنطقة المرورية، وقد أكتت للبعثة الفرنسية ذلك من خلال ما عثر عليه من ترسبات للطمي الزراعي، الذي وصل في مستواه إلى عدة أمتار⁽⁸³⁾.

يحتل سور (نقب الهجر) قمة صخرية نحتت من جهة الشمال بواسطة مجرى الوادي، ويبلغ طوله بشكل عام حوالي (710م)، فالسور عبارة عن سلسلة من الأبراج يبلغ عددها (36) برجاً، متصلة مع بعضها البعض، يتبع بناء السور لتعرجات الصخرية وينقطع بحيث لا يتجاوز المنحدرات الشديدة الاتحدار الواقعة في شمال غرب وشمال شرق المدينة، في الجهة الغربية حيث تنتوء الصخرية، ثم بناء السور بتخطيط مقعر (القلاع من 1 - 15) ومحتب (القلاع من 5 - 9) لهذا القسم من السور مدخل سهل لا تحتوي على أية نظم دفاعية، أما في الزاوية الجنوبية الغربية حيث يوجد برج رقم (9)، فيدور السور باتجاه الشرق حيث نجد للباب الجنوبي بني للبرجين رقم (16 - 17)، يمتاز هذان البرجان بقوتها فهما يحتلان قمة صخرية صلبة، ومنحدرة، بعد ذلك نجد قواعد استحكامات السور بين البرجين (18 - 19) و(19 - 20) بطول (3125م) و(3088م) يستمر السور في امتداده شرقاً متبعاً تضاريس المنطقة حتى برج رقم (27)، ثم يتجه

لسور شمالاً شرقاً على شكل مقوس. نجد بعد ذلك الباب الشرقي الصغير بين البرجين (30 - 31)، عندها ينقطع السور، ثم نصل إلى الباب الشمالي الشرقي الذي يقع بين البرجين (33 - 34)، والملاحظ أن السور في جهته الشمالية مزدوج، أي على شكل جدلين، يبدأ ذلك الأزواج من البرج رقم (33) حتى برج رقم (36)، (انظر الشكل 23-24).

تاريخ السور:
عثرَت البعثة الفرنسية على أربعة نقوش تذكر بني السور، والملاحظ أن تلك النصوص لا تختلف في جوهرها فهي تذكر اسم (ميفعة) وبني سورها يقول أحد تلك النصوص النقشية: (هميل بن شجب) الذي بنى هذا السور وبابه وبنائاته (المستندة على السور) من الحجر المهذب والخشب والطين الني. يعود تاريخ النقش إلى حوالي القرن الثالث أو الثاني ق. م.⁽⁸⁴⁾

في القرن الأول ق. م. قام الملكين الحضرميين (يدع إل بين بن سمه يفع) و(إل سمع ذيبين بن ملكي كرب) ببعض الترميمات على جدار سور (ميفعة) حيث رموا السور بالحجر المهذب والخشب والطين الني، نقش (RES 3869)⁽⁸⁵⁾.



الشكل 23 مخطط سور نقب نهر ميفعة



شكل 24 سور نقب نهر ميفعة

2- الحصون:

لقد شيدت أغلب الحصون اليمنية القديمة في المواقع الاستراتيجية المهمة، فنجدها شامخة أما على طول الحدود لحماية المدينة، وأما على طريق التجارة لمراقبة مسير القوافل وحمايتها، وأما على المرتفعات الجبلية العالية التي تشرف على السهول ومضائق الأودية، لو على الصخور المغطاة على الموانئ البحرية. أما التخطيط الهندسي لتلك الحصون فهو متشابه إلى حد ما، ويتكون في الغالب من قاعدة مربعة ذات أبراج دائرية قوية، تشكل تحصينات بارزة تمتد من الأسفل إلى الأعلى، ليسهل الدفاع عن الموقع من كل الاتجاهات.

نموذج 1: حصن عرماوية (عرنموي ت) (86) حصن الغراب حالياً.
بني حصن عرماوية على صخرة بركانية قائمة ووعرة، تطل على مرفأ ميناء (قنا) لتقوم بحماية الميناء والمدينة، ورد اسم هذا الحصن في عدد من النقوش، أما أول اكتشاف للحصن فكان في عام (1834م) من قبل ثلاثة من البحارة الإنجليز وهم (ولستد وكروتنن وهتلن)، وقد أعلن عن ذلك الاكتشاف عام (1835م)، وأصدر (ولستد) كتاب بعنوان "الرحلات في الجزيرة العربية لنندن (1838م) تحدث فيه عن السلوطل الجنوبية لليمن وعن ميناء (قنا) وحصناه المنيع (عرماوية).

وقد تمكن هؤلاء المكشفون من تسلق للركام الصخرية بغية الوصول إلى للصخرة، ووجدوا أثناء سيرهم باتجاه القمة الصخرية كتابة نقشية نحتت على للصخور بعناية فائقة ونقلوها، وهو نقش (حصن الغراب) الشهير وفي القمة شاهدوا آثار لببوت وجندارنا وصهريجا وبقايا حصون، وعلى الجزء البارز من للقمة رأوا برجاً مربعاً ضخماً البناء موجهاً للبحر تبين لهم أنها قلعة الجزيرة التي كانت تحمي الميناء من جهة البحر (87).

وفي عام (1957) زار (Brian Doe) الموقع نفسه وتحدث عن الحصن، (88) وأشار إلى أن بوابة الحصن التي شاهدها (ولستد) قائمة، قد اندثرت الآن، ولم يبق منها سوى آثار، ويمكن مشاهدة بقايا قواعدها والدرجات التي تقود إلى الطريق المرصوف أسفلها.

هذا المنخل بحصنيه البارزين يشبه إلى حد ما منخل حصن نقب الهجر (ميفعة) ونشاهد على الجانب الغربي من البوابة، وفي قاعدة للصخرة، دوائر حجرية متميزة في حجمين، دوائر ذات حجم كبير، ربما تكون بقايا البروج المتعددة للقائمة على مسافات غير متساوية، ويعتقد أنها كانت مجالس يقعد عليها الحرس لحماية الميناء والدفاع عنه، أما للدوائر الحجرية ذات الأحجام الصغيرة فيحتمل

إن تكون لباراً قديمة، ويمكن مقارنتها بالآبار القليلة الملوحة كبنر (علي) المجاورة (89).

نموذج (2) حصن ذي مرمر (عرن ذمر م ر):

يمثل حصن ذي مرمر نموذجاً للحصون التي شُيّدت على مرتفع جبلي لحماية مدينة (شباب الغراس) يقول الهمداني (90): "وفوق شباب جبل ذي مرمر وهو جبلها ومقلها..."

ما زالت أثار الحصن قائمة، تبلغ مساحة الحصن 250 x 400م، ويمكن مشاهدة أثار طريق مرصوفة من الناحية الشرقية تؤدي إلى قمة الحصن، وبقيت أساس السور الذي يحيط بالحصن من ثلاث جهات لشمالية والغربية والجنوبية، كما توجد بقايا برج المراقبة وهو مربع الشكل بني من الحجارة المهذبة، يوجد عليه باب صغير هو المدخل الوحيد الذي من خلاله يمكن الوصول إلى الحصن، في الناحية الشرقية توجد بقايا جدران حجرية ما زالت بحالة جيدة (91).

من الآثار الأخرى المنتشرة في الحصن هي المأجل (92) للكثيرة العدد والموزعة على أنحاء الجبل، نجدها منحوتة في الصخر، ويمكن مشاهدة أغلبها على الجزء الجنوبي، كما توجد بقايا مخازن منحوتة في باطن الصخر لها فتحات مستديرة. - تاريخ بناء الحصن:

عثر في الحصن على نقش (GI 1209) (93) لشخص يدعى (معهم بن جهض بن ذي خرم) ووظيفته (منصف نائب بعل ترعت) أي خدام (سلطنة) بعل ترعة، وهو بذاته صاحب النقش (RES 4624) الذي ذكر فيه أنه قام بإصلاح لسلام لحصن (ذي مرمر)، وقد وضح لنا هذا النقش تاريخ كتابته بحوالي بداية القرن الثالث ق. م، وبالتحديد في عهد الملك المسمي (كرب إل وتر بن ينع أمر بين)، ظل حصن ذي مرمر يقوم بوظيفته للدفاعية حتى العهد الإسلامي (94).

إن المتمنع للنماذج المختارة من فن العمارة في اليمن القديم، التي تتلواناها في هذه الدراسة الموجزة، يشاهد أمامه فناً معمارياً رفيع المستوى، فقد بلغت صناعة الحجر مستوى تقنياً بديعاً، فشيدت المباني في المرتفعات الغربية بأحجار رخامية كبيرة، قطعت وشذبت لتصبح متساوية، ثم بنى بها بطريقة لا تكاد نبين منها تعدد الأحجار وإرسالها إلى جانب بعضها بعضاً، ونجدها أحياناً تنمطك عن طريق بعض الأوتاد المعدنية المصهورة أو النحاس المصهور التي يرتبط المراميك عن طريق السقوب. أما في الهضبة الشرقية فقد شيدت المباني من اللبن النىء والأخشاب.

أساس المباني - في الغالب - حجري، يبنى على عمق بضعة أمتار في الأرض، ويصب فيه للصلص أحياناً، إما في تدعيم البناء وتثبيتته.

الحيطان، غير عمودية بل تميل إلى الإنحراف إلى حد ما، ولعل الغرض من ذلك هو الاتجاه بالحجارة إلى خلف الحائط كلما ارتفعنا بالحائط إلى أعلى، إذ إن الجدران العمودية أسهل تحطيمًا من غيرها. وبعد أن ينتهي البنّاعون من أعمالهم الإنشائية يهتم الفنانون بالزخرفة، فزخرف الأسقف والحيطان والأبواب، كما تطعم بالأحجار الكريمة، كما أن الأعمدة تزخرف بصفائح المعادن النفيسة، أما تلك للزخرفة فتكون على شكل رسوم نباتية وحيوانية وأشكال هندسية تبرز بوضوح نقشة تفكير الفنان ومهارته وبراعته في الرسم والنحت، كما أثبتت لنا همنسة للطرق ما توصل إليه العقل البشري وبالقطرة من تفوق عظيم وإبداع متميز. .

وعند الانتهاء من كل تلك الأعمال، يسجل نقش على حجر مهنم (موقص)، ينقش عليه اسم صاحب البناء، ومن علون فيه، ثم يودع في حماية الإله الخاص وبقية الآلهة للعلامة.

الهوامش والمراجع:

- 1- ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المغربي: كتاب العبر ووديان المبتدا والخبر في لجام العرب، والمجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول، الفصل الأول من الباب الثاني من المقدمة، دار الكتاب اللبناني، (1956م)، ص 21.
- 2- غريزافنسكي: تاريخ حضرموت وحضارتها (قضايا دراستها والبحوث الأخيرة)، الفصل السادس من كتاب: (الجديد حول الشرق القديم)، دار التقدم، موسكو، (1988)، ص 218
- 3- الشببة عبد الله حسن: "الهجر - المدينة في اليمن القديم، مدجلة دراسات يمنية، العدد (40) صنعاء، (1990م).
- 4- وعلان: عاصمة (ردمان) قديماً يطلق عليها اليوم (المصال)، تقع بين (رداع) والبيضاء) على بعد (150 كم) تقريباً جنوب شرق صنعاء. أما (ردمان) فهو اسم قبيلة أدت دوراً سياسياً مهماً في القرون الأولى للميلاد، تمثل أراضيها موقعا إستراتيجياً مهماً بالنسبة للممالك اليمنية القديمة، تحدها دولة سبا من الشمال والشمال الغربي ودولة حمير من الغرب ودولة قتبان ومن ثم حضرموت من الشرق.
- 5- les fouilles Italiennes de Yala :De Maigret A, & ch. Robin -5 (Yemen) nouvelles donnees sur la chronologie de l Arabie du sud pre islamique, Academie des inscriptions de belles-lettres, 1989 Avril Juin, Paris (1989), pp.280 282.
- 6- بريتون جان فرانسوا "البيت الشاهق والبيت ذو الفناء في اليمن القديم والمعاصر"، مجلة دراسات يمنية، للعدد (45) صنعاء (1992م)، ص 263-280.
- 7- Breton J. F Urbanisme et Architecture a Sabwa dans, Raydan, I,Louvain (1978), pp. 145-146.
- 8- بلا: واد صغير يقع على بعد (30 كم) جنوب غرب مأرب.
- 9- De Maigret A, and ch. Robin, op.-cit, p. 284.
- 10- سيني جاك: "الفن المعماري الديني"، كتاب وادي حضرموت تنقيت (87 - 1979م)، لمجموعة من أعضاء البعثة الفرنسية للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن (1980م)، ص 20-27.
- 11- كوجين 1986، ص 89.
- 12- بريتون، البيت الشاهق، ص 264.
- 13- نفسه، ص 264.
- 14- نفسه، ص 267.
- 15- Le chateau royal de shabwa, note d histiar , extrait :Breton, J. F de la revue SYRIA, tome Lxviii, 1991, Paris (1991).p. 222.
- 16- Ibid, p. 222-223.

- 17- Ibid, p. 214.
- 18- الإرياني، مطهر علي: "في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات" ط 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990م)، ص 109-122.
- 19- Le chateau royal de shabwa, p. 221.:Breton, J. F
- 20- Ibid. 222.
- 21- Van Beek, Recovering the Ancient Civilization of Arabia, dans the biblical and the Archaeologist, vol, xv, Baltimore (1952), p. 10-13.
- 22- Le chateau royal de shabwa, p. 224.:Breton, J. F
- 23- Southern Arabia (new Aspects of Antiquity, London, :Brian Doe (1971). P. 219.
- 24- يمين 11: نقش نشر بواسطة (يوسف محمد عبد الله) ضمن سلسلة من النقوش أطلق عليها، مدونة النقوش اليمنية، نشرت في عدد من مجلة دراسات يمنية، الصادرة عن مركز الدراسات والأبحاث (صنعاء) رابع العدد (3) سنة 1979م ص 29.
- 25- Miscellaneous Epigraphic Notell, Dans Raydan, :Beeston A. F. L 5, (1988), p. 5-10.
- 26- Le chateau royal de shabwa, p. 226.:Breton, J. F
- 27- Ibid, 227.
- 28- زال: اسم قديم لصنعاء.
- 29- للزراع = 50 سنتيمتر.
- 30- الهدثي، الحصن بن أحمد بن يعقوب: "الإكليل" الجزء الثامن، محافد اليمن ومساندها وقصورها ومرافقي حيمر والقبوريات" تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، (1979م) ص 58-59.
- 31- نامسي: نقوش نشرت بواسطة خليل يحيى نامي) في مجلد بعنوان "نقوش خربة معين على ضوء مجموعة محمد توفيق" مطبعة المعهد العلمي للفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (1952م).
- 32- جام Jamme: نقوش نشرت بواسطة عالم الساميات A. Jamme، الذي جاء إلى اليمن كأحد أعضاء البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان، التي قامت بالتقيب في (بيحان) (قنبان) قديماً وفي (ملرب) ونشرت نتائجها في كتاب: R. Lebaren Bowen F. Archeaological Discovesis in South Arabia, II, :B Allbright Baltimore, (1952).
- 33- بنسي جرة: قبيلة سبالية لتد دوراً كبيراً في عهد ملوك سبأ ونو ريدان، للقرن (1 - 3م)، وكانت تتمركز على جبل (كنن) الواقع على بعد (04 كم) تقريباً جنوب صنعاء، حيث تقوم قرية (نعض) الأثرية حاضرة (بنسي جرة).
- 34- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، الجزء الثاني، القاهرة، (1358هـ).

- 35- الإرباني، المرجع السابق، ص 114.
- 36- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 74.
- 37- ولدي ظهر: من الأودية التاريخية المهمة، يقع على بعد حوالي (16 كم) شمال صنعاء.
- 38- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 123-124.
- 39- بيست حبص: يقع إلى الغرب من جبل (عيان) ضواحي صنعاء، لقد اختفت تلك الآثار التي أشار إليها الهمداني.
- 40- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 108.
- 41- معاقم: جمع (معقم) وهو العتبة.
- 42- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 164-165.
- 43- مماشق: جمع (ممشق) آلة من الحديد تمشق الأخشاب والحجارة وتجعلها منمقة.
- 44- أولم: ينسب معبد الإله المقة السبائي لمنطقة (أولم) وهي مربع لدير عشيرة (مرث) السبائية التي ينحدر منها كثير من ملوك سبأ.
- 45- Robin, ch. And, Ryckmans, J: le sanctuaire mineen de NKRH a Dard As- sabi, Rapport, Raydan, 5, (1988).p. 95-99.
- 46- أحمد فخري: رحلة أثرية إلى بلاد اليمن، ترجمة: هنري رياض، ويوسف عبد الله مراجعة: عبد الحكيم نور الدين، الجمهورية العربية اليمنية وزلوة الإعلام والثقافة، مشروع للكتاب، صنعاء (1988م). ص 172.
- 47- بول جينييه: ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية، مجلة دراسات يمنية، العدد 62 - 72 صنعاء (1987م). ص 109.
- 48- صرّواح: المدينة السبئية الثانية بعد (ملرب)، ويرى بعض الباحثين بأنها العاصمة الأولى للدولة السبئية، تقع على وادي (صرّواح) بين (صنعاء) و(ملرب) على بعد 40 كم جنوب غرب ملرب تقريبا.
- 49- فخري، المرجع السابق، ص 119-122.
- 50- نفسه، ص 146.
- 51- نقش النصر: من أهم النقوش المملوك السبائي (كرب إل وتر) في القرن السابع قبل الميلاد يتحدث النقش عن الانتصارات التي حققها على دولة (أوسن) لهذا سمي نقش (النصر).
- 52- Ryckmans, J: les religions, Il Paris, (1960).p. 213.
- 53- بريستون جون فرانسوا: معبد عتتر ذو رصف السوداء في الجوف، مجلة دراسات يمنية، العدد (38)، صنعاء (1989)، ص 211.
- 54- نفسه، ص 213-214.
- 55- نفسه، ص 217-218.
- 56- نفسه، ص 218-219.

- 57- ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس* (قصة اكتشاف مدينة سبا الأثرية في اليمن)،
تريب، عمر الديرووي، ط 2، دار الحكمة صنعاء (د.ت). ص 205-208.
- 58- نفسه، ص، 206-207 أنظر أيضا: بريتون: معبد عثر، ص 185.
- 59- سيني، المرجع السابق، ص 25-44.
- 60- les temble de SYN D HLSM a Baqutfa :Breton J. F
Dans, Raydan, vol, 2 (1979).p. 185.
- 61- شبام الغراس: يطلق عليها (شبام سخيم) نسبة إلى من سكنها من السحيم كما تسمى
(شبام للقصة) نظراً لما يتوفر فيها من مادة الجص (للقصة) وتسمى بشام (ذي
مرمر) جبلها وحصنها.
- 62- deux tembes de Shabwa (Raport) (1975 :pirenne, J, et Cl, Roux
1976).p. 14.
- 63- Caton Thonpson: The Tombs and Moon Temble. Of Temple of
Hureida (Hadramaut). Reports of the Research committee of the
society of Antiquaries of the London, oxford, (1944).p. 71.
- 64- بسلامة، محمد عبد الله: شبام الغراس* مؤسسة العفيف الثقافية صنعاء (1990).
ص 111.
- 65- Breton. J. F Wadi Dure, (Rapport) (1985).p. 140.
- 66- An Ancient South Arabian Nicropolis Objects :Celveland, Ray. L
from the Secind Compaign (1965). P. 16.
- 67- Van Beek, op.-cit, p. 230.
- 68- كوبيان أرم ولخرون: الأبحاث الأثرية في وادي دوعن، نتائج أعمال للبعثة الأثرية
اليمنية - السوفيتية (1985)، صادر عن المركز اليمني الأثرية والآثار والمتاحف
(سينون)، (1985) (ص 62 - 65).
- 69- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 186-190.
- 70- الجرو أسهمان سعيد: موجز التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية (اليمن للقديم)،
مؤسسة حمادة، الأردن، (1996)، ص 142.
- 71- ويندل فيليبس: رئيس البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان التي قامت بالتنقيب في بيجان
ومارب عام 1950-1952. أنظر: ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، قصة اكتشاف
مدينة سبا الأثرية في اليمن، تريب عمر الديرووي، دار الكلمة صنعاء، بدون تاريخ،
ص، 186-187.
- 72- بالقسي، محمد عبد القادر: آثار ونقوش العقلة، دراسة مبدئية لأحد المواقع الأثرية
بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، القاهرة، (1968). ص 87. أنظر أيضا:
- Groom, op.- cit, p. 168
- 73- راجع نقش أنجرامس 1.

- 74- رابضة، أحمد صالح: معالم عدن التاريخية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، لبنان - بيروت، 1999م، ص، 62.
- 75- الهمداني، الحسن ابن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن علي الأكوغ، ط 3، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983، ص، 94.
- 76- المقنسي البشاري: أحسن التقاسيم، ص، 85.
- 77- رابضة، المرجع السابق، ص، 63.
- 78- ميني، المرجع السابق، ص 29.
- 79- Pirenne. J, Les temoins ecris de la region de Shabwa et l'histoire, (fouilles de Shabwa) tome I, Paris, (1990).p. 54.
- 80- فخري، المرجع السابق، ص 172.
- 81- la muraille de Naqab al :ch. Robin, et R, Audouin:Breton, J. F Hager (Yemen du sud) Extrait de la Revue Syria tome Lxiv, (1987), Fascicules 1 2, Paris(1987). P. 120.
- 82- Frankincense and Myrrh A Study of the Arabian :Groöm. N Incense Trad Arab Background series, London and New York(1981). P. 241.
- 83- la muraille, p. 120.:ch. Robin, et R, Audouin:Breton, J. F
- 84- Ibid. p. 17.
- 85- Pirenne. j, J, Les temoins ecris, p. 31.
- 86- نقش حصن الغراب: من النقوش المهمة التي سجلت على قلعة (عزموية) على ميناء (قنا)، أهمية النقش تكمن في الأحداث التي يتطرق لها التي تتعلق بالوضع السياسي في اليمن في القرن السادس الميلادي وقد أُرِخ النقش لعام (525م) وهي السنة التي دخل فيها الأحباش لليمن.
- 87- بيرن، جاكين: 'اكتشاف جزيرة العرب' خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربية: فهدري قلججي، قدم له، حمد الجاسر، منشورات الفاخرية الرياض، ودار الكتاب العربي بيروت، (د. ت). ص 351.
- 88- port of Husn al Qurab or site of Qana Centre of :Doe Brain Ancient Archaeological, Bulletin 3 Aden, July, 1964, p. 9-13.
- 89- Ibid, p. 1-15.
- 90- الهمداني، الإكليل، ج 8، ص 150.
- 91- بإسلاحة، المرجع السابق، ص 86-89.
- 92- للمأجل: جمع مأجل تنطق بفتح الميم، وتعني في اللغة اليمنية الصهريج.
- 93- جلازر Glaser: نقوش نشرت بواسطة العالم (د. وورد جلازر) من أهم كتاباته كتب يتحدث عن نتائج رحلاته إلى اليمن: E. Glaser: Von Hodeida nach sana "

vom 24 April bis, mai 1885, dans petermanns Mitierlungen, 32,
1886.

94- بسلامة، المرجع السابق، ص 84.

الفصل الخامس

الصيغة الاتحادية أساس التكوين السياسي لليمن القديم

أولاً : التنوع والوحدة في عصر المكارب والملوك.

ثانياً : الصيغة الاتحادية في عصر ملوك سبأ وذئب ريدان.

ثالثاً : عصر الوحدة الشاملة ومراحل تطورها.

رابعاً : الوحدة والتحديات الدولية.

إن للطبيعة الجغرافية لليمن القديم أثرًا كبيرًا وفعالا في طبع الحضارة اليمنية بطابع خاص ومتميز، بل إنه ليصعب معرفة التنظيمات الاجتماعية، والتكوينات السياسية التي عرفها اليمن القديم بمعزل عن معرفة الطبيعة التضاريسية التي تميز بها من تراكيب جغرافية متنوعة: جبال تعيش على الأمطار الموسمية، وسهول، ولودية، وهضاب ذات خصوبة عالية، ذلك التنوع انعكس — دون شك — على تنوع المناخ، وتنوع المحاصيل الزراعية، مما وفر اكتفاء ذاتيا لمساكن المنطقة. فمن خلال النقوش نستشف أن الزراعة كانت الحرفة الرئيسة لليمنيين، فقد كانوا شعوبًا زراعية بدرجة أساسية، لذلك نجد أن التنظيم الاجتماعي قام في بادئ الأمر على مجتمع القرية (بيت) في النقوش (1) وهو مصطلح يطلق على كل الجماعة وموقع سكنها، كما يرتبط اسم تلك الجماعة في الغالب بالبيت نفسه (القرية) (2).

ويبرز لنا شكل آخر من التنظيم الاجتماعي، هو للشعب، أما لقدّم ذكر للفظه شعب جاءت في نقش النصر (RES 3945) الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، يتشكل هذا التنظيم عادةً إما بفعل توحّد عدد من تلك التجمعات (البيت)، أو نتيجة لاتحاد مجموعة قبائل مكونة شعوبًا، (اتحاد قبلي) كما في عبارة الشعب (سمعي)، مع وجود للشعب حاشد، وحاشد كما هو معروف لحد ثلاث، سمعي، والشعب قد يكون سكان قرية، أو قبيلة، أو فئة من الفئات في المجتمع كاصحاب حرفة واحدة مثلاً كما جاء في نقش (عنان 22)، (3) فالرابطة التي تربط الشعب هي رابطة المصالح الاقتصادية المشتركة، أي رابطة مواطنة. تجسّس شمل المواطن روحياً ومادياً، ونجد على رأس هذا الشعب حاكم محلي يحمل لقب ملك، فالملكية هنا قبلية، وما أكثر من تلقب بلقب ملك في اليمن القديم وبالذات في المرحلة العتيقة، وهناك إله رئيس يلتف حوله الشعب بمختلف قبائله مع وجود لاهة محلية لكل قبيلة. فعندما يبرز الشعب لأسباب سياسية، واقتصادية، أو لقوة عسكرية ويحرز هيمنة على مجموعة من الشعوب المجاورة، هذا بدوره يؤدي إلى نشوء تجمع اجتماعي سياسي جديد، فتأتي الحاجة إلى التمييز بين لقب الملك الأعلى، والقبائل الملوك التابعين.

على أساس ذلك الاتحاد (الاندماج) الطوعي أو القسري لعدة قبائل (شعوب) تنشأ للمدينة (الهجر) كمركز للقبيلة أو الاتحاد، يعد أن يتوفر لذلك الهجر المنشآت الأساسية كالمعبد والقصر ومصدر للمياه (4).

أولاً: الصيغة الاتحادية في عصر المكرب والملوك (القرن الثامن - القرن الأول قبل الميلاد):

1- نشوء التكوينات السياسية (الممالك اليمنية القديمة):

إن نشوء الممالك اليمنية القديمة تم أساساً بفعل اتحاد أو شبه اتحاد سياسي - ديني ضم أكثر من تجمع (شعب) لكل شعب للهته الخاصة به، و تمثل دولة سبا نموذجاً متميزاً للاتحاد القبلي، ففي سبا تشكلت نواة هذا الاتحاد منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً عندما ضمت إليها ثلاث قبائل رئيسية (فيشان، ونزحت، ويهبلج) (CIH601) (RES 3951) وكانت أراضي ذلك الاتحاد تمتد على طول وادي أنفة للفرير بمياهه الممتد بين مارب وصرواح، شمالاً حتى خربة مسعود (كنتم) على وادي (رغوان)، وكان الإله عثر هو الإله الرئيس الحامي لهذا الاتحاد، فقد بنيت له المعابد ومواقع عبادة في مختلف مناطقهم يزورونها لأداء للطقوس ويستقربون إليها بالقرابين. لقد عرف اليمنيون قديماً أشكالاً مختلفة من للطقوس الدينية التي تجسد ذلك الاتحاد بين القبائل وإقامة العهد مع الآلهة، ومن أبرزها:

- وثيقة التحالف وإقامة العهد مع الآلهة:

لقد عبرت النقوش عن ذلك للتحالف بين القبائل والآلهة والملك بلفظة (حبلم) المشتقة من الجذر (حبل) الذي يعني: ميثاق،⁽⁵⁾ بإقامة العهد مع الآلهة إنما كان من الطقوس الدينية المهمة، التي ظهرت في نقوش القرن الثامن والسابع قبل الميلاد وتنعص صيغة للتحالف على العبارات التالية: "حين أقام المكرب (لكلك للقبائل) وحدة حقيقية وميثاقاً وعهداً مع الآلهة، والأسايد" لقد ذكرت تلك الصيغة في عدد من النقوش (CIH 366, CIH 366 bis, CIH 957, RES 3949) ومن للملاحظ أن المكرب هو من يأمر بكتابة الوثيقة، كما لا يذكر النقش أسماء للآلهة للقبائل المختلفة الدخلة في إطار ذلك الاتحاد، بل يرمز إليه بالآلهة، ولا تحدد اسم سادة القبائل بل لفظ الأسايد.

لما في نقش (البعثة الفرنسية - للدريب 4) الذي نقش على سور مدينة كتال في الجوف فيقول:

- (كرب ل وترين نمر علي سور مدينة كنتم (كتال) حين أقام وحدة حقيقية (بين القبائل) مع الإله، والسيد، وعهداً، وميثاقاً). وفي نقش آخر:

- (يسع أمر بين بن سمه علي مكرب سبا سور مدينة مارب حين نظم كل قبيلة (تجمع ديني) إذ جعل لكل منها إلهاً وحامياً وعهداً وميثاقاً).

لقد ذكرت لنا النقوش ثلاثة من المكرب السبئيين الذين صاغوا وثيقة الاتحاد مع القبائل التي انضمت إليهم وإقامة العهد مع الآلهة، وهم:

1- كرب إل وتر بن زمر علي (RES 3946/1, RES 3945/1, Ry 586/ 5-7, نقش البعثة الفرنسية - الدريب 4).

2- يدع إل ذريح بن سمه علي (RES 3949, CIH 957, CIH 366)

3- يثع أمر بين بن سمه علي (Garb 1973)

ويندمج الاتحاد الأول باتحادات أخرى فنجد في النقوش (سبا وجوم) (Ja 2848) أي سبا والاتحاد، ويبدو من خلال النقوش أن (جوم) مصطلح شامل لاتحاد ليس له حدود واضحة، فقد ذكر هذا المصطلح في النقوش التي سبقت عهد المكرب (كرب إل وتر بن زمر علي) (القرن السابع قبل الميلاد)، وهذا يعني أن الصيغة الاتحادية موجودة منذ زمن بعيد (6).

وتميز النقوش بين أبناء قبيلة سبا وبين الاتحاد؛ أي من انضم إليهم من القبائل ففي نقش النصر (RES 3945) السطر 6 نجد (و ه ل ت و / و ل د / ا م ق ه / و ج و م / ح ر ه و / و ع ب د ه و / ب ن / ا ب ض ع / ذ ا و س ن) ومعنى ذلك: وقد اصطحب معه (المقصود المكرب كرب إل) لولاد لمقه والاتحاد أحرارهم وعبيدهم من أرض لومسان. فقد أطلق هنا على أبناء قبيلة سبا (لولاد لمقه) وشعب سبا كما هو معروف (كهلان)، كما جاء في النقوش (Ja 735/1): "وشعب سبا كهلان في مدينة مارب ولوديتها"، أما (جوم) فيقصد بهم قبائل الاتحاد أي كل من انضم إلى قبيلة سبا من قبائل الأراضي التي تروى بواسطة الإله عتثر ذو زيبان، والمعروف أن الإله عتثر هو الإله الرئيس لذلك الاتحاد.

وهناك نقش معيني يتحدث عن (وثيقة تحالف) لقامها الملك المعيني خاليكرب صدق بن أبيدع في (رصاص) معبد الإله عتثر ذو قبض يذكر إقامة العهد والميثاق بين "عتثر شرقن وكل الآلهة والقبائل مع الآلهة والأسيد" (RES 2831/2). ويبدو أن تلك للصيغة الاتحادية ظلت سارية حتى القرون الأولى للميلاد (7).

صيغة اتحادية كهذه تضمن الحماية والأمان والاستقرار للقبائل، وعلى الرغم من جهلنا بحديثات وأسس مثل هذه الصيغة الاتحادية، إلا أن هناك طوقاً دينية تقام في زمن معين ومكان محدد، وغالباً ما تقام في معبد كرس للإله عتثر ذو زيبان في جبل اللوذ (جبل كوران قديماً) في الجوف، يرتاد هذا المعبد قبائل متعددة ومتنوعة من مشارب المرتفعات الغربية ومغاربها (8).

وتتكرر النقوش صيغة أخرى (صيغة تجمع) وعبارتها "المكرب دعا إلى الاجتماع من أجل الإله عتثر ذو زيبان" ولعل هذا النوع من التجمع يخضع للتنظيم الخاص بالجماعات الدينية ويستخلص من عبارات الاجتماع من أجل (عتثر ذو زيبان) الدور البارز لهذا الإله كمؤسس لهذا التجمع القبلي المتحد الذي كان الأساس

لقيام نظام للدولة، كما توضح أكثر من ذلك مكانة المكرب كحاكم بأمر الإله، فهو يدعو إلى الاجتماع ليس انطلاقاً من قوته ونفوذه المستمد من مكانته الدينية والسياسية والاجتماعية، وإنما تنفيذاً لأمر الإله عتزر⁽⁹⁾

- ومع تطور البنية الاجتماعية والسياسية تتطور الصيغة الاتحادية للقبائل، ففي نقش النصر (RES 3945/1) الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد أطلق على ذلك الاتحاد القبلي (معشرة سبأ)، وبعد ذلك التوسع نجد إله القمر (المقه) يحتل المكان البارز ويصبح هو الإله القومي للرئيس لقبائل سبأ، إلى جانب إلهة أخرى (عتزر، والمقه، وذات حميم، وذات بعنن) ثم أضيفت الإلهة هوبس في المرتبة الثانية.

- ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد بدأ التكوين السياسي للوحدوي للدولة السبئية في التبلور فتحول ذلك الاتحاد إلى دولة توافرت لها كل المقومات، كظهور الملكية الخاصة وتعدد أشكالها، وبناء المدن (العواصم)، والمعابد، ومنشآت الري العظيمة، والكتابات النقشية، والقوى العسكرية، التي تهيأت لها الظروف لتبرهن على قدرتها الفعالة، كما أخذت القيادة السياسية لنفسها لقباً جديداً يتلاءم وتوسعاتها حيث تلقب بالملك بلقب (المكرب) من أصل الفعل (كرب) التي تعني الموحد لو (المجمع)⁽¹⁰⁾ فكان بمثابة الرئيس الأعلى والموحد للقبائل، كما وحدت عبادة الإله للمقه القبائل السبئية في الهضبة الغربية⁽¹¹⁾. لقد وصل تأثير سبأ أيضاً إلى اتحاد قبائل سمعي التي كانت تحتل إقليم شمال الرحبة حتى مدينة كانظ شمالاً، فقد حدثت للنقوش عن علاقة ودية كانت قائمة بين ملوك سمعي ومكرب سبأ وبشكل خاص مع (كرب إل وتر) فقد كانوا يتلقون من سبأ الاقطاعيات خارج نطاق أراضيهم صنعاء وما يجاورها (CIH 37)⁽¹²⁾. لقد تحقق لـ (كرب إل وتر) سطوة ونفوذ كبيرين عندما قام بتوسيع رقعته بشكل سلمي من خلال تحالفات وتحالفات مع شعوب المنطقة المجاورة وشعوب الهضبة الغربية، وبشكل قسري من خلال حملات عسكرية عنيفة على مناطق متفرقة من اليمن.

1- كرب إل وتر موحد اليمن في القرن السابع قبل الميلاد:

إلى جانب اتحاد قبائل سبأ تبرز في هذه المرحلة على الساحة السياسية قبيلة كبيرة منافسة لسبأ هي قبيلة لوسان، والتي على وادي مرخة (إلى الجنوب الشرقي من وادي بيحان)، تشكلت لوسان أساساً بفعل تحالف قبائل كحد ودھس (ياغم) وتبنو (وادي تبن) وكحد ذ سوطم، وكحد ذ حضنم (إقليم دنينة والمرقمات الشمالية الشرقية)، ذلك بالإضافة إلى (عويم) العود، وهو دون شك جبل العود جنوب غرب الغادرة (كور العوائل وعومه) .

بلغت أوسان شأنها رفيعاً من التقدم والازدهار في القرن الثامن - السابع قبل الميلاد، بسبب ما كان لها من نشاطات تجارية، وما هباتها لها طبيعتها الجغرافية من موانئ بحرية على امتداد سواحلها الجنوبية، تمكنت من الاستفادة منها واستغلالها إما استغلالاً، حتى قويت شوكتها، واتسعت حدودها في عهد ملكها (مرتغ)، حيث امتد نفوذها إلى الأودية الشرقية عبدان وميفعه وحجر وعمره ضراء شرقاً، لتشمل الشريط الساحلي الجنوبي؛ بل وامتد نشاطها التجاري حتى وصل إلى الساحل الأفريقي حيث أطلق عليه (الساحل الأوساني)⁽¹³⁾ فكانت أوسان بتوسعها هذا قد غدت تشكل خطراً داهماً ومباشراً، ليس فقط على جارتها حضرموت وقتبان، وإنما على دولة سبأ التي هي الأخرى استثيرت غضباً من تضرر مصالحها؛ وفي خضم تلك الأجواء المشتعلة بنيران المعارك بين الأوسانيين والسبئيين راح (كرب إل وتر) يشن هجوماً على أوسان وحلفائها، وتمكن بالفعل من الانتصار، بعد سلسلة من المعارك الدامية، بمساندة كل من حضرموت وقتبان والقبائل المتحالفة معه؛ بعد ذلك امتد نفوذ كرب إل من نجران شمالاً، وإلى المدن الساحلية في البحر العربي جنوباً، ومن المعابر غرباً حتى هضبة السوط (الجلول) شرقاً. فخضعت له اليمن من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها.

لقد صبغت حروب (كرب إل وتر) بنوع من القدسية والشرعية فكان يشنها باسم: الإله (المقه)، والشعب (سبأ) فقد استهل نقشه بالعبارة التالية: "هذا ما لنجزه كرب إل وتر بن نمر علي - أثناء حكمه للمقه وسبأ"، لما أمن والضياع فقد لحاطها (كرب إل) بسور وعين حدودها باسم الإله والمقه أيضاً، ولما المن المهزومة فقد وزعت ممتلكاتها بين الإله والملك وقبائل سبأ والحلفاء (RES 3945).

كما أشار نقش النصر أيضاً إلى الحملة العسكرية التي شنها (كرب إل وتر) ضد مدينة (نشن) في الجوف (التي تعرف اليوم بالسوداء) كان يحكمها ملك يدعى (سمه يفع) هذا الملك أصبح يشكل تهديداً صارخاً لملوك سبأ عندما مد نفوذه السياسي إلى مناطق تقع إلى الغرب من صنعاء بما فيها شبام كوكبان، وحقق كرب إل علي ذلك الملك انتصاراً كبيراً.

وكنسجة طبيعية لتلك الانتصارات توسعت الرقعة الجغرافية للدولة السبئية وبلغت أوج ازدهارها حتى غدت كل الكيانات السياسية تدور في فلكها. ولغرض ترسيخ دعائم دولته المترامية الأطراف خلق (كرب إل وتر) نوعاً من الاتحاد الداخلي بين أركان الدولة الثلاث (الإله، والملك، والشعب) فهذه العلاقة الثلاثية نجدها في معظم النقوش السبئية تعبر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين أركان

الدولة: الإله والحاكم والشعب، فقد جاء في نقش (Ja 455) العبارة التالية: "بأخرة للمقه ويدع إل بين وسبا" يشير النقص إلى علاقة المؤاخاة التي تربط أركان الدولة للسبئية⁽¹⁴⁾ تلك للوحدة هدفها - دون شك - إيجاد نوع من التوازن الداخلي ضمن الاستقرار للكيان السياسي للدولة.

استطاع كرب إل وتر بعد التوحيد القسري الذي انتهجه، أن يشرع في خلق ظروف سياسية جديدة، فقد شكلت سياسته بعد ذلك وحدة تحالفية بين كل القبائل التي ناصرته في حربه، لقد تجسد ذلك الشكل الفدرالي في نقشه الذي يقول: "هذه هي المدن والأقاليم التي ملكها كرب إل وتر بن نمر علي مكرب سبا" في فترة حكمه - للإله المقه وسبا عندما نظم كل قبيلة فجعل لكل منها إلهاً وحامياً وميثاقاً وعهداً، ونبح للإله عتتر الذبائح (كتربان)، وأغار موضع (ترج)، وعندما نظم معاشرة سبا لكسي يتحدوا ويقوموا بأمرهم وشؤونهم كرجل واحد بنية صادقة، وينهض كل إنسان لحماية أملاكه - ويوم حقق الإله عتتر والإله المقه وعديهما فيجري مياه الأودية فيملاً السواقي ساقية..."

وقد شهدت المنطقة خالة من الانتعاش الاقتصادي والحضاري، من خلال تنفيذ المشاريع المعمارية الكبرى: كمنشآت الري، وللقصور، والمعابد والمخاض، وللقلع، والأشوار.

لما قُتبان وحضرموت اللتان تشكلتا أيضاً بفعل تحالف قبلي، نجدهما يتخلان في تحالف ومؤاخاة مع المكرب للسبئي (كرب إل وتر) الذي بدوره كافأهما على مؤازرتهما له في حربه ضد لوسان بأن أعاد إلى كل منهما أراضيها التي كانت لوسان قد سلبتها منها كما جاء في نقش النصر (RES 3945) "وأعاد للإله (سين) إليه حضرموت الأكبر و(حول) وهو معبود حضرمي أيضاً و(يدع إل) ملك حضرموت وحضرموت (القبيلة) مناطقها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين، وأعاد مناطق (عم) و(إنبي) - إلهة قُتبان - و(ورو إل) ملك قُتبان، وقُتبان (القبيلة) أراضيها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين لأن (أهل) حضرموت وقُتبان قد أخذوا (أي تحالفوا مع) المقه (الإله القومي لسبا) وكرب إل (مكرب سبا) وسبا (القبيلة). فقد تجسدت فكرة الدولة بأركانها الثلاثة الإله، والملك، والشعب، فهذه العلاقة الثلاثية نجدها في معظم النقوش السبئية تعبر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين هذه الأركان، التي تهدف - دون شك - إلى ترسيخ دعائم الدولة.

بعد عصر المكرب يأتي عصر الملوك عندما نجد مصطلح سبا يأخذ معنى واسعاً،⁽¹⁵⁾ فقد توحدت عبادة الإله المقه بانضمام قبائل الهضبة الغربية (للحبة) إلى سبا، فكانت آنذاك مقسمة بين شعوبها (قبائلها) الأصلية التي انتشر بين حكامها لقب ملك؛ أما أراضيها فعبارة عن (الشعب) قبائل تتمتع بالاستقلال الداخلي ضمن

صبغة اتحادية فدرالية، بجمعها الولاء لملوك سبأ، والإله الوطني لسبأ (المقه)؛ في الوقت ذاته نجد هناك ممالك مستقلة ترتبط مع دولة سبأ بمواثيق تؤمن السلام والاستقرار. ويظهر في النقوش مصطلح (سبأ والقبائل) (Ja 550)، ثم نجد (سبأ وقبائلها) (CIH 601/9)، ثم (القبائل وسبأ) (RES 3951/2).

في القرن الرابع قبل الميلاد برزت دولة معين في الجوف بفضل اتحاد ثلاثي لثلاث تجمعات إقليمية قرناو (معين)، بئل (برقش)، ونش (السوداء)، وقد فرضت الظروف الاقتصادية للإقليم وجوب مثل ذلك التحالف. لقد أخذت تلك المناطق تتوحد لتصبح قوة سياسية في المنطقة، تمكنت بعدها من إخضاع مدن الجوف جميعا لنفوذها، فشكلت بذلك دولة جديدة لم يكن لها ذكر من قبل هي دولة معين التي اتخذت من قرناو عاصمة لها.

لما قُتبان في هذه المرحلة من تاريخها فرحت تتحرر نهائيا من التحالف مع المبنيين، وغدت تضم كل قبائل أوسان، وكحد، ودهس، وتبنو، وعودم، ونبحان ذحمر، وردمان، والملك، ويحر، ومضحي،) جميع تلك القبائل كانت تعبد إلهها رئيسا هو إله القمر (عم) ويطلقون على أنفسهم (أولاد عم) (RES 3675) إلى جانب عبادة آلهة أخرى، هذه الأقاليم توضح المساحة التي امتدت إليها الأراضي القتبانية، ووصل نفوذها حتى البحر الأحمر غربا وخليج عدن جنوبا). وقد تجسد ذلك التحالف القبلي في تسمية ملوك قُتبان في تلك المرحلة حيث تلقبوا بـ (ملوك قُتبان، وكل أولاد عم، وأوسان، وكحد، ودهس (يافع) وتبنو تبن) ويبدو واضحا من طول هذا اللقب أن قُتبان قد آلت إليها أراضي أوسان برمتها، فكانت منذ ذلك التاريخ الوريث الوحيد للأقاليم الأوسانية بعيد انهيار دولة الأوسانيين، لقد جاء ذلك التوسع — دون شك — على حساب دولة سبأ، وهذا ما لکنه تطورات الأحداث اللاحقة التي شهدتها المنطقة على المستوى السياسي، والمتمثلة في الصراع السبئي — القتباني؛ فقد دخلت سبأ في حرب طاحنة مع قُتبان لمدة خمسة أعوام وانتهت بالسلام بين الطرفين (Ja 550).

حضر موت (القبيلة) تكونت — كما أشرنا آنفا — بفعل تحالف قبلي، شغلت حضرموت مساحة جغرافية واسعة، تلك المساحة سمحت لها بالتحكم في المنافذ البحرية والبحرية للتجارة، فقد امتد نفوذ حضرموت شرقا إلى منطقة (خوروري) شرق صلالة. حينها حظيت حضرموت بأهمية فريدة، كم منطقة تنتج لآلجود ولآلن أنواع البخور، وكانت (شبو) العاصمة بمثابة مركزا رئيسيا لتجميع البخور ومن ثم تصديره؛ وبحكم تلك الامتيازات الاقتصادية نجدها تدخل في تحالف منذ عهد

المكارب مع سبأ. أما في العهد الملكي فقد كانت لها علاقة متميزة مع (معين)
الدولة المصدرة لتلك الأنواع من السلع الثمينة (اللبن والمر)⁽¹⁶⁾.

2- التنوع والوحدة:

نظام الحكم:

لقد كانت للصيغة الاتحادية بين القبائل هي أسس التكوين السياسي للممالك
اليمينية القديمة - كما أشرنا سابقاً - تلك الصيغة أملت نظام حكم متميز وفريد،
فتنوع القبائل فرض وجود نظام نيابي؛ أو نظام للمشاركة السياسية يكون فيه تمثيل
للقبائل في مجلس القبيلة أو مجلس المدينة. سمي هذا المجلس في النقوش (م من و
د) (مسود)، يضم سادة القوم ونوي للرأي من رجال الدولة؛ يتمتع هذا المجلس
بصلاحيات واسعة، فهو المرجع الأول والأخير في الدولة فلم يكن للملك مطلق
السلطات والقوانين، وإنما كان يتخذ القرارات بالتشاور مع هذا المجلس. (GI
1150) فبالرغم من أن التشريعات تسمى باسم الملك (مكرب)، إلا أنها توقع من
قبل شهود من المجلس النيابي نفسه، أما مهمة الملك فتتحدد في أخذ المبادرة
لإقامة الأعمال العامة الكبرى، كبناء المدن وتسويرها، منشآت الري، بناء المعابد
والتأكد من أن قوانين المجلس التشريعي قد نفذت، ومن ثمّ معاقبة كل من يخرق
مثل تلك المراسيم والقوانين، كما كان يقوم بوظيفة المسجل والناشر لقوانين
المجلس، فضلاً عن أنه كان هو القائد الأعلى في لوقات الحرب. (GI 1155) وفي
تنظيم الطقوس الدينية، وإيرام وثيقة الاتحاد. وثمة مجالس نيابية أخرى تساهم في إدارة
المجتمع إلى جانب مجلس الشوري السابق الذكر منها:

(أ) مجالس القبيلة التي تمثل الشعب تمثيلاً نيابياً، وتبلغ القبائل بالقرارات.

(ب) مجالس المدن: وتعني بدراسة شؤون المدينة في السلم والحرب.

وإذ ذلك كانت جملة من النظم التشريعية الرفيعة المستوى تصدر عن المجلس
النيابي باسم الملك لإبراز حقوق المواطن وحقوق الدولة فكانت تنقش على أبواب
المعابد، وأسوار المدن، حتى يتسنى لكل فرد من أفراد الشعب الاطلاع عليها
بصورة دائمة، وبالرغم من أن هذه التشريعات والنظم تحمل طابعاً مدنياً، إلا أن
الدين كان من مرتكزاتها الأساسية، فهي تمثل إرادة الآلهة ومشيئتها فالمخالف لهذه
التشريعات يعاقب بعقوبتين: العقوبة المنصوص عليها في القوانين، والعقوبة التي
تفرضها الآلهة على البشر من الإصابة بالمرض، أو الأفات للزراعة ..

-الدين:

عبد اليمانيون، كغيرهم من الشعوب السامية لاهة تجسدها أجرام سماوية، تتمثل في: القمر، والشمس، والزهرة مضيفين إليها أسماء ونعوتاً ولقبا محلية متعددة، كان الناس يتقربون ويتوددون إليها بالنذور، والقرابين، والهدايا، وقد كشفت لما النصوص أعداداً كبيرة من أسماء ونعوت الآلهة، لم تتم حتى الآن معرفة تفسيراتها واشتقاقاتها ... ومهما اختلفت نعوت تلك الآلهة ومناطق انتشارها، إلا أنه بالإمكان إرجاعها تحت أحد أجزاء الثلاث الفلكي. (17)

لقد كان للعقيدة الدينية أثر بالغ الأهمية في حياة اليمانيين قديماً: المادية والروحية، كما كانت لها بصمات على شتى مجالات الحياة، فهم يرون في الآلهة من الخسوف ما كان يجعلهم يتجهون لعبادتها، والتقرب إليها من خلال قيامهم بطقوس شعائرية مختلفة، فيقدمون لها القرابين، بل ويقدمون لها حصونهم ولبساجهم، ومنازلهم وأراضيهم وأنفسهم وحيواناتهم، رغبة في كسب حظوتها ورضاها، وطلباً لحمايتها ووقايتها، فما يفعله الإنسان من خير أو شر يكون عقابه في الدنيا، والآلهة هي التي تثيب وتعاقب، تثيب المتيقن والمتعبد وتلتصق بها بالسنور وتقديس المعابد فتعطيه رزقاً وفيراً وتبارك له في نفسه وفي أهله وتعطيه ذرية صالحة تكوّر، وتنجيه من اللبائيا والآفات ومن الأوبئة والأمراض وترجعه سالماً غانماً من الحروب؛ أما العقوبة فتكون بإزالة البلاء لمن يستحق من الخارجيين على أوامر الآلهة، المارقين على النظام، المخالفين لسلوك المجتمع المتجاوزين على حقوق غيرهم. كل ذلك حمل الناس على التقرب إلى الآلهة للحصول على حظوة ورضى الآلهة، فكل نشاط إقتصادي، من نحو: بناء عام أو منشأة ري أو بناء منزل يوضع له نقش يوكله إلى حماية إلهية، فهذا الورع الديني العميق لم يتوغل في نفوس الأفراد فصعب، بل وفي حياة الشعب بأسره، فلا يمكن الفصل بين الدين والتعبيرات المختلفة للطاعة عند الفرد والمجتمع والدولة، فعلى المستوى السياسي نجد للعقيدة الدينية دوراً بارزاً في ترسيخ دعائم الدولة، فأركان الدولة تتمثل في علاقة ثلاثية قولها (الإله، والحاكم، والشعب) بحيث نجد أنها في معظم النصوص النقشية، تعبّر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين أركان الدولة. هذه، كما جاء في أحد النصوص المبنية، (Ja 455) فالدولة تعطي لنفسها ولملكها ولشعبها نوعاً من القدسية، ولأنه لا فرق بينها وبين الإله! فأى تمرد على الدولة يعتبر تمرداً على الإله الرئيس للدولة نقش (Ja 577) يحكي، لنا قصة تمرد

إحدى الشخصيات الكبيرة من قبيلة (خولان الجديدة) خولان صعدة، فقد اعتبر ذلك التمرد موجهاً ضد سلطان إله الدولة السبئية (المقه)، وكان الملوك - حين يحاربون أعداءهم ويهزمونهم - يقسمون الغنائم بما فيها الأسرى مع الآلهة والشعب، كما لا فرق بين الدولة والآلهة فالتحالف مع سبأ يعني تحالف مع الإله الوطني المقه (RES 3945) السطر 8، (لوسان ذ أخو المقه وسبأ) لوسان في نهاية المطاف دخلت في تحالف مع المقه وسبأ السطر 13 من نص النقش يتحدث عن المؤلخاة التي تمت بين حضرموت وقتبان من جانب المقه وكرب إلى وسبأ من جانب آخر (... بنت أخو حضرموت وقتبان المقه وكرب إلى وسبأ).⁽¹⁸⁾

وتشير الشواهد النقشية إلى أن للإيمان قداسة، ولحقوقه قداسة، فهو ابن الإله. وكل أفراد الشعب يعتبرون أيضاً أبناءً للإله: فشعب (قتبان) يسمى أولاد (عم) الإله القومى لهم، وملكهم يسمى كبير (ولاد عم)، كذلك الشعب السبئي يسمون أنفسهم بأولاد (المقه)، وملوك لوسان يعتبرون أولاد (ود) معبودهم الوطني، هنا نجد القبائل تتوحد حول إله واحد.

أما الملك فهو وكيل الإله على الأرض، فهناك نقش من نقوش الاعتراف، يتضمن مخالفة أرتكبها شخص، مما وجب عليه أن يبرئ نفسه أمام الإله والملك، ويلاحظ اشتراك الملك مع الإله في قبول التبرئة، له دلالة خاصة باعتبار أن الملك خليفة الإله على الأرض والحاكم باسمه (Ja 557).

وبالرغم من أن لكل قبيلة آلهتها الخاصة بها إلا أنها لا بد من أن تؤدي فريضة الحج للإله القومي لسبأ (المقه)، فنقش (RES 4176) عبارة عن مرسوم صادر عن الإله (تألب ريام) إله اتحاد قبائل (سمعي) يلزمهم بضرورة الاشتراك في مراسيم الحج السنوي التي تقام في معبد الإله (المقه) خارج مدينة مأرب، فهذا النقش يؤكد تبعية اتحاد قبائل (سمعي) رسمياً للدولة السبئية.

ج- للتنوع في الفن:

— فن العمارة:

كشفت لنا التنقيبات الأثرية عن فن معماري بديع ذي طابع فريد من حيث التخطيط الهندسي للمدن ومنشأتها، ومن حيث أسلوب البناء ذاته، فهناك أنواع من البناء : الديني، والمدني، والعسكري، والاقتصادي ... كما أن مادة البناء المتوافرة في المنطقة قد أثرت بشكل كبير في أسلوب الهندسة، والمعروف أن مادة البناء تختلف من منطقة إلى أخرى وذلك حسب تكويناتها الصخرية، ففي حضرموت نجد

ملأته اللبن النسي والأخشاب المتوافرة كمادة بناء أساسية، أما الحجر فيقتصر استخدامه على بناء الأساسات وجدران المعابد، أما في المناطق الجبلية فقد شيدت المباني بأحجار رخامية كبيرة، قطعت وشذبت لتصبح متساوية، ثم بني بها بطريقة لا تكاد نكتبيّن منها تعدد الأحجار وإرساءها إلى جانب بعضها بعضاً، ونجدها أحياناً تتماسك عن طريق بعض الأوتاد المعدنية المصهورة أو للنحاس المصهور. وبالرغم من ذلك التنوع الذي فرضته الطبيعة التضاريسية نجد أن هناك سمات مشتركة للفن المعماري في كل المنطقة تتمثل في :

- أساس المباني: في الغالب حجري يبنى على عمق بضعة أمتار في الأرض ويصب فيه الرصاص أحياناً، لمعاناً في تدعيم البناء وتثبيتته.

- الحيطان: غير عمودية بل تميل إلى خلف الحائط كلما ارتفعنا بالحائط إلى أعلى إذ أن الجدران العمودية أسهل تحطيماً من غيرها.

وبعد أن ينتهي البنّاءون من أعمالهم الإنشائية يهتم الفنانون بالزخرفة، فيزخرف الأسقف والحيطان والأبواب، كما تطعم بالحجارة للكرمة، لما تلك للزخرفة فتكون على شكل رسومات نباتية وحيوانية وأشكال هندسية تبرز بوضوح دقة تفكير الفنان ومهارته وبراعته في الرسم والنحت، وعند الانتهاء من كل تلك الأعمال يسجل نقش عليه اسم صاحب البناء ومن عاون فيه، ثم يودع في حامية الإله الخاص والآلهة الثعامة⁽¹⁹⁾.

كما نجد التشابه الكبير في خصائص البناء الديني؛ فقد أقام اليمينيون الأتزمون لألهتهم المعابد الكثيرة، ومواضع العبادة الوفيرة في شتى الديار من مناطقهم المختلفة؛ وكان للمعبد - في إطار المؤسسة الدينية - وظيفة قسمة ذات شأن عظيم في بنية المجتمع، ولا ريب في أن المعبد راح مع الأيام يتطور في بنيته وتصميمه الهندسي حتى غدا مقدساً ذا هيبة ورهبة، يؤمه الناس للعبادة وإقامة الشعائر الدينية، وتقديم الهبات والقرابين للألهة، ولذلك كان قد أطلق على المعبد قديماً كما جاء في النقوش، الاسم (حرم) أو (محرم)، الذي هو بمعنى المقدس. لقد كشفت لنا بعثات الآثار عن عدد من المعابد الفخمة والمتكاملة البناء بأسوارها، ولروفتها، وسلاكلها ومحافظها وما لها من سعة في باحاتها ومساحتها ... في مختلف المناطق اليمينية، وبالإضافة إلى ذلك تخبرنا النقوش عن جملة من المصطلحات الاسمية الخاصة بأجزاء المعبد وأقسامه الداخلية من نحو : (مخزن)، (صرح)، و(مسال)، و(محراب)، و(منبج)، و(مظهر) فكل من هذه المصطلحات

نجدها مشتركة في كل المعابد اليمنية، وإنما تعبر عن الوظيفة الدينية التي يؤديها هذا القسم أو ذلك في سياق ممارسة الشعائر الدينية المختلفة.

و- اللغة المكتوبة:

ظهرت منذ القرن العاشر قبل الميلاد، واشتركت كل الممالك في الكتابة ولبن اختلافت في بعض خصائصها، إلا أن لها سمات واحدة، وخطاً واحداً، وعناصر ثقافية واحدة.

تميزت اللغة السبئية عن غيرها فأبلى جانب انتشارها في المناطق السبئية، فقد كتب بها الأعراب (البدو) أيضاً في الجوف وفي نجران، وفي قرية الفاو (وادي الدواسر) عاصمة دولة كندة حيث عثر على نقوش يعود تاريخها من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعده و نقوش أخرى يعود تاريخها من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي،⁽²⁰⁾ وفي أثيوبيا تم العثور على نقوش سبئية (أقدمها يعود إلى عهد مكارب سبأ) فمن من خلال اللغة وانتشارها يمكن أن نحدد الإطار العام للدولة السبئية .

ثانياً: الصيغة الاتحادية في عصر ملوك سبأ وذى ريدان (القرن الأول-القرن الثالث الميلادي)

1- أبرز الأحداث السياسية:

باقتراب عصر الميلاد وخاصة في القرن الأول قبله، شهد العالم تطورات خطيرة كانت السبب المباشر في تغيير موازين القوى في اليمن ، ومن أبرز تلك الأحداث:

- الحملة الرومانية على اليمن: في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد تمكن الرومان بزعماء الإمبراطور (اغسطس) من السيطرة الكلية على مصر وبلاد الشام، وبدأت أنظارهم تتجه صوب الجزيرة العربية لاحتلالها، وبالفعل كلف الإمبراطور نائبه الروماني على مصر آنذاك (اليوم جالوس) بغزو جنوب الجزيرة العربية، وكان الهدف من ذلك للغزو السيطرة على البحر الأحمر وتحويله إلى بحيرة رومانية، وإذا مات لهم ذلك سيتحقق لهم نصر عسكري وسياسي واقتصادي كبير في وجه عدوهم التقليدي : الإمبراطورية الفارسية ؛ كما أن من أبرز الدوافع للسيطرة على طريق البخور من بدايته في الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وحتى نهايته في شواطئ البحر المتوسط. لتلك الأسباب جاءت فكرة غزو العرب، إما لإرهابهم أو لاحتلال أرضهم، وتحويلهم — بعد ذلك — إلى حلفاء طائعين أو مهزومين خاضعين للضريبة والسخرة. لقد نفذ الرومان الحملة في عام 24 ق.م.

والتي لم يكتب لها النجاح فشلت في تحقيق غايتها وعاد الرومان من جنوب الجزيرة العربية يحرون أنيال العار والهزيمة.⁽²¹⁾

- قيام دولة بني ذي ريدان (حمير): زادت في هذا القرن حركة التجارة البحرية، التي أكسبت الموانئ اليمنية ازدهارا ملحوظا، ومن بين تلك الموانئ: ميناء موزع، وعدن، شمال وجنوب غرب باب المندب، وسرعان ما برز الريدانيون (بنو ذو ريدان) في تلك السبقة، الأنواء الحميريون، أصحاب القصر ريدان، بمدينة ظفار (غرب مدينة يريم)، لقد توافرت للكيان السياسي الجديد مقومات الازدهار والنمو، مستفيدة من موقعها الإستراتيجي المهم والذي يتحكم في المنافذ البحرية، كما نجدها قد قامت فوق مرتفعات ذات تربة خصبة تعيش على الأمطار الموسمية.

كانت قبائل حمير في الأساس جزءا لا يتجزأ من قبائل دولة قتيبان بل كانوا أنواء يدورون في فلك الدولة القتبانية، وأصبحت لهم شعوب عديدة تتبعهم (الشعب حمير) كما جاء في النقوش، وكان اتحاد قبائل ذي ريدان لو حمير يتكون من: ريمان، وخولان، ومضحي، ويحصب، والمعافر ... فقد رفق ظهورهم بديلة التقويم الحميري 110 ق.م. ومنذ تأسيسها كدولة كتب الحميريون نقوشهم باللغة السبئية، ولتحديد النطاق الجغرافي لدولة حمير فهي تقع إلى الغرب من قتيبان، وتشمل مرتفعات يافع (دهس) وإقليم (نمار) و(يريم) ولتمتد دولة حمير في الثلاثة القرون الأولى للميلاد إلى منطقة (ضاف) الواقعة شمال (قاع جهرن) جنوب نقيل يسلح. إلا أن طموح حمير في أن ترث سبأ ربما كان لدفع الاساسي لأن يتخذ ملوكها اللقب المزدوج (ملوك سبأ وذي ريدان) فقد حققوا بالفعل تحالفا سياسيا مع سبأ في القرن الأول الميلادي، ووحدة شاملة منذ نهاية القرن الثالث الميلادي (22).

ج - الأوضاع السياسية للكيانات التقليدية: لم يبق على الساحة في هذه المرحلة سوى ثلاثة كيانات هي سبأ، وحضرموت، وحمير. في سبأ نلمس تغيرا واضحا على البنية الاجتماعية، وعلى السلطة السياسية للدولة السبئية، بسبب تعرضها لهجمات القبائل البدوية القادمة من الصحراء الشمالية، خاصة بعد أن فقدت تلك القبائل مواردها الاقتصادية التي كانت تجنيها من الطريق البري (طريق القوافل)، مما دفع بالدولة السبئية إلى البحث عن مكان أكثر أمنا؛ فتجهت قبائلها صوب المرتفعات الغربية، فاستوطنت قبائل مارب (سبأ وقيشان) في الهضبة الغربية، صنعاء وشعوب، وشبام كوكبان، أما قبائل الهضبة نفسها فنجدهم يدخلون طواعية

في إطار الدولة السبئية، وبشكل تدريجي مكونين معها وحدة سياسية، ودينية قوية، لم تنقطع لواصلها بالرغم من كل المتغيرات السياسية الخطيرة التي شهدتها الساحة اليمنية.

لم يأت القرن الأول الميلادي إلا ونجد أغلب قبائل الهضبة الغربية قد اندمجت في إطار الدولة السبئية، وأصبحت تتقرب للإله القومي السبئي (المقه ثهوان بعل لولم) في معبده الذي يبعد حوالي 7 كم جنوب شرق القرية القديمة مارب.

(لأَمْبَا لَمْ) وكنسجة طبيعية للأوضاع السياسية ولتسبب الحروب، تغيرت البنية الداخلية للقبائل فتحولت إلى قبائل إقليمية، فالأقبال (النبلاء) في المرتفعات كانوا بمثابة حكام محليين يتمتعون بالاستقلال الداخلي ضمن صيغة اتحادية يجمعها الولاء لملوك سبأ⁽²³⁾ بسل وأصبحوا يناصرون السلطة، فكان كل قبيل ينشد أن يكون ملكاً على سبأ. و من أبرز اتحادات الهضبة السبئية: اتحاد قبائل سمعي الذي يضم في الأساس ثلاث قبائل هي: غمدان ومركزها (ناعط)، وحملان ومركزها (حاز)، ويرسم ومركزها (هجر) لو (شباب سخيم)، ويشكل كل شعب من تلك الشعوب (ثلاثاً) من سمعي⁽²⁴⁾ تقع أراضي ذلك الاتحاد بين (خولان صرواح) من الشرق، وبكيل القديمة من الغرب، قبائل بكيل شمال صنعاء، بتكويناتها الثلاث (نو سخيم، ذو عمران، ذو ريذة)، وهناك قبائل أخرى ارتبطت بالدولة السبئية منها قبيلة (مرثد)، في شبام لقين، وقبيلة بني جرة ومركزها (كنن)، قبائل نمري (سمهر، قشم)، وقبيلة غيمان في الجنوب، (ما زالت عدد من تلك القبائل القديمة موجودة حتى الآن تقطن في الأقليم نفسه الذي كانت تسكنه قديماً نذكر منها: بكيل، وحاشد، وخولان، وسنحان. في تلك المرحلة تبرز صنعاء عاصمة جديدة للدولة السبئية إلى جانب مارب، وقد تمثلت وحدة السلطة في وحدة القصرين سلحين وغمدان، حينها كان قصر سلحين رمز السلطة في مارب، وغمدان رمزها في صنعاء ولتأكيد وحدة السلطة تذكر النقوش للقصرين كقصر واحد، (بصيغة المفرد) سلحين وغمدان، للتأكيد على أن غمدان ليس سوى امتداد لسلحين في صنعاء. (نامي، نقوش عربية جنوبية 12).

لما حضرموت فقد بلغت ذروة ازدهارها، وقد كانت مظاهر ذلك الازدهار تتمثل في ما يلي:

1- انقسامها النفوذ السياسي - في المنطقة - مع أعظم مملكتين من الممالك اليمنية، هما (سبأ) للدولة الكبرى، و(حمير) للدولة الفتية.

- 2- في الوقت الذي ظل فيه السبينيون في صراع مرير مع الدولة الجديدة (حمير)؛ فإن حضرموت - في المقابل - استمرت تتحكم في إنتاج الطيوب وتصديرها.
- 3- احتكارها عملية "الترانزيت" وقيامها بوظيفتها؛ مستفيدة من موقعها الساحلي.
- 4- امتد نفوذها شرقاً إلى (ظفار) شرق صلالة أغنى الأقاليم المنتجة للبان والمر وأنشأ ملوك حضرموت ميناء سمهرم (خورروري حالياً) كما احتكروا سيطرتهم على جزيرة سقطرى الواقعة على مشارف الساحل الأفريقي التي يربطها التجار من كل حذب وصوب.

5- امتداد نفوذها السياسي إلى وادي بيحان في أعماق دولة قتبان، وذلك بعد أن دب الضعف في الأخيرة، وأخذت تتجاذبها مطامع الأقوياء من الدول اليمينية.

د - دخول الأقباش طرفاً في النزاع القائم في اليمن:

منذ القرن الأول للميلاد برزت دولة (أكسوم) كياناً سياسياً قوياً، يناهض دولة حمير الناشئة في الجهة الأخرى من الشاطئ المقابل، وكانت تلك المنافسة تهدف إلى السيطرة على البحر الأحمر، الذي كان لذلك من أكثر الشواطئ لتعاشاً، وبحكم تلك المنافسة نجد حكام (أكسوم) يدخلون مع ملوك اليمن في صراع تارة وتحالف تارة أخرى، حسب ما تقتضيه الظروف، إلا أنهم يتطلعون بعين الطمع صوب اليمن، ويترقبون أي خلل سياسي ليطسّلوا على أثره، إلى المناطق اليمينية.

هـ - الأعراب:

لعب الأعراب دوراً مؤثراً في الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة منذ القرن الأول الميلادي، فقد بدأ ظهورهم على الساحة في بداية الأمر كعناصر مشاكسة تغير على أطراف الأودية للزراعية، وبالأذات المراكز الحضارية حول رملة السبعين، قائمة من أطراف الربع الخالي؛ أو نجدها تتمثل من جبال المراة وتهامه. في تلك الأثناء نجد دولة سبأ تعمل كل ما بوسعها لصد للهجمات البدوية، والحيلولة دون توغل الأعراب في أراضيها،⁽²⁵⁾ فهل عجل تزدّي الأوضاع في سبأ والغارات المتكررة للأعراب بقيام وحدة بين الكيانتين السبئية والريدانية؟

2- اتحاد سبأ وذى ريدان:

طيلة القرن الأول الميلادي نجد سبأ وذى ريدان (حمير) متحدتين تحت قيادة واحدة، أي أن اللقب الملكي سبأ وذى ريدان يعني أن هناك اتحاداً أو تحالفاً تم بين الكيانتين بشكل مسلمي نتج عنه وجود قيادة سياسية واحدة للكيانتين المتحدتين - سبأ وذى ريدان أو (حمير) - وقد أشار كتاب الطواف إلى أن ظفار عاصمة الملك

(كرب إل) الملك الشرعي للقبيلتين، حمير. وجيرانهم سبا، أما آخر الملوك الذين حكموا ذلك الاتحاد فهو: عمدان بين يهقبض الذي حكم في نهاية القرن الأول، (26) وقد رمزت نقوش تلك المرحلة إلى ذلك الاتحاد بالمونجرام الشهير الذي يشبه نخلة زخرفية لها ساق وغصنان وما يشبه الثمر (-) زينت به العملات المضروبة باسم القصر ريدان، كما زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقوالهم مثل بيت ضبعان (الاريانسي 40) فهذا الشكل يرمز إلى سبا وحمير معاً، وما يؤكد ذلك الإضافات التي لحقت به بعد توسع الاتحاد وبعد أن دخلت إلى اللقب الملكي إضافات جديدة. ملوك سبا وذي ريدان من القرن الأول حتى القرن الثالث الميلادي:

سمه علي ذريح	بداية الميلاد
نمر علي وتر يهنعم	50 م
(نمر علي بين)	
كرب إل وتر يهنعم	85-90 م
هالك لمر	
كرب إل بين	نمر علي ذريح
نشأ كرب يهامن يهنعم	100م
عمدان بين يهقبض	
(ود إل)	
ملوك نو ريدان / حمير	ملوك سبا
ياسر ياسر يهصدق	
إلي شرح يحضب الأول	
شمر	لعزم
وتر يهنعم	
ربشمس نمران ؟	
سعد شمس لمرع	146-147
مرثد يهحمد	
نمر علي يهبر	

ثاران يعوب يهنعم

• وهب إل يحوز

• لعمار بهامن

180-190م

• كرب إل وتر يهنعم الثاني

• يريم ليمن

• علهان نهفان

218-223م

شعراوتر حي عتتر يضع

لحيثت يرخم

فلارع بنهب

لعزير بهانيف بهصدق

شمر بهحمد

إلي شرح يحضب الثاني

يازل بين

253م

• كرب إل ايفع

272-273م

• بهامن بهرحب

نشاكر

باسر يهنعم

شمر بهرعش

- (*) ملوك حملوا لقب ملك سبأ فقط.

3: تفصل سبا عن ذي ريدون والحرب الطاحنة (القرنين الثاني والثالث الميلاديين): تنقسم هذه المرحلة التاريخية بالصراعات السياسية الدامية، التي شهدتها المنطقة، فقد دب الاضطراب والضعف في اوصال الدولة السبئية، فجد سبا تترك مشروع الوحدة مع حمير، فيقلب ملوكها بملوك سبا فقط، وكنتيجة لتردي الأوضاع الداخلية يحتم الصراع بين الأقبال فتسقط الأسرة التقليدية الحاكمة في مارب، ويستربع على عرش الدولة السبئية لقبائل تطلع بعض منهم إلى تحقيق الطموح للتوحيدي بين الكيانيين، فشنت المنطقة حروبا متتعبة شملت كل الكيانات السياسية ودخل الأحباش طرفا فيها كما اشترنا لنفا، وتمكنوا بعدها من احتلال بعض المناطق على الشريط الساحلي الغربي. في هذه الأثناء، كان لمعبد الإله المعه بملرب (معبد لوام) شأن عظيم، لما ملوك حمير فلم يتخلوا عن اللقب المزوج.

دخلت سبا مع حضرموت في تحالف سياسي توج بالمصاهرة (Ja 923)، في حين أن وامتد نفوذ حضرموت إلى ريدمان (قبيلة هامة تضم أراضيها كل من: قسيقة، ورداع، والسوانية اليوم) بعد أن لقت إليها كل الأراضي القتبانية، مما سمح لها أن تكون على خط التماس مع كل من سبا وحمير. إلا أن تلك المصاهرة تحولت إلى عدوة) كان ذلك في عام (230م تقريبا) ودخل ملك سبا آنذاك شعر لوتر مع حضرموت في حرب منمرة (لرياني ، 13)، (27) لقد جاءت حرب شعر لوتر لحضرموت بعد أن عزز موقفه مع الحميريين وأصبح لديه خميسان (الجيشين) السبئي، والحميري (CIH 334/3, Ja 633) "وخمسيهو / سبا / وحمير".

وقد وصفت النقوش للتحالف بين الكيانيين بأنه (جزم) أي عهد موثق بالإيمان (Ja 5763)⁽²⁸⁾. فالفصل هنا بين الخميسين في إطار التحالف يؤكد الخصوصية المحلية واللامركزية العسكرية.

4- التحالفات السياسية وطموح الوحدة يظهر في الأثقى من جديد:

ساعت العلاقة بين سبا وحمير من جديد ودخلت المنطقة برمتها في حروب متتعبة، ففي ظل تلك الأوضاع السياسية المتردية برزت عدة أشكال من التحالفات:

- 1- التحالف مع الأعراب: مر بنا أن الأعراب، منذ مطلع الميلاد، كانوا يشكلون خطرا داهما على الكيانات السياسية بشكل عام، فلم تجد تلك الكيانات سوى لنتهاج سياسة تحالف بدلا من سياسة العداء التي عذت غير مجدية، فقد جاء ذلك التحالف: لردء خطر الأعراب الذين كانوا يشكلون قوة تهدد أمن واستقرار للدوليات بين

الفينة والأخرى، وللاستفادة من تلك القوة، لتكون قوة مساندة وريفة للقوات النظامية للدولة، ولتقادي تحرشات الأعراب المتكررة في الجوف وملرب والتي تتم بدافع من الأحباش (Ja 560/10-11)، فمنذ القرن الثاني الميلادي بدأت دولة حضرموت باستتِهاج سياسة جديدة تجاه الأعراب، تلك السياسة التي تقوم على الدمج، عندها نجد الأعراب يسبرزون كمقاتلين في صفوف الجيش النظامي الحضرمي، فقد ذكر أحد النقوش أن الجيش الحضرمي كان يضم قوة بنوية يتزعمها قائد يوصف بـ (س و د / ع ر ب ن) سيد الأعراب. بعد ذلك انتهجت مِبا للسياسة نفسها، سياسة الدمج. ففي نهاية القرن الثالث الميلادي نجد الجيش النظامي السبئي يعزز بقوات من الأعراب، وقد كان لتلك السياسة فضل كبير في تشكيل ممالك في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، كما نجدهم لاحقاً يقومون بدور مهم في ترسيخ وتثبيت دعائم الدولة المركزية في اليمن⁽²⁹⁾.

2- طموح الوحدة: سادت العلاقة بين مِبا وحمير وتحديثا النقوش عن تحالف بين حمير والأحباش (Ja 577) لمولجة مِبا، إلا أن هذا العداء بين لكياتيين السبئي والحميري لم يستمر طويلاً عندما عبر الطرفان عن رغبتهما بوجود شكل من أشكال التوحد من جديد بين مِبا وذو ريدان (حمير) في عهد (إلي شرح يحضب وأخيه يازل بين) ملكي مِبا وذو ريدان (240 - 250م تقريباً)، كلنا حينها معاصرين للملك الحميري (شمر يهحمد) ملك مِبا وذو ريدان لو (شمر نو ريدان) كما كانت تطلق عليه النقوش السبئية، (Ja 576, 577, CIH 314, 954) ونقش (إرياني 69)، لقد كشفت لنا النقوش الخاصة بهذه المرحلة، عن الخصومة الكبيرة التي كانت مساندة بينهما، فكل منهما يطمح في التفرد بالسلطة، وتحقيق الوحدة السياسية، ويبدو أنهما كانا متكافئين في القوة والمكانة، بدليل أن أحداً منهما لم يتمكن من تحقيق النصر على الآخر، وتكشف لنا النقوش عن رغبة الطرفين في التوقيع على هدنة، يستطيعون خلالها التقاط أنفاسهما، وإعادة ترتيب صفوفهما، إلا أن الهدنة لم تكم طويلاً، وبعد معارك جديدة، يتفق الطرفان على إيجاد نوع من التوحد عبرت عنه النقوش بأنه (تأخ) مؤلخاة بينهما و (حشك) أي اتحاد حميم بين القصرين السبئي (سلحين) والحميري (ريدان) رمز السلطتين في كيان واحد مربوط برباط لا انفصال فيه (إرياني 69)، ويبدو أن تلك الرغبة في التوحد قد تحققت ونتج عنها:

- توحيد القوتين المعنكريتين السبئية والحميرية.

- وقوف القوة الموحدة في وجه الأعداء الخارجيين ، وبالذات الأحباش وعملانهم.

لما على الواقع العملي فقد قاما الملكان بتشكيل قوة قولهما (سبئي - حميري)، وتزعماها ضد بقايا الأحباش في تهامة، وأعانهم المحليين من قبائل (سهرة)، وغيرهم من المواليين للأحباش في سهول المناطق الشمالية من تهامة⁽³⁰⁾.
ثالثاً: عصر الوحدة الشاملة ومراحل تطورها (القرن الرابع - الخامس الميلادي):
1- الوحدة السياسية وتطور اللقب الملكي:

تمكن ملوك حمير من تحقيق للوحدة السياسية بين الكيانيين السبئي والحميري بتراضي الطرفين (أرياني 14) و(Ja 646-648) ذلك بوصول الملكين ياسر يهنم وابنه شمريهرعش إلى سدة الحكم في مارب العاصمة السبئية، وبذلك للنصر تحقق الحلم التاريخي لملوك اليمن وأصبح لقب ملك سبا وذو ريدان لقباً حقيقياً.
بعد عشرين عاماً تقريباً من وحدة سبا وذو ريدان، نجد الجزء الجنوبي والشرقي لليمن القديم يتوحد تحت راية الملك شمريهرعش بضم حضرموت ويمنت، والمقصود ييمت المناطق الجنوبية لحمير الممتدة بين عدن وحضرموت، وليس للشريط الساحلي لحضرموت كما ذهب بعض العلماء⁽³¹⁾.

بعد ذلك الانتصار نجد شمريهرعش يلقب نفسه بـ (ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت) تم ذلك في شهر مارس من عام 300م (يمن، 11/13-13).
في القرن الخامس الميلادي تمكن الملك الحميري (أبيكرب أسعد) وابنه (حسان يهامن) من استمرار سياسة التوحيد مع قبائل وسط الجزيرة ومنها قبائل معد (Ry 506) بذلك التوسع أصبح للقب الملكي (ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهائم) كان ذلك في عام (454م).

في مطلع القرن السادس الميلادي نجد للقب الملكي يأخذ طابعاً أكثر شمالية، فالملك الحميري يوسف أسار آثار (ذي نواس) في المصادر الإسلامية، للذي اعتنق الديانة اليهودية يلقب نفسه بـ (ملك كل الشعوب). لقد انتهج يوسف سياسة مغايرة لسلفه الذي تولى الحكم كما جاء في بعض المصادر بمساندة الأحباش المسيحيين، وأخذ يولب القبائل ويجمع شملها، استعداداً لاستعداداً لتحرير المناطق اليمنية من النفوذ الحبشي والمصالح البيزنطية.

١- الوحدة الدينية:

لؤل عمل قام به الملكان الحميريان (ياسر يهنعم) ولبنه (شمر بهرعش) عند وصولهما إلى مأرب هو إظهار الولاء للإله القومي لسبا إله المقه⁽³²⁾، وذلك للمسلك السياسي يعني الاعتراف بالإله القومي لسبا إله المقه أصبح لاحقاً الإله القومي للدولة الجديدة ورمزاً لتركيز السلطة السياسية وسبباً رئيساً في ترسيخ دعائمها، (إرياني 14، وشرف الدين 35) .

ظل معبد المقه بمأرب يرتاد من قبل القبائل السبئية والحميرية (Ja 661) وبعض القبائل العربية من وسط الجزيرة (إرياني 16) على حد سواء حتى القرن الرابع الميلادي، زمايوكد ذلك آخر نقش نثري عثر عليه في معبد يعود إلى هذا القرن ، وكان على سدة الحكم لتذاك الملك ثاران يهنعم ولبنه ملكيكرب يهنعم (Ja 669- 671)، والظريف ابن إبناء ملكيكرب: لييكرب أسعد و وثرا المرلبن هما لؤل من سطر أول نقش توحيدى (يهودى) يعود تاريخه إلى شهر يناير من عام 384م هو نقش (بيت الأشول 2) بعد التوحد السبئى الحميرى بحوالى مائة عام .

لقد كان لتوسع المد للحميرى وظهور الديانات التوحيدية في المنطقة سبباً مباشراً في ضعف مأرب ومركزها الدينى (معبد لؤل)، ففي النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى اختفت عبادة الإله المقه، بعد أن توقف الناس عن التقرب إلى الآلهة الوثنية بشكل عام. وظهر في النقوش عبادة لإله يدعى رب السماء، ثم رب السماء والأرض، وأصبحت الديانة التوحيدية هي السائدة، ففي هذه الفترة وصلت بعثة مسيحية تبشيرية إلى جزيرة سقطرى، بعدها انتشرت الديانة المسيحية في مناطق متفرقة من اليمن وبنيت كنيسة في عدن، وأخرى في العاصمة الحميرية ظفار، إلا أن الديانة اليهودية عثت الديانة الرسمية للدولة المركزية الحميرية بعد أن اعتنقها ملوك حمير منذ ذلك القرن وحتى مطلع القرن السادس الميلادى، وبخول الأحباش اليمن عادت المسيحية من جديد وفرضت كديانة رسمية للدولة.

ب- وحدة التقويم:

منذ أن توحدت القوتان السياسيتان السبئية والحميرية اختفى التقويم المحلى للكيانات السياسية المختلفة الذي كان قائماً على نسق التاريخ بأسماء الأشخاص ولألقابهم، ليحل محله التاريخ والتقويم الحميرى الذي يبدأ من 115 ق.م، هو التقويم الذي ساد منذ مطلع القرن الرابع للميلاد⁽³³⁾.

ج- وحدة الكتابة:

الوحدة السياسية لازمتها وحدة اللغة، فمنذ مطلع القرن الرابع للميلاد أصبحت كل المنطقة الخاضعة للنفوذ الحميري تكتب باللغة السبئية، فجميع النقوش التي كتبت في تلك المرحلة كتبت باللغة السبئية.

د- توحيد الأعراب والاستعانة بهم كقوة مرادفة للجيش النظامي للدولة الموحدة:

مثل الأعراب قوة لا يستهان بها في صفوف الجيوش النظامية للدولة الحميرية

وقد انتهج ملوك حمير سياسة مماثلة لتلك التي انتهجها ملوك سبا في القرون الأولى للميلاد تجاه القبائل العربية وسط الجزيرة حيث كان لهذه السياسة نتائج

إيجابية عززت الوجود الحميري وسط وشمال الجزيرة، وكان لهم فضل كبير في

توسيع نفوذ الدولة المركزية، وقد عين الحميريون على تلك القواف قائدًا جنديًا (من

قبيلة ذي جند) اسمه (سعد تائب يتلف الجندني)، لقب بكبير الأعراب (كبير أعراب

كندة، ومنحج، وحررم، وبأهل، وزيد إل، وأعراب ملك سبا وذو ريدان

وحضرموت ويمنت). كما جاء في نقش إرياتي (32) مفادًا كانت بعض القبائل

الواردة اسمها في النقوش لم يبق لها أثر اليوم، فالمهم أن قبيلتي (كندة) و(منحج)

كانتا في مقدمة القبائل التي انتظمت في صفوف الجيش الحميري، كما أن هذه

القبائل جميعها شاركت متحدة في معارك عسكرية لإخضاع قبائل وسط الجزيرة

العربية، خلال القرنين الخامس والسادس للميلادين، وتحقق لها النصر. (Ja

4-665)، ونجد بعض النقوش مثال: (Ry 509/7) تقدم لنا كشفًا بالجماعات

التي شاركت إلى جانب جيش الأعراب في العمليات العسكرية في وسط الجزيرة

(... ومع قبائلهم حضرموت، وسبا، وأبناء ملارب) وفي النقش (Ry 510/6)

يتحدث الكاتب عن مشاركة (قبائل سبا، وحمير، ورحبتن (قبائل للرحبة)

وحضرموت، ويمنت). إن تلك الأعمال الجلية التي ختمها جيش الأعراب لملوك

اليمن، سمحت لهم بالتغلغل في أوساط اليمنيين، وخلق نوع من التعايش، الذي

تتلى مع مرور الزمن؛ فهناك مؤشرات نصية تؤكد ذلك التعايش والاندماج.

5 - رمز الوحدة:

يستفاد من رأي القائل بأن اللقب الملكي (سبا وذو ريدان) قد تم على أساس

حلف لو اتخذ حيث اتخذ رمزًا خللته لنا العملات والنقوش رمزًا يشبه نخلة

زخرفية لها ساق وغصنان وما يشبه الثمر (٥) زيفت به العملات المضروبة في

ريدان، كما زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقبايلهم، مثل نقش بيت ضبعان (إرياتي

40)، الذي يرمز إلى سبا وحمير معا ويشير إلى القصرين السبني (سالحين)، والحميري (ريدان).

لقد كانت تلك الوحدة السياسية التي قامت بين سبا وحمير في ظل بني ذي ريدان، قاعدة الانطلاق نحو إضافات جديدة، فقد تمكن شمر بهر عرش من الوصول إلى القصر الملكي (شقر) بشبوة عاصمة حضرموت في مطلع القرن الرابع الميلادي (Ja 662)، ولقب نفسه بلقب (ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت)، وقد عثر على خاتم ملوك حمير الذي ختمت به نقوشهم بعد ضم حضرموت، فهو يتكون من ثلاثة مونجرامات متعاقبة:

1- جمع حروف كلمة بحلف وتعني: المعاهدة على التعاضد والتآزر والاتفاق.

2- رمز دولة سبا وذو ريدان.

3- كلمة (شقر) والمقصود للقصر الملكي بشبوة.

بذلك يمكن قراءة الخاتم كما يلي: 'بحلف سبا وحمير وحضرموت' أي بالتحلف الذي أخى بين تلك القبائل المرموز إليها في المونجرلم فهذا يعد تعبيراً - دون أدنى شك - عن الصيغة الاتحادية للدولة الحميرية⁽³⁴⁾.

6- الأعمال العمرانية وتجسيد الوحدة:

عرفت الحضارة اليمنية القديمة مظاهر التكاثر والتعاون الجماعي، على أسس طوعية متكافئة، ومعززة بروح الواجب والمسؤولية المشتركة التي تفرضها قوى الطبيعة القاسية، وضرورات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ومن أجل ذلك سخر اليمنيون الأقدمون - على اختلاف قبائلهم، وفئاتهم - طاقاتهم الذهنية والجسدية للتغلب على المعضلات الطبيعية القاسية فنجدهم يهيئون لبناء وترميم للمنشآت الزراعية المختلفة وأبرزها السدود، التي ينتفع بها بشكل جماعي، ولبرز مثال على ذلك ترميم سد مأرب العظيم، يذكر الملك الحميري (شرحبيل يعفر) في نقشه المحفور على سد مأرب (CIH 540) السطر (64-72) للقبائل التي شاركت في ترميم السد، وهي قبائل حمير، وحضرموت إلى جانب القبائل السبئية دون شك، كما شمل للنقش على الرموز الثلاثة - السابق ذكرها - التي تشير إلى التحالف والاتحاد بين سبا وذو ريدان وحضرموت، هذا أبرمة الحبشي الذي حكم اليمن، حنو للملك (شرحبيل يعفر) فقام بترميم السد عندما تعرض للانهدام من جديد، ولورد القبائل التي شاركت في الترميم، لقب نفسه بملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهام، كما لورد الرموز الثلاثة كرمز

للوحدة بين الكيانات الإسلامية في شرق وغرب اليمن. مثل تلك الأعمال تجسد - دون شك - الوحدة الحقيقية التي رسخها ملوك حمير منذ لواخر القرن الثالث الميلادي.

ولهذا: الوحدة والتحديات الدولية:

تلك الوحدة وذلك الاستقرار لم يرق للكثير من دول العالم فالتحالفات الحميرية مع قبائل وسط وشمال الجزيرة العربية أصبحت تشكل خطرا على المصالح البيزنطية في المنطقة، وقبل الفولج في حثبات الأحداث ينبغي أن نلقي نظرة شاملة على الأوضاع الدولية وتأثيرها على اليمن، فمنذ الربع الأول من القرن الثالث الميلادي أخذ (البرث) مكانهم في إيران للأسرة الساسانية الفارسية حوالي 225م؛ وفي إمبراطورية البحر المتوسط أصبحت القسطنطينية العاصمة بدلا من روما (330م).⁽³⁵⁾ تلك التطورات السياسية علمت - دون شك - على تفاهم حدة الصراع بين الإمبراطوريتين العظميتين (فارس، وبيزنطة)، فنحلتنا في صراع حربي مرير من أجل السيطرة على الطرق التجارية الاستراتيجية:

1- الطريق لقائمة من المحيط الهندي وموانئه عبر الخليج إلى الفرات قبالية للشام.

2- طريق البحر الأحمر المتجه صوب مصر وجنوب فلسطين.

3- طريق القوافل البري في غرب شبه الجزيرة العربية.

لقد كانت بيزنطة تعمل كل ما بوسعها لتعزيز موقعها بين النهرين، ولتأمين تجارتها، إلا أن تلك الطريق يتعذر عليها كلما اشتد الصراع بينها وبين فارس، وكان منطقيا لبيزنطة أن تجد بديلا آمنا، وبخاصة طريق البحر الأحمر، أما الفرس بالمقابل فقد كانوا يتطلعون برغبة عارمة للسيطرة على سوريا ومصر أي السيطرة على الطريق البري لقائمة من جنوب شبه الجزيرة العربية، هذا بالإضافة إلى احتكارهم لطريق الحرير بين الصين والفرات،⁽³⁶⁾ في جنوب شبه الجزيرة العربية قامت دولة مركزية موحدة منذ نهاية القرن الثالث الميلادي، كان لها تأثير مباشر على القبائل العربية في وسط وشمال شبه الجزيرة، كما كان لها اقتصاد مستقل، في الجهة الأخرى من البحر الأحمر كانت دولة لكسوم تزداد قوة ونفوذ بدعم علني من بيزنطة. في خضم تلك الأجواء الدولية، نجد الظروف مهيأة لامتداد ذلك الصراع إلى جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) الذي اتخذ في جوهره بعدا سياسيا واقتصاديا، وفي شكله بعدا دينيا، فاليمن يتحكم بطريقتين من تلك الطرق التي يتمحور حولها الصراع.

لقد استخدمت بيزنطة العقيدة المسيحية لتحقيق أغراضها التجارية، فيما كانت اليهودية معقلاً للنفوذ السياسي الفارسي هناك، فقد حاولت كل من الديانتين المسيحية واليهودية أن تستغلّ في الجزيرة العربية وكانتا متصلتين بالصراع السياسي، إذ بدت كل منهما حليفة لإحدى الدولتين الطامعتين⁽³⁷⁾ . ففما كانت بيزنطة منذ مطلع القرن السادس تحالف الأحباش وتمسان نفوذها ونفوذ المسيحيين في اليمن، كان الفرس يفضلون التعامل مع اليهود والمذاهب المسيحية المناهضة للروم⁽³⁸⁾.

وجد الأحباش من بيزنطة الضوء الأخضر للتحركات بين وقت وآخر حتى وصلوا في إحدى غزواتهم إلى ظفار العاصمة الحميرية ذاتها، وليس هناك من سبيل لملوك حمير سوى انتهاج سياسة معادية للأحباش وحلفائهم البيزنطيين، وضرب مصالحهم في المنطقة، وأصبحت منطقة جنوب الجزيرة العربية تحت المجهر، بل بمثابة القنبلة الموقوتة، فتصويب الأنظار صوب اليمن شئ حتمي، ويبقى السؤال: أي من الإمبراطوريتين سباق بالاستحواذ على تلك المنطقة؟

ولتسوية ذلك للتقسيم عقد مؤتمر بين الإمبراطوريتين في أرض عربية، دولة المناصرة في منطقة تدعى الرملة (جنوب شرق الحيرة)، كان ذلك في شهر فبراير من عام (524م) . وكانت أهداف المؤتمر تتمثل في:

- 1- عقد معاهدة سلام بين الإمبراطوريتين على أن تكف بيزنطة عن طماعها فيما بين النهرين، وترك التجارة البرية والبحرية بين الصين والغرب بيد الفرس.
- 2- رفع الفرس أيديهم عن جنوب الجزيرة العربية، لتدخل ضمن النفوذ البيزنطي، وغض الطرف عن الأسلوب الذي يمكن أن تنتهجه بيزنطة لتكديب الملك الحميري اليهودي العقيدة الذي أصبح يشكل خطراً على مصالحها في المنطقة.
- 3- إطلاق سراح أسيرين رومانيين سبق أن احتجزهم الفرس بعد غارة شنوها على أراضي الروم

أسفرت المهمة عن نجاح المفاوضات في وضع معاهدة سلام في فبراير 524 م. وفي إطلاق سراح الأسيرين الرومانيين المرموقين لقاء فدية كبيرة، مع تعهد المنذر بأن يعامل المسيحيين لليعاقبة وغيرهم معاملة حسنة، لقد كانت للمسافة بين بيزنطة واليمن شاسعة، وهذا يعيق تحقيق هدفها بالسيطرة على جنوب الجزيرة العربية، خاصة وأن لروما تجربة فاشلة في ذلك المضمار، وليس أمامها من سبيل سوى البحث عن حليف يقوم مقامها بتلك المهمة، فوجدت في العقيدة الدينية

مبتغاها، عندما عززت تحالفها مع الأحباش، الدولة المجاورة ذات الأطماع التاريخية في اليمن، مستترين بحجة الدفاع عن أخوتهم في العقيدة. لقد حققت الدبلوماسية البيزنطية هدفها المرجو من مؤتمر الرملة، خاصة عندما تخلى ملك الفرس وملك الحيرة عن مساعدة ملك اليمن عندما طلب نجدة، في الوقت الذي كان فيه (يوسف) لو (ذي نولس) بامس الحاجة لمثل ذلك الدعم، بل كان يرى في (فارس) العدو التاريخي لبيزنطة، والمند الدولي لسياسته، لكن بيزنطة تمكنت من عزل الملك اليمني عن القوى الوحيدة المؤثرة والتي كانت بالمكان أن تسانده.

رُتبت بيزنطة للهجوم ونفذه الأحباش فليس هناك أي تكافؤ بين القوتين، دخل الأحباش اليمن في 525م، وأصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة.

ولم يأت القرن السادس الميلادي إلا وشهد العالم متغيرات جوهرية ، فقد تمكن الأحباش عام 525 م من السيطرة على اليمن بدعم عسكري من بيزنطة، وبسقوط الدولة المركزية اليمنية ينهار النظام الحضاري ، ويعيش اليمن في ظل الحكم الحبشي حالة من التمزق والتشتت لم يشهد له مثيل من ذي قبل .

وفي الختام يمكن أن نجمل القول بأن الحكم في اليمن للقديم عرف بالنظام النيابي ، وهو أسلوب إمارتي طيبة التركيب المتنوعة للقبائل في الإقليم الولحد، الذي يفرض وجود تمثيل نيابي لكل قبيلة، نستطيع التأكيد بأن اللامركزية كانت سمة من سمات الحكم عبر المراحل التاريخية المختلفة.

- النزوع إلى الوحدة والاتحاد كان سمة أساسية أيضا فرضتها ضرورات الطبيعة الجغرافية والتضاريسية للبلاد، تلك الطبيعة التي لم تسمح في ظروف ذلك العصر بوجود وحدة مركزية مباشرة، حتى مع وجود قوى ذات وزن كقوة سبأ مثلا، فوجد مكارب سبأ أنفسهم يعطون حق الاستقلالية لشعوبهم كما جاء في نقش للنصر للمكرب السبئي (كرب إ) يقول النقش "... عندما نظم (يقصد كرب إ) كل قبيلة وجعل لكل منها إلهًا وحاميًا وميثاقًا وعهدًا " وأصبح بالفعل لكل قبيلة حاكم محلي يلقب بلقب ملك، وإله خاص بها.

- توسعت التحالفات الداخلية بين القبائل لتشمل تحالفات لأقاليم مختلفة، وإن بعدت جغرافيًا، فقد فرضت المصالح الاقتصادية والسياسية مثل تلك التحالفات أو الاتحادات، فكلما اهتزت المنطقة بالصراعات الداخلية تعود في النهاية إلى الهدوء والاستقرار بناءً على صيغة تحالفية ودية تعقد بها موافيق وعهود.

- تكرر الصيغة الاتحادية في سبأ كما جاء في النقوش:

سبأ وجوم (w^m): سبأ والاتحاد.
 معشرة سبأ.
 سبأ والقبائل.
 سبأ وقبائلها.
 للقبائل وسبأ.
 سبأ وذئ ريدلن.
 سبأ وذئ ريدان وحضرموت ويمنت.
 سبأ وذئ ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهتم.

مصطلحات وردت في عدد من النقوش دخلت في إطار الاتحاد والتحالف

- 1- لثم: اتفاق/ عهد CIH 131/2, 155/3
- 2- مؤلخاة: لخم: تحالف، إخاء: حلف CIH 455/ 2, 308/ 11 (للقاموس
المسني 4)
- 3- جزم: حلف يميناً، قطع عهداً CIH 308/12 (للمعجم المسني، 52)
- 4- جوم: الاتحاد CIH 967
- 5- حبل: ميثاق/ حلف Ja 2856/3 (للمعجم المسني، 65)
- 6- حشك: قربي، تقارب/ تزواج (للمعجم المسني، 72).
- 7- حمر: حلف بين جماعات، (للمعجم المسني، 68)
- 8- كرب: موحد/ مجمع CIH 366

المراجع والهوامش:

- 1- بيمستون، الفرد وريكنز، جاك والغول، محمود ومولر، والتر: المعجم السبئي، بيروت، مكتبة لبنان، (1982)، ص 34.
- 2- بيمستون، الفرد: "طبيعة النظام الملكي في الحضارة اليمنية القديمة"، تعريب وتلخيص: سلطان ناجي، مجلة الحكمة العدد (34) السنة الرابعة، اتحاد الأنباء والكتاب اليمنيين، عدن، (1974)، ص، 21.
- 3- المرجع نفسه، ص 22.
- 4- الشيبه، عبدالله حسن، "الهجر- المدينة في زمن القديم" مجلة دراسات يمنية، العدد (40) (1990)، ص، 24.
- 5- بيمستون وآخرون، المعجم السبئي، ص، 65.
- 6- Robin. Ch. - SHEBA dans les inscriptions d Arabie du Sud, dans Suppl ment au dictionnaire de la Bible, Paris, (1996), p. 1180.
- 7- Ibid, p. 1181
- 8- Robin. Chr. & Breton. J. Fr. Le sanctuaire pr islamique du abal al- Lawd , dans Acad mie des Inscriptions et belles Lettres-, comptes rendus des s ances de l ann e (1982.), p.598.
- 9- H fner. M. " Eine S darabische Handelsinschrift in Forchunger, und Fortschritte x, (1934). P. 339-340.
- 10- بيمستون وآخرون، المعجم السبئي، ص، 78.
- 11- Robin. Ch. - SHEBA, p. 1181.
- 12- بالفقيه، محمد عبدالقادر، "الرحبة وصنعاء في استراتيجية بناء الدولة السبئية"، دراسات يمنية، العدد (33)، (1988)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (ص، 245).
- 13- commentary- The Periplus of the Erythraean Sea . (trans and Schoff, Wilfed. H), Longman, Green, New York, (1912), sec, 14.
- 14- الصليحي، عبد القوي علي: "الكلان السبائي الديني في اليمن القديم، الدولة السبئية"، مجلة دراسات يمنية، العدد (38)، صنعاء، (1989)، ص(222).
- 15- بالفقيه، محمد عبدالقادر : في العربية المسودة، دراسات تاريخية قصيرة، ج 2، مركز للدراسات والبحوث اليمني، (1987م)، ص 59.

- 16- الجرو اسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم) "مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، (1996)، ص، 109.
- 17- الصلوي، ابراهيم: "أعلام يمنة قديمة مركبة" دراسة عامة في دلالاتها اللغوية والدينية، مجلة دراسات يمنية، العدد (38) (1989)، صنعاء، ص، 124.
- 18- الجرو اسمهان سعيد: "الفكر الديني عند عرب جنوب الجزيرة العربية (الألف الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، (1998م)، ص، 240
- 19- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 25.
- 20- Robin. Ch. - SHEBA, p. 1105.
- 21- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 195-201.
- 22- نفسه، ص، 206-210.
- 23- باقيه، السعيدة، ص، 57.
- 24- Robin, Ch.— Les hautes-terres-du nord-Y m n avant l Islam , tome 1, Istanbul,(1982). P. 41-45.
- 25- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 248-251.
- 26- Robin. Ch. - SHEBA, p. 1135.
- 27- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 223.
- 28- باقيه، السعيدة، ص، 128.
- 29- الجرو، موجز التاريخ السياسي، ص، 249-250.
- 30- الإراني، مطهر علي: في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990). ص، 345.
- 31- باقيه، السعيدة، ص، 198.
- 32- الصليحي، المرجع السابق، ص، 149.
- 33- Robin. Ch. - SHEBA, p. 1181
- 34- باقيه، السعيدة، ص، 40.
- 35- حوراني، جورج فضلو: العرب والملاحه في المحيط الهندي، ترجمة، يعقوب بكر، وتصدير، يحي الخشاب، مكتبة الانتجو — المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص، 90
- 36- مسحاب، فيكتور: "إيلاف فريش رحلة الشتاء والصيف" للمركز الثقافي العربي، بيروت، (1992). ص، 107.

- 37- - الدوري، عبد العزيز: "مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي"، دار الطليعة، ط 4، بيروت (1982)، ص، 9.
- 38- - صاحب، المرجع السابق، ص، 127.

المصادر والمراجع العربية :

المصادر :

- 1- القرن الكريم.
- 2- السوراء : الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، ترجم عن اللغات الأصلية، جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، بيروت، 1966.
- 3- الأنطلمي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (ت : 685 هـ / 1286-1287م). نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج1، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، 1982.
- 4- ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المغربي : كتاب العبر ووديان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول، الفصل الأول من الباب الثاني من المقدمة، دار الكتاب اللبناني، 1956م.
- 5- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر (ت : 204 هـ / 821م) "الأصنام"، تحقيق : أحمد زكي، المكتبة العربية، القاهرة، 1965.
- 6- البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي (ت : 245 هـ / 809م) "المحبر"، تحقيق : إيلزة ليختن شتير، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1361 هـ - 1942م.
- 7- الطبري، محمد بن جرير (ت : 310 هـ / 923م) "تاريخ الأمم والملوك"، الجزء الثاني، القاهرة، (1358 هـ).
- 8- المسعودي، أبو الحسن (ت 346 هـ / 1441م) "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، ج2، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1966م.
- 9- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت : 360 هـ / 970م) - "الأكلیل، الجزء الثامن"، في محافذ اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة، 1979.
- صفة جزيرة العرب "تحقيق، محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض (1394 هـ - 1974م).
- "الجوهريين العتيقين المتعنين من الصفراء والبيضاء، تحقيق (كريستوف تول) لوبسلا (1968).

المراجع :

- 1- الاربائسي، مطهر علي : " في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990).
- 2- الأنسعب، خالص : " اليمن ، دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ، بغداد ، 1982.
- 3- الافغانسي ، سعيد : " أسواق العرب في الجاهلية والإسلام "، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1937.
- 4- أحمد فخري : " رحلة أثرية إلى اليمن " ترجمة : هنري رياض ، يوسف عبد الله، مراجعة : عبد الحليم نور الدين ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية اليمنية ، (مشروع الكتاب 2/21) صنعاء ، 1988.
- 5- أكوبيان أرام ولخرون : " الأبحاث الأثرية في وادي دوعن "، نتائج أعمال البعثة الأثرية اليمنية - السوفيتية (1985)، صادر عن المركز اليمني الأثرية والآثار والمتاحف (سينون)، (1985) (ص. 62 - 65).
- 6- أورلي برونر : " الري واستخدامات الأرض في منطقة مارب "، ترجمة أحمد نصمان للمندجسي، مجلة دراسات يمنية ، العدد (28)، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء، 1987، ص139- 150.
- 7- باسلامه، محمد عبد الله : شهاب الغرلس، مؤسسة دار الخفيف الثقافية، صنعاء، 1990
- 8- بافقيه، محمد عبد القادر :
- مملكة مأذن .. شواهد وفرضيات ..، مجلة دراسات يمنية، العدد (34) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1988، (ص، 20- 29).
- لمحات من أعمال الصيغة في اليمن القديم، مجلة دراسات يمنية، العدد (36) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، (ص، 52- 67).
- في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة، ج 1، 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، (1987م).
- " لفسر الرسوم الصخرية من يتوف بوادي جردان "، مجلة ريدان ، العدد الأول ، لوفان ، 1978 ، القسم العربي ، (ص 65-67).
- " الرحبة وصنعاء في استراتيجية بناء الدولة اليمنية "، دراسات يمنية، العدد (33)، (1988)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (ص، 245- 258).

- آثار ونقوش العقلة، دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، القاهرة، (1968).
- 9- بافقيه، محمد عبد القادر & ك. روبان : من نقوش محرم بلقيس، مجلة (ريدان) العدد (1)، لوفان، 1978، (القسم العربي)، (ص، 11-56).
- 10- بافقيه، محمد عبدالقادر ، ألفريد بيستون ، كريستيان روبان ، ومحمود الغول : " مختارات من النقوش اليمنية " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1985.
- 11- مولر والتر : " اللسان " للموسوعة اليمنية ، مجلد 2 ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، 1992 ، ص 739.
- 12- بتروفسكي : " اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة ، القرن الرابع حتى القرن العاشر الهجري " ، تعريب : محمد للشعبي ، دار العودة ، بيروت 1987.
- 13- هريوتون، جان فرانسوا :
 - " ولدي ضراء " تقرير أولي، للبعثة الفرنسية 1985، للمركز اليمني للآثار والمتاحف، عدن. 1985.
- تقرير أولي عن معبد - نو رصف - مدينة السوداء، مجلة دراسات يمنية العدد (38)، تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1989، (ص 211-219).
- " البيت الشاهق والبيت ذو الفناء في اليمن القديم والمعاصر ". مجلة دراسات يمنية، العدد (45) صنعاء (1992م)، (ص 263-280).
- 14- هريوتون، جان فرانسوا وريمي أدولف، وإيلي بدر، وجاك سيني :
 - " ولدي حضرموت تنقيبات (1978-1979) " للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف (عدن) تقرير بيروت 1980.
- 15- بلفقيه، عيادروس علوي : " جغرافية اليمن " دراسة إقليمية ، ج 1 (دراسة قيد النشر).
- 16- بول جينييه : " ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية، مجلة دراسات يمنية، العدد (27) صنعاء (1987م). ص (109-138).
- 17- بيرن، جاكولين : " اكتشاف جزيرة العرب " خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربية : فهدى قلجعي، قدم له، حمد الجاسر، منشورات الفاخرية للرياض، ودار للكتاب العربي بيروت، (د . ت).
- " شبوة " مجلة الثقافة الجديدة ، العدد 615 ، يوليو 1976 ، ص 33 .

- 18-بيستون، أ. ف. ل : " طبعة للنظام الملكي في الحضرة اليمنية القديمة "، تعريب وتلخيص : سلطان ناجي، مجلة الحكمة العدد (34) السنة الرابعة، إتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، عدن، (1974)، ص، 21.
- 19-بيستون أ. ف. ل، وريكمز جاك، والغول محمود، وموار والتر : المعجم السبئي (بالإنجليزية و للفرنسية والعربية) منشورات جامعة صنعاء ، دار نشر ربات بوترز ، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان ، بيروت 1982.
- 20-الجرو، اسمهان سعيد : " تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية " ، مجلة سبا (تصدر عن قسم للتاريخ) كليتي الآداب و التربية ، جامعة عدن ، العدد (4) 1988 ، (ص 94-122).
- " لفكر الديني عند عرب جنوب الجزيرة العربية (الآلاف الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي "، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، (1998م)، (ص، 219 — 250).
- موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، 1996.
- 21-جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج5 ، دار العلم للملايين بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد (1976) .
- المفصل في تاريخ العرب، ج 6، بغداد، (1978).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، بغداد (1971).
- 22-حمور، عرفان : " أسواق العرب " دار الشؤون، بيروت، 1979.
- 23-الحمصي، محمد حسن : " مفردات القرن : تفسير وبيان، دار الرشيد، دمشق-بيروت).
- 24-حوراني، جورج فضل : العرب والملاح في المحيط الهندي، ترجمة ، يعقوب بكر، وتصدير، يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو — المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.
- 25-الدوري، عبد العزيز : " مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي"، دار للطباعة، ط 4، بيروت (1982).
- 26-رابضة، أحمد صالح : معالم عدن التاريخية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، لبنان — بيروت، 1999م.
- 27-رلوح، عبد الوهاب : تأثير اليمنيين في الدولة السامية، مجلة دراسات يمنية، العدد (25)، صنعاء، 1986، (ص، 108 — 115).

- 28- رودوكاناكيس نيكولوس : " الحياة العامة للدول العربية الجنوبية " الفصل الثالث من كتاب " للتاريخ العربي القديم " ديتلف نلسون ، وفرتز هولم ، ول ، رودوكاناكيس ، ولولف جرومان ، ترجمة ، فؤاد حسنين علي ، مراجعة ، زكي محمد حسن ، القاهرة 1993م.
- 29- ريكمنز ، جاك : " حضارة قبل الاسلام " ، ترجمة ، علي محمد زيد ، مجلة دراسات يمنية ، العدد (28) أبريل ، مايو ، يونيو ، 1987م ، ص (111-137).
- 30- زريق ، قسطنطين : في معركة الحضارة ، ط 2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973.
- 31- ستيفنسون ج . هـ : " تجارة العالم القديم والبحر المتوسط " ، ترجمة : محمد بكير خليل ، الفصل الحادي والخمسون من تاريخ العالم ، المجلد الثالث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، دت ص (147-172).
- 32- سحاب ، فيكتور : " ليلاف فريش رحلة الشتاء والصيف " كميبيو نشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م.
- 33- السقايف ، حمود محمد جعفر : لؤل نقض ينكر مكرب لوسان ، مجلة ريدان العدد (6) (القسم العربي) ، لوفن ، بلجيكا ، 1994 ، ص (111-120).
- 34- سيني جاك : " الفن المعماري الديني " ، كتاب ولدي حضرموت تنقيبات (87 - 1979م) ، لمجموعة من أعضاء البعثة الفرنسية المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف ، عدن (1980م) ، ص (20-27).
- 35- شرف الدين ، أحمد حسين : " تاريخ اليمن الثقافي " مج3 ، مطبعة السنة المحمدية 1967.
- 36- شهاب ، حسن صالح : " أضواء على تاريخ اليمن البحري " ، دار العودة - بيروت ، (1981).
- 37- الشيبه ، عبدالله حسن : " اسهام عرب الجنوب في قيام وتطور لكسوم " مجلة الاكليل ، وزارة الثقافة والاعلام ، العدد الرابع السنة السابعة ، 1989 ، صنعاء ، 1989 ، ص (31-34).
- "الهجر - المدينة في اليمن القديم ، مجلة دراسات يمنية ، العدد (40) صنعاء ، (1990م) ص (20-35).
- 38- صدقة ، إبراهيم صالح : لآهة سبا كما ترد في نقوش محرم بلقيس بجامعة اليرموك ، (رسالة ماجستير لم تنشر).
- 39- الصلوي : إبراهيم : " قصة أصحاب الأخدود " ، الجامعة اللبنانية ، بيروت (1979) (رسالة ماجستير لم تنشر).

- اعلام يمنية قديمة مركبة، دراسة عامة في دلائلها اللغوية والدينية، دراسات يمنية، العدد (38)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، ص، 128.
- نقش جديد من نقوش الاعتراف، مجلة التاريخ والآثار، العدد (1) صنعاء، 1993، ص، 63.
- 40- الصليحي، عبد القوي علي : الكيان السياسي الديني في اليمن القديم، الدولة السبئية، مجلة دراسات يمنية العدد (38)، صنعاء، 1989، (ص، 220-222).
- 41- عبد الحليم نور الدين : "مقدمة في الآثار اليمنية" منشورات جامعة صنعاء، 1985.
- 42- عبد العزيز صالح : " تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة " مكتبة الانجلو - مصرية القاهرة 1988.
- 43- علي لاسعد: ظاهرة التذكير المجازي في العربية، (بحث قيد النشر).
- ظاهرة التأنيث في العربية (دراسة تطبيقية في بعض مناهي القرن الكريم) (بحث قيد النشر).
- 44- العمري، حسين عبدالله والارياني مطهر علي ، ويوسف محمد عبدالله : " في صفة بلاد اليمن عبر العصور ، من القرن السابع قبل الميلاد، حتى نهاية القرن لتاسع عشر للميلادي، دلو الفكر المعاصر، بيروت 1995.
- 45- علي عقيل بن يحيى : " نموذج من نظام الري في وادي حضرموت "، مجلة التراث ، العدد الأول، للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف ، عدن 1977 ، ص 215 .
- 46- غريبا زلفسكي : " تاريخ حضرموت وحضارتها " ، قضايا دراستها والبحوث الأخيرة ، الفصل السادس من كتاب " الجديد حول الشرق القديم " ، لمجموعة من المستشرقين المصوفيت ، ترجمة : جابر أبي جابر ، دار النظم ، موسكو ، 1988 ، (ص 232-233).
- 47- فريا ستارك : " البوابات الجنوبية لبلاد العرب "، ترجمة : علي محمد باحشوان مجلة (اليمن) مركز البحوث والدراسات، جامعة عدن، العدد الثاني، 1990 ص (127-164).
- 48- فخري ، أحمد : " رحلة أثرية الى اليمن ، ترجمة : هنري رياض ، ويوسف محمد عبدالله، مراجعه : عبدالحليم نور الدين ، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية اليمنية، (مشروع للكتاب 2/21) صنعاء 1988م.

- 49-فيليبس، ويندل : كنوز مدينة بلقيس " قصة إكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن"، تعريب : عمر الدينراوي، ط2، دار الكلمة، صنعاء، (د.ت.).
- 50-ل . ك . شوليك : " طرق الري القديمة في شعب مروح "، نتائج أعمال البعثة اليمنية - السوفيتية، 1986، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن 1986
- 51-محمد توفيق : " آثار معين في جوف اليمن "، نقوش خربة معين، القاهرة، 1952.
- 52-نامسي، خسلول يحيى : نقوش خربة معين على ضوء مجموعة محمد توفيق "مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (1952م).
- 53-ناهض عبد الرزاق : " المسكوكات وكتابة التاريخ " هيئة كتابة التاريخ ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1988.
- 54-نصيم زكي فهمي : " طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (لواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1973).
- 55-نيلسن، ديستف، ولخرون : التاريخ العربي القديم، ترجمة : فؤاد حسنين علي، القاهرة 1993.
- 56-ولفنسون، إسرائيل : تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، لبنان، 1980.
- 57-ويندل فيليبس : كنوز مدينة بلقيس، قصة إكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن، تعريب عمر الدينراوي، دار الكلمة صنعاء، بدون تاريخ.
- 58-يوسف محمد عبد الله : " مدونة النقوش اليمنية " مجلة دراسات يمنية ، العدد (2،3) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1979.
- 59-مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأبيض، مجلة دراسات يمنية، العدد (34)، صنعاء، 1988(ص 30-49).
- 60-" لورق في تاريخ اليمن وقاره " ، بحوث ومقالات ج1 منشورة ووزارة الإعلام والثقافة ، الجمهورية اليمنية ، صنعاء ، ط1 ، شركة دار للتوزيع للطباعة والنشر، بيروت (1406 هـ - 1985) .

- Albright, F. P: Exploration Dhofar Oman , Antiquity 113, .1
1955.
- " The Himyarites Temples at khor Rory " Orientalia
, XXII, 1953.
- of Albright , Willim. F. : the chronology, first campaign of .2
Excaption in Qataban , Arcient South Arabia in the Light of
dans , BASOR 119 , (1950) , pp. 8-15 .
- Bafaqih, M.A: l-unification du .Y men la lutte entre Saba- .3
Himyar, et le Hadramaut , du 1^{eme} au III Siecle de l re
chretienne , Paris , 1990.
- Beeston , Alfred.F.L : The Mercantile Code of Qataban, part, .4
of Qahtan Studies in old South Arabian Epigraphy , London
, (1959) .
- Arabian - " The Ritual Hunt, a Study in the old south—
Religion pratice ", 1948.
- " Note on Old South Arabian ", Lexicography, 1975.
- " Sabaean Inscriptions, Oxford, 1939."
- Sabaic Grammar, JSS, Belgium, 1984. p. 15.- ----
- "Some Features of Social Structure in Saba," Studies in the
- History of Arabia , vol 1, part 1, 1979. p. 115 -116.
-
- Miscellaneous Epigraphic Notell, Dans Raydan, 5, (1988),
p. 5-10.
- Bowen , Richard le Baron Jr : Irrigation in Ancient Qataban .5
(Baihan) dans , Bowen , R , le B , and ALBRIGHT ,
pp. 35-42 Archaeological Discoveries in South Arabia ,
, 43-131 .
- Bowen , R.Le Baron , and F. P.Albright , : Archaeological .6
Discoveries in South Arabia , publication of the American
Foundation for the Study of man , Baltimor (1958).

- Breton Jean. Fran ois. : Wadi Dwra", Rapport de la mission .7
fran aise au Y men , Aden, 1985 .
- Urbanisme et Architecture a abwa dans, Raydān, I,
Louvain (1978), pp. 145-146.
- Le ch teau royal de shabwa, note d histoire , extrait de la
revue SYRIA, tome Lxviii, 1991, Paris (1991), p.209- 227.
- " les temple de SYN D HLSM a Baqutfa ", Dans, Raydan,
vol, 2 (1979).p. 185-202.
- Breton, J. F : ch. Robin, et R, Audouin : la muraille de .8
Naqab al Hager (Y men du sud) Extrait de la Revue Syria
tame Lxiv, (1987), Fasciules 1 2, Paris(1987).
- Bron, F : memorial Mohmud al-Ghul, Inscriptions sud - .9
arabiques, Paris, 1992.
- Brouner, Von Ueli : " Die Erforschuny des antiken Oase von .10
Merib mit Hilfe geomorpho Logischer unteruchung methoden"
. Verlag philipp van zeberm Mainz am Rhein (1983) , p. 149
- Caton Thompson. G : The Tombs and Moon Temple of .11
Hureida (Hadramaut) (Reports of the Research committe of
the Society of Antiquaries of London n XIII) Oxford 1944.
- Celveland, Ray. L : An Ancient South Arabian Necropolis, .12
Objects from the Second Campaign (1951) in Timna^c Centery
(Publication of the American Foundation for the study of man,
vol IV). Baltimore, (1965).
- De Maigret A, & ch. Robin : les fouilles Itali nnes de Yalā' .13
(Y men) nouvelles donn es sur la chronologie de l Arabie du
sud pr islamque, Academie des inscriptions de belles-lettres,
1989 Avril Juin, Paris (1989).
- Diodurus Siculus : The library of History ,loeb classical .14
library (trans : OLDFATHER , Heienemann , London , 1935 .
- Doe Brian , Southern Arabia (New Aspects of Antiquity) .15
London , 1971.
- Port of Husn al Qurān or Site of Qanā, Center of Ancient
Archaeological Bulletinn 3, Aden , July 1964. .

- Gentelle Pierre : L irrigation antique a abwa , dans abwa , .16
Tome II , Paris , 1992 , p. 1-51 .
- Glaser, E: " Von Hodeida nach San'ā' vom 24 April bis 1. mai .17
1885, dans petermanns Mitteilungen, 32, 1886.
- Groom . Nigel St. J : Frankincense and Myrrh A Study of .18
The Arabian Incense Trade (Arab Background Series) London
and New York (1981)..
- H fner. M. " Eine S darabische Handelsinschrift in .19
Forchunger, und Fortschritte x, (1934).
- Jamme, Albert : "The Gat golde Hawkum ". Dans, al-Hudhud, .20
Festschript Maria H fner, Groz, 1981.
- Majeed M. A : Conservation and Restoration of Aden Cisterus .21
Saharg al - Tawila, Haydarabad , 1984 .
-Philips, w : " Unkown Oman ",. London, 1966. .22
- Philby , H . St . John : The Land of Sheba , in Geographie .23
Journal , vol XCLL , July , 1938.
- Pirenne , Jacqueline : Prosp ction historique dans la r gion du .24
royaume de Awsān , dans , Raydān vol (3) , Louvain , 1980 ,
p.213- 255.
- Ce que trois campagnes de fauilles nous ont d j apris -
sur abwa , Capitale de Hadramaut dans Raydān , vol ,
I, 1978 , p. 136.
- " Les t moins crits de la r gion de Shabwa et l'histoire -
" (fouilles de shabwa) , tome I , Paris , 1990.
- Premi re mission Archeologique Fran aise au -
Hadramout , dans CRAT , 1975. .
- A la d scover de l Arabie "(cinq si cle de science et -
l'aventure), Paris , 1958.
- " Deuxieme mission Archeologique francaise au -
Hadramaut Yemen de sud, december , 1975, a fevriere
letters), -1976, (Academie des inscriptions et belles
Paris 1977, p. 412-426.

- Chronique d'archaeologie sud - arabe, ", 1955-1956, -
dans, Annales D'ethiopie, II, 1957.
- " la Greca et Saba a, une nouvelle base pour la arabe, -
dans, memoires presentes par savants a l'academie des
inscriptions et Belles-Lettres, Paris (1955)..
- " le royaume Sud-arabe de Qataban, et a datation, -
louvain, 1961.
- deux tembes de Shabwa (Raport) (1975 -1976). -
- "la rinceau dans l-evelution de l'art Sud-Arabe, dans, -
SYRIA, tome XXVIV, 1957, pp. 99-126.
- Pliny. Natural History Loeb Classical, (trans, Rackam M. .25
, Library, Heinemann, London, and Harvard University Press,
1945, Book xii, ch 32, Sec 63.
- The Periplus of the Erythraean Sea . (trans and commentary- .26
Schoff,
- Rathjens and von wissmann : Voristamische Alttertum, Bd, I .27
Hambrug, 1932.
- Robin, Christian : Les hautes-terres du nord Yemen avant .28
l'Islam, vol I, recherches sur la geographie tribale - et
religieuses de Hawlan, Qudaa et du Hamdan, Istanbul, 1982.
- SHEBA dans les iscriptions d'Arabie du Sud, dans -
Supplément au dictionnaire de la Bible, Paris, (1996).
- Les plantes aromatiques que brulaient les Sabeens, dans -
Saba, Parfumes d'Arabie N I, 1994, pp 25-30.
- premiere mention de Tyr chez les Mineen d'Arabic du -
Sud, dans, SEMITICA XXXIX, 1990, Hommages a
Maurice Sznycer, 11, Paris, 1990. .
- " Egypte dans les inscriptions de l'Arabic meridien de -
pre-islamique, dans, Hommages a Jeaulclant (volume
4) bibliotheque d'etude, 106/4, 1994, pp. 286-301.

- du paganisme au monotheisme dans, Robin : L Arabie antique de (Karab il) , (Mohmet), Paris , 1992. p. 143-144
- Robin. Ch. & Ryckmans, J : .29
- l attribution d un basin une divinil en Arabie du Sud antique, Rayd n, (1), Lovain, 1978.
- Robin, ch. And, Ryckmans, J: le sanctuaire mineen de NKRH a Dard As- sabi, Rapport, Raydan, 5, (1988).p. 95-99.
- Robin. Ch.& Breton & Ryckmans, J : le sanctuaire Mineen NKRH A DARB AS-SABI, Rayd n, vol, 5, Aden, 1988, p. 90-92. .30
- Robin. Chr. & Breton. J. Fr. Le sanctuaire pr islamique du abal al- Lawd , dans Acad mie des Inscriptions et belles Lettres-, comptes rendus des s ances de l ann e (1982.), p.598. .31
- Rodinson , Maxime , : Mahomet , 3^{eme} e dition , Paris , 1979 . .32
- Rossini, C : Chrestomathia arabica meridionatis epigraphica, Rome, 1951. .33
- Ryckmans, G : les religion arabes pr -islamique, extrait de l histoire g n rale des religions II, Paris, 1960. .34
- Ryckmans,J, Ritual Meals in the Ancient South Arabian Religion , PSAS, 6, p. 36-37. -
- Ryckmans, J : un rite d' istisqa au temple sabeen de Marib 1973. -
- Ryckmans, J : The old south Arabian Religion, Yemen, 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix, edited by Werner Daum, p. 108-109. -
- Segall Berta : Sculpture from Arabia felix the Hellenistic Period , American Journal of Archaeology 59 , (1955). .35

- Strabo: The Geography of Strabo ,trans ,Jones H . L ,loeb .36
classical library London , 1930 .
- Schoff , wilfed . H: The Periplus of the Erythraen Sea (trans .37
and commentary) Longman , Green, New York , (1912) .
- Stuart Munro-Hay : The al-Madhariba Hoard of Gold .38
Aksumite and Roman late Coins: , dans , le Numismatic
chronicle (1989).
- " Van Beek, Recovering the Ancient Civilization of Arabia, .39
dans the biblical and the Archaeologist, vol, xv, Baltimore
(1952).
- Walkar, J : The Mon-God on Coin of Hadramaut , dans .40
BSOAS , XIV, 1952.
- A New Katabanian Coin from South Arabia , Israel -
Exploration Society Journal , Jerusalem (1963).
- Wissmann, Von: Himyar Ancient history , le maseon , .41
77, 3-4, 19- 64, p.- 144...

قائمة الرموز والإصطلاحات

- إبرانسي : نقوش نشرها وعلق عليها مطهر الإرياني في كتابه " في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات ...".
- شرف الدين : نقوش نشرها أحمد شرف الدين في كتابه " تاريخ اليمن الثقافي".
- يمن : يوسف مدونة النقوش، نقوش نشرت بواسطة يوسف محمد عبد الله.
- CIH : Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars quatra, Inscriptions himyariticas et sabaeas continens, Tome I, II, III, Paris, (1889-1932). يطلق عليها : مدونة النقوش السامية.
- GL : Glaser نقوش جمعت بواسطة المستشرق (جلزر) Halvey : نقوش نشرت بواسطة جوزيف هالفي

- Ja : A. Jamme نقوش نشرت بواسطة ألبيرت جام
- RES : Rep rotoire d pigraphie s mitique.
- مدونة النقوش السامية، نشرت بواسطة الأكاديمية الفرنسية للنقوش والفنون الجميلة، للنقوش اليمنية نشرت في ثلاثة أجزاء، الجزء الخامس صدر عام 1929، الجزء السادس صدر عام 1935م، الجزء الثامن صدر عام 1950.
- Ry : Ryckmans.
- نقوش نشرت بواسطة جونزك ريكنز، وقد بدأ بنشرها منذ عام 1927م وحتى عام 1965، بلغت حلقاتها (22) حلقة جميعها نشرت في مجلة (Le Museon).

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
1	- المقدمة
3	الفصل الأول
5	النهضة الزراعية في اليمن القديم
5	لولا : التوزيع الإقليمي للنشاط الزراعي.....
5	(1) الأراضي المحيطة بمغارة صيده ومنشآت الري فيها :
5	أ- أراضي دولة معين
8	ب- أراضي دولة سبا
9	ج- إقليم دولة قتيبان
12	د- أراضي دولة لوسن
12	هـ- أراضي دولة حضرموت
16	(2) إقليم المرتفعات الوسطى والسهول الساحلية الغربية
17	ثانيا : نظام الري القديم :
17	1- الري بواسطة الأمطار
18	2- الري المعتمد على السيول
18	* منشآت السدود
19	(أ) سدود تحويلية
19	(ب) سدود خزن وتضريف
20	* مؤسسات القنوات
20	3- الري المعتمد على مياه الغيول
20	4- الري بواسطة المياه الجوفية
21	5- الصهاريج أو الكريف
22	6- كيفية الانتفاع بالماء
22	ثالثا : ملكية الأراضي الزراعية
23	(1) ملكية للدولة
24	(2) ملكية للمعبد

24	(3) ملكية خاصة
24	(أ) أراضي خاصة بالملوك والأعيان
25	(ب) أراضي خاصة بالأفراد
25	رابعاً : استثمار الأراضي الزراعية والقوانين المنظمة لها :
25	(1) أراضي زراعية مؤجرة ومستأجرة
26	(2) استغلال الأراضي مقابل ضريبة
26	(3) بيع وشراء الأراضي الزراعية
27	(4) جباية ضرائب الأراضي الزراعية
29	خامساً : للمحاصيل الزراعية :
29	(1) محاصيل استهلاكية
29	(أ) الحبوب
30	(ب) للفولكه
30	(ج) التموز
31	(د) للكروم أو الأعناب
32	(هـ) البقول
32	(و) الخضار
32	(ز) العسل
33	(2) المحاصيل النقدية
33	(أ) اللبان
34	(ب) المر
35	(ج) القطن
36	(د) الصبر
36	سادساً : للثروة الحيوانية.....
36	(1) حيوانات مستأنسة
38	(2) حيوانات برية
39	سابعاً : قواعد زراعية، وحسابات فلكية
42	للهوامش والمراجع

الحياة التجارية في اليمن القديم

- 53 لولا : مصادر النشاط التجاري
- 55 ثانياً : السلع التجارية
- 55 صادرات اليمن القديم (1)
- 55 (أ) السلع تنتج محلياً
- 1- سلع مقدسة
- 57 2- سلع يستخرج منها العقاقير الطبية
- 58 3- سلع تستخدم للأغراض الصناعية
- 58 (ب) سلع تجلب من شرق أفريقيا
- 59 (ج) سلع تجلب من الهند وميلان
- 59 (2) واردات اليمن القديم
- 60 ثالثاً : للطرق التجارية
- 60 (1) الطرق البرية (طرق البخور)
- 62 (أ) الطرق الداخلية
- 68 (ب) الطرق الخارجية
- 68 (2) الملاحة البحرية
- 70 (أ) الموانئ والمراكز البحرية التجارية
- 70 • ميناء موزع
- 71 • ميناء عدن
- 73 • ميناء قنا
- 74 • ظفار ومينائها موشا
- 75 • سقطرى
- 76 (ب) المسالك البحرية
- 77 • مسالك بحرية قصيرة
- 79 • مسالك بحرية طويلة

80	رابعاً : العلاقات الدولية بين اليمن والعالم القديم.....
80	(1) العلاقة مع شرق أفريقية
81	(2) العلاقة مع الهند
81	(3) العلاقة مع وادي النيل
85	(4) العلاقة مع شمال شبه الجزيرة العربية
86	(5) علاقة اليمن القديم بالحضارة اليونانية والهلنستية
86	أ- التأثير اليوناني
87	ب- التأثير الهلنستي والروماني
89	ج- التأثير الفارسي
92	خامساً : للنظم التجارية والقوانين المنظمة لها
93	(1) نموذج من التشريعات التجارية (القانون القتباني)
97	سادساً : نظام الدفع في المعاملات التجارية
97	(1) العملة المعدنية
99	(2) وصف لنماذج من العملات التي عثر عليها في اليمن
99	أ- عملات إغريقية
99	ب- عملات يمنية ذات تأثير أثيني
103	ج - عملات يمنية ذات طابع محلي صرف
107	د- عملات ذهبية رومانية وأخرى أكسومية
108	سابعاً : المنشآت التجارية
108	• الأسواق :
109	(1) سوق للشعر
110	(2) سوق عدن
110	(3) سوق صنعاء
110	(4) سوق الرابية بحضرموت
110	ثامناً : الأطماع الدولية وعوامل انهيار التجارة اليمنية
117	للهولاء والمرجع

127	الفصل الثالث
	الفكر الديني عند قدماء اليمنيين
130	لولا : أسماء الآلهة ونعوتها ورموزها
130	(1) الإله إل
131	(2) إله القمر
135	(3) إله الزهرة
137	(4) إلهة الشمس
139	(5) الإله ذي سموي
141	(6) آلهة محلية (مناطقية)
144	ثانياً : المعابد وأجزائها، ومحتوياتها، ومواردها
146	(1) أجزاء المعبد
155	(2) محتويات المعبد
161	(3) موارد المعبد
164	ثالثاً : الكهان وخدم المعبد من الأرقاء
167	رابعاً : الوحي
169	خامساً : شعائر الطقوس الدينية
169	(1) الطهارة الطقوسية وحرمة للمعبد
170	(2) النذور والهبات
171	(3) القرابين :
171	(أ) الذبائح
171	(ب) البخور
172	(4) الحج
174	(5) الصيد للمقدس
174	(6) الاستسقاء
176	(7) الاعتراف للعنفي
178	سابعاً : معتقدات أخرى
178	(1) الإيمان بالحياة الثانية
179	(2) السحر

180 سابعا : العقيدة الدينية وأثرها على حياة المجتمع
182 ثامنا : للبدليات الأولى للتوحيد
187 الهولمش والمراجع

193 الفصل الرابع

نماذج من فن العمارة في اليمن القديم :

195 أولا : للمدينة اليمنية القديمة
196 ثانيا : نماذج من فن العمارة المدني
197 (1) للبناء الشاهق المكون من عدة طوابق
 مبان مشقة
199 (2) للبناء الشاهق ذو اللغناء
200 (أ) القصر الملكي بشبوة
204 (ب) القصر الملكي بتمنع
205 (3) للبناء الشاهق المزدوج
206 (4) مباني ذات فناء مركزي
206 (أ) المبنى رقم (44) في شبوة
206 (ب) قصر غمدان
207 (ج) نموذج من قصور وادي ضهر
208 (د) نموذج من قصور بيت حنبص
208 (هـ) نموذج من قصور مدر وأتوه
208 ثالثا : للفن المعماري الديني
209 (1) نماذج من المعابد المسيحية :
209 (أ) معبد الإله المقه (لولم)
209 (ب) معبد معرب بالمساجد
210 (ج) معبد الإله المقه بصرواح
210 (د) معبد عثر بالجوف
210 (هـ) معبد للحقة
213 (2) نماذج من معابد حضرموت
217 رابعا : للمقابر والنماطها

217 نماذج من المقابر المكتشفة
217	(أ) مقابر صخرية أو كهفية
218	(ب) مقابر في حفرة عادية.....
218	(ج) مقابر على شكل حجرات
219 خامسا : : المنشآت الاقتصادية :
219	(1) منشآت الري.....
221	(2) شق الطرقات وتبليطها
221	(أ) شق الطرقات في مملكة قتبان
222	(ب) شق الطرقات في مملكة حضرموت
222	(ج) شق الطرقات في مدينة عدن
223 سائما : المنشآت الدفاعية.....
224	(1) أنماط الأسوار
225 سور مدينة نعب الهجر
228	(2) الحصون
228	(أ) حصن عر ماوية
229	(ب) حصن ذي مرمر
231 لهوامش والمراجع
237 الفصل الخامس :
	الصيغة الاتحادية اساس التكوين السياسي لليمن القديم :
240 أولا : الصيغة الاتحادية في عصر المكارب والملوك.....
250 ثانيا : الصيغة الاتحادية في عصر ملوك مباء وذئ يدلن.....
258 ثالثا : عصر الوحدة الشاملة ومر اهل طورها.....
258	1- الوحدة السياسية وتطور للقب الملكي
259	أ- الوحدة الدينية
259	ب- وحدة التقويم
260	ج- وحدة للكتابة
260	د- توحيد الأعراب
260	هـ رمز الوحدة
261	و- الأعمال العمرانية وتجسيد الوحدة

262 رابعاً : الوحدة والتحديات الدولية.....
266 مصطلحات وريت
267 المراجع والهوامش
270 للمصادر والمراجع العربية.....
277 للمصادر والمراجع الإنجليزية.....
283 قائمة الرموز والأصطلاحات
285 محتويات الكتاب

